تنزيه القلوب

لنظر علَّام الغيوب

لسيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي حفظه الله

الفهرس العام

بإمكانك الذهاب إلى محتويات الكتاب عن طريق الضغط على رقم الصفحة

الألفاظ	رقم الصفحة
مقدمة الكتاب	٩
اللفظ الأول : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلوبِهِم وَعَلَى سَمعِهِم ...} [البقرة :٧]	١٩
اللفظ الثاني : { فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا .... } [البقرة : ١٠]	٢٥
اللفظ الثالث : {ثُمَّ قَسَت قُلوبُكم مِن بَعدِ ذلِكَ ... } [البقرة :٧٤]	٢٩
اللفظ الرابع : { وَقالُوا قُلوبُنَا غُلْف ... } [البقرة: ٨٨]	٣٢
اللفظ الخامس : { ...وَأُ شرِبُوا فِي قُلوبِهِمُ الْعِجلَ بِكفرِهِم...} [البقرة: ٩٣]	٣٤
اللفظ السادس : {..فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا...} [البقرة: ٩٧]	٣٥
اللفظ السابع : {...تَشَابَهَتْ قُلوبُهُم قد بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقومٍ يُوقِنونَ} [البقرة: ١١٨]	٣٧
اللفظ الثامن : {...وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى مَا فِي قَلْبِهِ... } [البقرة: ٢٠٤]	٣٩
اللفظ التاسع : {...وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم... } [البقرة: ٢٢٥]	٤٣
اللفظ العاشر : {...قالَ بَلى وَلكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلبِي... } [البقرة: ٢٦٠]	٤٨
اللفظ الحادي عشر : {...وَمَن يَكتُمهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ... } [البقرة: ٢٨٣]	٥٠
اللفظ الثاني عشر : {...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم زَيغٌ... } [آل عمران: ٧]	٥٤
اللفظ الثالث عشر : {...رَبَّنَا لاتزِغْ قُلوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَيْتَنَا... } [آل عمران: ٨]	٥٧
اللفظ الرابع عشر : { قلْ إِن تخفُوا مَا فِي صُدُورِكم... } [آل عمران: ٢٩]	٦٠
اللفظ الخامس عشر : {...إِذ كُنتُم أَعدَاءً فأَلَّفَ بَينَ قُلوبِكم... } [آل عمران: ١٠٣]	٦٤
اللفظ السادس عشر : {...وَمَا تخفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ... } [آل عمران: ١١٨]	٦٨
اللفظ السابع عشر : {...إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران: ١١٩]	٧٠
اللفظ الثامن عشر : {وَمَا جَعَلهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشرَى لكم وَلِتطْمَئِنَّ قُلوبُكم... } [آل عمران: ١٢٦]	٧٣
اللفظ التاسع عشر : {سَنُلقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كفرُوا الرُّعبَ... } [آل عمران: ١٥١]	٧٥
الألفاظ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون : {...وَلِيَبَتلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكم وَلِيُمَحصَ مَا فِي قُلُوبِكم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران: ١٥٤]	٧٧
اللفظ الثالث والعشرون : {...لِيَجعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسرَةً فِي قُلوبِهِم... } [آل عمران: ١٥٦]	٨٠
اللفظ الرابع والعشرون : {...وَلو كنْتَ فظاً غلِيظَ الْقَلبِ لانْفضُّوا... } [آل عمران: ١٥٩]	٨٣
اللفظ الخامس والعشرون: {...يَقُولُونَ بِأَفوَاهِهِم مَاليسَ فِي قُلوبِهِم... } [آل عمران : ١٦٧]	٨٦
اللفظ السادس والعشرون : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلوبِهِم... } [النساء : ٦٣]	٨٨
اللفظ السابع والعشرون : {...أَو جَاءُوكم حَصِرَتْ صُدُورُهُم أَن يُقَاتِلوكم... } [النساء: ٩٠]	٩٠
اللفظ الثامن والعشرون : {...وَقولِهِم قُلوبُنا غُلف بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا... } [النساء : ١٥٥]	٩٢

اللفظ التاسع والعشرون : { ...وَاتَّقوا اللّهَ إنَّ اللّهَ عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدُور } [المائدة : ٧]	٩٤
اللفظ الثلاثون : { فبِمَا نقْضِهِم مِيثَاقَهُم لعَنَّاهُم وَجَعَلنَا قُلوبَهُم قَاسِيَة... } [المائدة : ١٣]	٩٧
اللفظان الحادي والثلاثون والثاني والثلاثون : { ... قَالُوا ءامَنَّا بِأَفْوَاهِهِم و لم تؤمن قُلوبُهُم... } [المائدة : ٤١]	٩٩
اللفظ الثالث والثلاثون : { فَترَى الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ... } [المائدة : ٥٢]	١٠١
اللفظ الرابع والثلاثون : { قَالُوا نرِيدُ أَن نأكلَ مِنهَا وَتطْمَئِنَّ قُلوبُنَا... } [المائدة : ١١٣]	١٠٢
اللفظ الخامس والثلاثون : { ...وَجَعَلنَا عَلى قُلوبِهِم أكِنَّةً أن يَفقهُوهُ... } [الأنعام : ٢٥]	١٠٤
اللفظ السادس والثلاثون : { ...وَلكِن قسَت قُلوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ... } [الأنعام : ٣٤]	١٠٦
اللفظ السابع والثلاثون : { قلْ أرَأيْتم إن أخذ اللّهُ سَمعكم وأبصَارَكم وَخَتَم عَلى قُلوبِكم... } [الأنعام : ٤٦]	١٠٨
اللفظ الثامن والثلاثون : { وَنقَلِّبُ أَفْئِدَتهُم وَأَبصَارَهُم... } [الأنعام : ١١٠]	١١٠
اللفظ التاسع والثلاثون : { وَلِتصْغى إليهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ... } [الأنعام : ١١٣]	١١٤
اللفظان الأربعون و الحادي و الأربعون : { فمَن يُرِدِ اللّهُ أن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإسلام وَمَن يُرِد أن يُضِلَّهُ يَجعَلْ صَدرَهُ ضَيِّقًا... } [الأنعام : ١٢٥]	١١٧
اللفظ الثاني والأربعون : { ...فلا يكن فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ... } [الأعراف : ٢]	١٢٠
اللفظ الثالث والأربعون : { وَنزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلّ... } [الأعراف : ٤٣]	١٢٢
اللفظ الرابع والأربعون : { ...وَنطْبَعُ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَسمَعُونَ } [الأعراف : ١٠٠]	١٢٦
اللفظ الخامس والأربعون : { ...كذلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلى قُلوبِ الْكَافِرِينَ } [الأعراف : ١٠١]	١٢٨
اللفظ السادس والأربعون : { ...لهُم قُلوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا... } [الأعراف : ١٧٩]	١٣٠
اللفظ السابع والأربعون : { ...الَّذِينَ إذا ذكِرَ اللّهُ وَجِلتْ قُلوبُهُم... } [الأنفال : ٢]	١٣٢
اللفظ الثامن والأربعون : { وَمَا جَعَلهُ اللّهُ إلاَّ بُشرَى وَلِتطْمَئِنَّ بِهِ قُلوبُكم... } [الأنفال : ١٠]	١٣٧
اللفظ التاسع والأربعون : { ...وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلوبِكم وَيُثبِّت بِهِ الأَقْدَامَ } [الأنفال : ١١]	١٤٠
اللفظ الخمسون : { ...سَأُلقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كفَرُوا الرُّعبَ... } [الأنفال : ١٢]	١٤٣
اللفظ الحادي و الخمسون : { ...وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَينَ الْمَرءِ وَقلْبِهِ... } [الأنفال : ٢٤]	١٤٥
اللفظ الثاني و الخمسون : { ...إنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [الأنفال : ٤٣]	١٤٩
اللفظ الثالث و الخمسون : { إ ذ يَقُولُ الْمُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... } [الأنفال : ٤٩]	١٥١
اللفظان الرابع و الخمسون والخامس والخمسون : { وَأَلَّفَ بَينَ قُلوبِهِم لو أنفقت مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلوبِهِم... } [الأنفال : ٦٣]	١٥٤
اللفظ السادس والخمسون : { ...إن يَعلَمِ اللّهُ فِي قُلوبِكم خَيرًا... } [الأنفال : ٧٠]	١٥٨
اللفظ السابع والخمسون : { ...يُرضُونَكم بِأَفوَاهِهِم وَتَأْبَى قُلوبُهُم... } [التوبة : ٨]	١٦٠
اللفظان الثامن والخمسون و التاسع والخمسون : { ...وَيَشْفِ صُدُورَ قومٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِب	١٦٢

غيظ قُلوبِهِم... } [التوبة :١٤-١٥]	
اللفظ الستون : { ...لا يُؤمنونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَارتَابَتْ قُلوبُهُم... } [التوبة :٤٥]	١٦٥
اللفظ الحادي و الستون : {...وَالْعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلوبُهُم... } [التوبة: ٦٠]	١٦٧
اللفظ الثاني و الستون : {...سُورَة تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلوبِهِم... } [التوبة :٦٤]	١٦٩
اللفظ الثالث والستون : { فأَعقَبَهُم نِفَاقًا فِي قُلوبِهِم... } [التوبة: ٧٧]	١٧١
اللفظ الرابع والستون : {...وَطُبِعَ عَلَى قُلوبِهِم فهُم لا يَفْقَهُونَ } [التوبة: ٨٧]	١٧٤
اللفظ الخامس والستون : {...وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلوبِهِم فهُم لا يَعلَمُونَ } [التوبة: ٩٣]	١٧٦
اللفظان السادس والستون والسابع والستون : { ...لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنوا رِيبَةً فِي قُلوبِهِم إلاَّ أَن تَقطَّعَ قُلوبُهُم } [التوبة :١١٠]	١٧٨
اللفظ الثامن والستون :{...مِن بَعدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ مِنهُم... } [التوبة: ١١٧]	١٨٠
اللفظ التاسع والستون : { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... } [التوبة: ١٢٥]	١٨٢
اللفظ السبعون : {...صَرَفَ اللَّهُ قُلوبَهُم بِأَنَّهُم قومٌ لا يَفْقَهُونَ } [التوبة: ١٢٧]	١٨٤
اللفظ الحادي والسبعون : {...وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى... } [يونس: ٥٧]	١٨٦
اللفظ الثاني والسبعون : { ...كذلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعتَدِينَ } [يونس: ٧٤]	١٨٩
اللفظ الثالث والسبعون : {...رَبَّنَا اطمِس عَلَى أَموَالِهِم وَا شدُد عَلَى قُلوبِهِم... } [يونس: ٨٨]	١٩١
اللفظ الرابع والسبعون : {...إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ } [هود: ٥]	١٩٤
اللفظ الخامس والسبعون : { فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعضَ مَا يُوحَى إِليكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدرُكَ... }[هود : ١٢]	١٩٧
اللفظ السادس والسبعون : { وَ كلاًّ نَقصُّ عَليكَ مِن أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَانثَبِّت بِهِ فؤَادَكَ... } [هود: ١٢٠]	٢٠٠
اللفظان السابع والسبعون و الثامن والسبعون : {...وَتَطْمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تطْمَئِنُّ الْقُلوبُ } [الرعد: ٢٨]	٢٠٣
اللفظ التاسع والسبعون : {...فاجعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تهوِي إِليهِم... } [إبراهيم: ٣٧]	٢٠٦
اللفظ الثمانون : { ...لا يَرتَدُّ إِليهِم طَرفُهُم وَأَفْئِدَتهُم هَوَاءٌ... } [إبراهيم : ٤٣]	٢٠٨
اللفظ الحادي والثمانون : { كذلِكَ نَسْلكهُ فِي قُلوبِ الْمُجرمِينَ } [الحجر: ١٢]	٢١١
اللفظ الثاني والثمانون : { وَنزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلٍّ... } [الحجر: ٤٧]	٢١٣
اللفظ الثالث والثمانون : { وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدرُكَ بِمَا يَقولُونَ } [الحجر: ٩٧]	٢١٥
اللفظ الرابع والثمانون : {...فالَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ قُلوبُهُم مُنْكِرَة... } [النحل: ٢٢]	٢١٨
اللفظ الخامس والثمانون : {...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَة... } [النحل: ٧٨]	٢٢١
اللفظان السادس والثمانون والسابع والثمانون: {...إلاَّ مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلكِن مَن شَرَحَ بِالْكفرِ صَدرًا... } [النحل: ١٠٦]	٢٢٣
اللفظ الثامن والثمانون : { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلوبِهِم... } [النحل: ١٠٨]	٢٢٥

اللفظ التاسع والثمانون : {...إِنَّ السَّمعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ...} [الإسراء :٣٦]	٢٢٧
اللفظ التسعون : {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلوبِهِم أَكِنَّةً...} [الإسراء :٤٦]	٢٣٠
اللفظ الحادي والتسعون : {أَو خَلْقًا مِمَّا يَكبُرُ فِي صُدُورِكم...} [الإسراء :٥١]	٢٣٢
اللفظ الثاني والتسعون : {وَرَبَطْنَا عَلى قُلوبِهِم...} [الكهف :١٤]	٢٣٦
اللفظ الثالث والتسعون : {...وَلاتطِع مَن أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكرِنا...} [الكهف :٢٨]	٢٣٩
اللفظ الرابع والتسعون : {...إِنَّا جَعَلْنَا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً...} [الكهف :٥٧]	٢٤١
اللفظ الخامس والتسعون : {قَالَ رَبِ ا شرَح لِي صَدرِي} [طه :٢٥]	٢٤٣
اللفظ السادس والتسعون : {لاهِيَةً قُلوبُهُم وَأَسَرُّوا النَّجوَى...} [الأنبياء :٣]	٢٤٦
اللفظ السابع والتسعون : {...فَإِنَّهَا مِن تقوَى ٱلْقُلوبِ} [الحج :٣٢]	٢٤٩
اللفظ الثامن والتسعون : {الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُم...} [الحج :٣٥]	٢٥٢
اللفظان التاسع والتسعون والمئة : {...فَتَكونَ لهُم قُلُوبٌ يَعقِلونَ بِهَا...وَلكِن تعمَى ٱلْقُلوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[الحج :٤٦]	٢٥٥
اللفظان الأول والثاني بعد المئة : {...فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم...} [الحج :٥٣]	٢٥٩
اللفظ الثالث بعد المئة : {...فَيُؤْمِنوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلوبُهُم...} [الحج :٥٤]	٢٦١
اللفظ الرابع بعد المئة : {وَالَّذِينَ يُؤْتونَ مَا ءَاتَوا وَقُلوبُهُم وَجِلَة...} [المؤمنون :٦٠]	٢٦٣
اللفظ الخامس بعد المئة : {بَلْ قُلوبُهُم فِي غَمرَةٍ مِن هَذا...} [المؤمنون :٦٣]	٢٦٥
اللفظ السادس بعد المئة : {وَهُوَ الَّذِي أَنْشأَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَالأَفْئِدَةَ...} [المؤمنون :٧٨]	٢٦٧
اللفظ السابع بعد المئة : {...يَخافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلوبُ وَالأَبصَارُ}[النور :٣٧]	٢٦٩
اللفظ الثامن بعد المئة : {أَفِي قُلوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا...} [النور :٥٠]	٢٧٣
اللفظ التاسع بعد المئة: {...كَذلِكَ لِنُثَبِت بِهِ فُؤَادَكَ...} [الفرقان :٣٢]	٢٧٤
اللفظ العاشر بعد المئة : {وَيَضِيقُ صَدرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي...} [الشعراء :١٣]	٢٧٦
اللفظ الحادي عشر بعد المئة : {إِلاَّ مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم} [الشعراء :٨٨]	٢٧٨
اللفظ الثاني عشر بعد المئة : {عَلى قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشعراء :١٩٤]	٢٨١
اللفظ الثالث عشر بعد المئة :{كَذلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلوبِ ٱلْمُجرِمِينَ} [الشعراء :١٩٩]	٢٨٥
اللفظ الرابع عشر بعد المئة : {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعلَمُ مَاتكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنونَ} [النمل :٧٤]	٢٨٧
اللفظان الخامس عشر والسادس عشر بعد المئة : {وَأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِ مُوسَى فارِغًا... لولا أَن رَبَطْنَا عَلى قَلْبِهَا...} [القصص :١٠]	٢٩١
اللفظ السابع عشر بعد المئة : {وَرَبُّكَ يَعلَمُ مَاتكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنونَ} [القصص :٦٩]	٢٩٤
اللفظ الثامن عشر بعد المئة : {...أَوَلَيسَ اللَّهُ بِأَعلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلعَالَمِينَ} [العنكبوت :١٠]	٢٩٧

اللفظ التاسع عشر بعد المئة : { بَلْ هُوَ ءَايَا ت بَيِّنا ت فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ} ... [العنكبوت: ٤٩]	٣٠٠
اللفظ العشرون بعد المئة : { كذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلوبِ الَّذِينَ لا يَعلَمُون }[الروم: ٥٩]	٣٠٣
اللفظ الحادي والعشرون بعد المئة : {...عَمِلوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور } [لقمان: ٢٣]	٣٠٥
اللفظ الثاني والعشرون بعد المئة : {...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَة... } [السجدة: ٩]	٣٠٧
اللفظ الثالث والعشرون بعد المئة : { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَين فِي جَوفِهِ... } [الأحزاب : ٤]	٣١٠
اللفظ الرابع والعشرون بعد المئة : {...وَلكِن مَا تعَمَّدَت قُلوبُكم... } [الأحزاب: ٥]	٣١٢
اللفظ الخامس والعشرون بعد المئة :{...وَإِذْ زَاغتِ الأَبصَارُ وَبَلغتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ... }[الأحزاب : ١٠]	٣١٥
اللفظ السادس والعشرون بعد المئة : { وَإِذْ يَقول الْمُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... }[الأحزاب: ١٢]	٣١٨
اللفظ السابع والعشرون بعد المئة : {...وَقذف فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ... } [الأحزاب: ٢٦]	٣٢٠
اللفظ الثامن والعشرون بعد المئة : {...فلا تخْضَعنَ بِالْقولِ فيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ... }[الأحزاب: ٣٢]	٣٢٢
اللفظ التاسع والعشرون بعد المئة : {...وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا فِي قُلوبِكم وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا }[الأحزاب: ٥١]	٣٢٤
اللفظان الثلاثون والحادي والثلاثون بعد المئة : { ...ذلِكم أَطْهَرُ لِقلوبِكم وَقُلوبِهِنَّ...} [الأحزاب: ٥٣]	٣٢٦
اللفظ الثاني والثلاثون بعد المئة : { لئِن لم يَنْتهِ الْمُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ ...} [الأحزاب : ٦٠]	٣٢٨
اللفظ الثالث والثلاثون بعد المئة : {...حَتَّى إِ ذا فزعَ عَن قُلوبِهِم... } [سبأ: ٢٣]	٣٣٠
اللفظ الرابع والثلاثون بعد المئة : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور }[فاطر: ٣٨]	٣٣٢
اللفظ الخامس والثلاثون بعد المئة : { إِ ذ جَاءَ رَبَّهُ بِقلْبٍ سَلِيم } [الصافات: ٨٤]	٣٣٤
اللفظ السادس والثلاثون بعد المئة : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُور }[الزمر: ٧]	٣٣٦
اللفظان السابع والثلاثون و الثامن والثلاثون بعد المئة : { أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ لِلإِسلام ... فَوَيلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم... } [الزمر: ٢٢]	٣٣٨
اللفظ التاسع والثلاثون بعد المئة : {...ثمَّ تَلِينُ جُلودُهُم وَقُلوبُهُم إِلى ذِكْرِ اللَّهِ... } [الزمر : ٢٣]	٣٤٢
اللفظ الأربعون بعد المئة : { وَإِذا ذكِرَ اللَّهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قُلوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ...} [الزمر : ٤٥]	٣٤٥
اللفظ الحادي و الأربعون بعد المئة : { وَأَنذِرهُم يومَ الآزِفةِ إِذِ الْقُلوبُ لدَى الْحَنَاجِرِ} ... [غافر: ١٨]	٣٤٩

اللفظ الثاني و الأربعون بعد المئة : { يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ وَماتخفِي الصُّدُور} [غافر :١٩]	٣٥١
اللفظ الثالث والأربعون بعد المئة : { ... كَذلِكَ يَطبَعُ اللَّهُ عَلى كلِّ قَلْبِ مُتَكبرٍ جَبَّار} [غافر : ٣٥]	٣٥٤
اللفظ الرابع والأربعون بعد المئة : {...إِ ن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ... } [غافر : ٥٦]	٣٥٥
اللفظ الخامس والأربعون بعد المئة : {...وَلِتَبْلغوا عَليهَا حَاجَة فِي صُدُوركم...} [غافر :٨٠]	٣٥٧
اللفظ السادس والأربعون بعد المئة : { وقَالُوا قُلوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تدعُوَنا إِليهِ...} [فصلت : ٥]	٣٥٩
اللفظان السابع والأربعون و الثامن والأربعون بعد المئة : {...فإِن يَشأِ اللَّهُ يَختِم عَلى قَلْبِكَ ...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [الشورى :٢٤]	٣٦٢
اللفظ التاسع و الأربعون بعد المئة : {...وَ خَتمَ عَلى سَمعِهِ وَقَلْبِهِ... } [الجاثية :٢٣]	٣٦٥
اللفظان الخمسون و الحادي والخمسون بعد المئة : {...وَجَعَلْنَا لهُم سَمعًا وَأَبصَارًا وَأَفْئِدَةًفما أَغْنى عَنهُم سَمعُهُم وَلا أَبصَارُهُم وَلا أَفْئِدَتهُم... } [الأحقاف :٢٦]	٣٦٨
اللفظ الثاني والخمسون بعد المئة : {...أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم... } [محمَّد :١٦]	٣٧٠
اللفظ الثالث والخمسون بعد المئة : {...رَأَيت الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِليكَ... }[محمَّد :٢٠]	٣٧٢
اللفظ الرابع والخمسون بعد المئة : { أَفلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءَانَ أَم عَلى قُلوبٍ أَقْفالُهَا} [محمَّد : ٢٤]	٣٧٤
اللفظ الخامس والخمسون بعد المئة : { أَم حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ ... } [محمَّد :٢٩]	٣٧٧
اللفظ السادس والخمسون بعد المئة : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ... } [الفتح :٤]	٣٧٩
اللفظ السابع والخمسون بعد المئة : {...يَقُولُونَ بِأَلْسِنتِهِم مَا ليسَ فِي قُلوبِهِم... } [الفتح : ١١]	٣٨١
اللفظ الثامن والخمسون بعد المئة : {...أَبَدًا وَزُيِنَ ذلِكَ فِي قُلوبِكم... } [الفتح :١٢]	٣٨٣
اللفظ التاسع والخمسون بعد المئة : {...فعَلِمَ مَا فِي قُلوبِهِم... } [الفتح :١٨]	٣٨٥
اللفظ الستون بعد المئة : { إِ ذ جَعَلَ الَّذِينَ كَفرُوا فِي قُلوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ... } [الفتح :٢٦]	٣٨٨
اللفظ الحادي و الستون بعد المئة: {...أُولَئِكَ الَّذِينَ امتحَنَ اللَّهُ قُلوبَهُم... } [الحجرات :٣]	٣٩١
اللفظ الثاني والستون بعد المئة : {...وَلكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكم... } [الحجرات :٧]	٣٩٣
اللفظ الثالث والستون بعد المئة : {...وَلمَّا يَدخلِ الإِيمَانُ فِي قُلوبِكم... } [الحجرات :١٤]	٣٩٥
اللفظ الرابع والستون بعد المئة : { مَن خَشِيَ الرَّحمَنَ بِالْغيبِ وَجَاءَ بِقلْبٍ مُنِيبِ } [ق :٣٣]	٣٩٧
اللفظ الخامس والستون بعد المئة : { إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ... } [ق :٣٧]	٤٠٠
اللفظ السادس والستون بعد المئة : { مَا كذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى } [النجم :١١]	٤٠٣

اللفظ السابع والستون بعد المئة : {...وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور } [الحديد: ٦]	٤٠٧
اللفظان الثامن والستون و التاسع والستون بعد المئة : { أَلَم يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنوا أَن تَخْشَعَ قُلوبُهُم لِذِكْرِ اللَّهِ... فطالَ عَليهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلوبُهُم... } [الحديد: ١٦]	٤٠٩
اللفظ السبعون بعد المئة : {...وَجَعَلنَا فِي قُلوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً... } [الحديد: ٢٧]	٤١١
اللفظ الحادي والسبعون بعد المئة : {...أُوَلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلوبِهِمُ الإِيمَانَ... } [المجادلة: ٢٢]	٤١٣
اللفظ الثاني والسبعون بعد المئة : {...وَقذفَ فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ... } [الحشر: ٢]	٤١٥
اللفظ الثالث والسبعون بعد المئة : {...وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَةً... } [الحشر: ٩]	٤١٧
اللفظ الرابع والسبعون بعد المئة : {...وَلاتجعَلْ فِي قُلوبِنا غِلاًّ... } [الحشر: ١٠]	٤٢٠
اللفظ الخامس والسبعون بعد المئة : { لأَنْتم أَ شَدُّ رَهبَةً فِي صُدُورِهِم... } [الحشر: ١٣]	٤٢٣
اللفظ السادس والسبعون بعد المئة : {...تحسَبُهُم جَمِيعًا وَقُلوبُهُم شتَّى... } [الحشر: ١٤]	٤٢٤
اللفظ السابع والسبعون بعد المئة : {...فَلمَّا زَاغوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلوبَهُم... } [الصف: ٥]	٤٢٦
اللفظ الثامن والسبعون بعد المئة : { ذلِكَ بِأَنَّهُم ءَامَنوا ثمَّ كَفرُوا فطبِعَ عَلى قُلوبِهِم...} [المنافقون: ١]	٤٢٨
اللفظ التاسع والسبعون بعد المئة : {...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [التغابن: ٤]	٤٣١
اللفظ الثمانون بعد المئة : {...وَمَن يُؤمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلْبَهُ... } [التغابن: ١١]	٤٣٣
اللفظ الحادي والثمانون بعد المئة : { إن تتوبَا إِلى اللَّهِ فَقد صَغت قُلوبُكُمَا... } [التحريم: ٤]	٤٣٦
اللفظ الثاني والثمانون بعد المئة : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور }[الملك: ١٣]	٤٣٩
اللفظ الثالث والثمانون بعد المئة : {...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَالأَفْئِدَةَ... } [الملك: ٢٣]	٤٤٢
اللفظ الرابع والثمانون بعد المئة : {...وَلِيقولَ الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... } [المدَّثر: ٣١]	٤٤٤
اللفظ الخامس والثمانون بعد المئة : { قُلُوبٌ يَومَئِذٍ وَاجِفَةٌ... } [النازعات: ٧]	٤٤٦
اللفظ السادس والثمانون بعد المئة : { كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهِم مَا كانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين: ١٤]	٤٤٨
اللفظ السابع والثمانون بعد المئة : { أَلَم نشرَح لكَ صَدرَكَ } [الشرح: ١]	٤٥١
اللفظ الثامن والثمانون بعد المئة : { وَحُصلَ مَا فِي الصُّدُور }[العاديات: ٩]	٤٥٣
اللفظ التاسع والثمانون بعد المئة : { الَّتِي تَطَّلِعُ عَلى الأَفْئِدَةِ } [الهمزة: ٦]	٤٥٥
اللفظ التسعون بعد المئة : { الَّذِي يُوَسوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } [الناس: ٥]	٤٥٧
دعاء الختام	٤٥٩
المصادر والمراجع	٤٦٠

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين :{ يَومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنونَ (٨٨) إلاَّ مَن أَتى اللَّهَ بِقلْبٍ سَلِيمٍ }[الشعراء :٨٨ -٨٩] والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، القائل: «إنه ليُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة»[١]، ورضي الله تعالى عن أصحابه الكرام » (أجمعين ، وعلى رأسهم سيدنا أبو بكر الصديق الذي قيل فيه: (ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وَقر في قلبه) ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين يقولون : {رَبَّنا لا تزغ قُلوبَنا بعدَ إذ هَدَيتَنا وَهَب لَنا مِن لَدُنْكَ رَحمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران : ٨] .وبعد: القلب في الإنسان كالهدف للرامي ، ينزل عليه من عالم الغيب الخيرُ والشر بشكل مستمر دون انقطاع ، فيكون ككرة عليها بقع سوداء متفرقة ، إذا تدحرجت ترى هذه البقع كالحلقة حول الكرة ، لعدم وجود وسعة يظهر فيها الانقطاع ، وحال القلب في نزول الخير والشر عليه هكذا .الخير يأتي من الله بواسطة الملائكة ، والشر يأتي من الشيطان إلى النفس ومن النفس يصل إلى القلب ، فحال هذا القلب أمر غامض ، وهو دائمًا في تقلُّب .فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :كثيرًا ما كان النبي

١– أخرجه مسلم.

صلى الله عليه وسلم يحلف: « لا ومقلِّبَ القلوب » [١] وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول : « يا مُقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت :يا نبي الله !آمنّا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: « نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلِّبها كيف يشاء »[٢] معنى ذلك أن قلوب جميع الناس تتقلب.

والقلب في تقّلبه على واحد من ثلاثة أحوال :الأول :قلب يأخذ صاحبُه بمجاهدة النفس ورياضتها واجتناب المعاصي وفعل الأوامر ، فيحصل له زكاء وتطهير .وهذا القلب لا يحصل إلا لمن وفَّقه الله تعالى أن يحافظ على قلبه بأن لا يدخله سواه عز وجل.

هذا القلب تجد منه الملائكة طيبًا وجوهرًا فيوجهونه إلى الخيرات ، فيتفكَّر بما بعد الموت ، ويتفكَّر في مخلوقات الله جلَّ جلاله ، ويتفكر في الحشر والنشر والجنَّة والنَّار وفي عذاب الله وعقابه وفي نعيمه ، فيغلب على قلب هذا الإنسان وعقله وروحه فعلُ أوامر الله سبحانه وتعالى واجتنابُ نواهيه.والثاني :قلب منكوس ، لا يدخل فيه خير ولا يخرج منه شر، فكأنه في بيت بارد جامد، والعالَم تحت الشمس، فهل تصل إليه حرارتها ؟ لا .وبهذا يذهب على العمى.

١ - أخرجه البخاري.

٢ – أخرجه الترمذي وحسنه.

والثالث :قلب تنور بالإيمان ، لكنه أحيانًا يكون في يد الملائكة وأحيانًا في يد الشياطين، فملَك يجره إلى خير ، ومَلك آخر يجره إلى خير آخر ، وشيطان يجره إلى شر ، وشيطان آخر يجره إلى شر آخر ، وهو متردد بين الملائكة والشياطين ، يحاول أن يخلص من الشياطين فلا يستطيع. وثبات القلب عمومًا على ما أراد الله من عباده من النوادر . عصمنا الله وإياكم والمؤمنين جميعًا بجاه سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام .وقد بين علماؤنا – رضي الله تعالى عنهم – ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يُعفى عنه ولا يؤاخذ به.

فاعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة[١] العلماء بالشرع .فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « عُفِيَ عَنْ أُمتِي ما حَدَثت به نُفوسَها[٢] ما لَمْ تَتكلَّمْ بِهِ أَوْ تعْمَلْ بِه»[٣] وقال أبو هريرة رضي الله عنه :قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « إ ن الله تعَالَى يَقولُ لِلْحَفظةِ :إذا هَم عَبْدِي بِسَيئَةٍ فلا تكْتُبوها فإنْ عَمِلها فاكْتُبوها سَيئَة، وَإذا هَم بِحَسَنةٍ وَلمْ يَعْمَلها فاكْتُبوها حَسَنةً فإنْ عَمِلها فاكْتُبوها عَشْرًا[٤]» وهو دليل على

١– سماسرة العلماء : نُقادهم وأذكياؤهم .

٢– قال النووي في شرحه لصحيح مسلم :ضبِطَ العلماء أنفسها بالنصب والرفع، وهما ظاهران، إلا أن النصب أظهر وأشهر .قال القاضي عياض :أنفسَها بالنصب، ويدلُّ عليه قوله : إن أحدن حدث نفسَه .قال الطحاوي :وأهل اللغة يقولون أنفسُها بالرفع، يريدون بغير اختيارها .قال تعالى :{وَ نعلَمُ مَا توَسوِسُ بِهِ نَفْسُه}[ق :١٦ .] والله أعلم.

٣ –أخرجه البخاري ومسلم .

٤ –أخرجه البخاري ومسلم.

العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة .وفي لفظ آخر:« مَنْ هم بِحَسَنةٍ فَلمْ يَعْمَلها كتِبَتْ لَهُ حَسَنة، وَمَنْ هَم بِحَسَنةٍ فعمِلها كتِبَتْ لَهُ إلَى سَبْعَمائَةِ ضِعْفٍ ، وَمَنْ هَم بِسَيئَةٍ فَلمْ يَعْمَلها لمْ تكتَبْ عَليْهِ وإنْ عَمِلها كتِبَتْ» ، وفي لفظ آخر: « وَإذا تحَدث بِأنْ يَعْمَلَ سَيئَة فأنا أغفِرُها لَهُ مَا لمْ يَعْمَلها»، وكلُّ ذلك يدل على العفو .فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه :{ إن تبدُوا مَا في أنْفسِكم أو تخْفوهُ يُحَاسِبكم بِهِ اللّهُ فيَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ } [البقرة :٢٨٤] ، وقوله تعالى :{ وَلا تَقْفُ مَا ليسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمعَ والبَصَرَ والْفؤَادَ كلُّ أُوَلئِكَ كَانَ عَنْهُ مسؤُولا } [الإسراء :٣٦] ، فدلَّ على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر ، فلا يُعفى عنه ، وقوله تعالى :{ وَلا تكْتمُوا الشَّهَادَة وَمَن يَكْتمهَا فإنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ } [البقرة :٢٨٣] ، وقوله تعالى : {لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ باللَّغوِ في أيمَانِكم وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم} [البقرة :٢٢٥] والحقُّ عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح ، فنقول :أول ما يرد على القلب الخاطر ، كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق ، لو التفت إليها لرآها .والثاني :هيجان الرغبة إلى النظر ، وهو حركة الشهوة في الطبع ،وهذا يتولد من الخاطر الأول ، ونسميه : ميلَ الطبع ، ويسمى الأولُ : حديث النفس.

والثالث :حُكمُ القلب بأن هذا ينبغي أن يُفعل ، أي :ينبغي أن ينظر إليها ، فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف ، فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات ، وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل ، وهو على كل حال حُكم من جهة العقل ، ويسمى هذا :اعتقادًا ، وهو يتبع الخاطر والميل .الرابع :تصميم العزم على

الالتفات وجزم النية فيه ، وهذا نسميه :همًا بالفعل ونية وقصدًا ، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ، ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكَّد هذا الهم وصار إرادة مجزومة ، فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل ، وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه ، وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل . فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة :الخاطر وهو حديث النفس ، ثم الميل ، ثم الاعتقاد ، ثم الهم .فنقول :أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار ، وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضًا تحت الاختيار ، وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم: « عُفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها» فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس ، بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم :يا رسول الله !نفسي تحدثني أن أطلّق خولة ، قال:« مَهْلا إن مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ» قال : نفسي تحدثني أن أجب نفسي، قال: « مَهْلا خِصَاءُ أُمتِي دُؤُوبُ الصيامِ» قال : نفسي تحدثني أن أترهب، قال: « مَهْلا رَهْبَانِية أُمتِي الجِهَادُ وَالحَج» قال :نفسي تحدثني أن أترك اللحم ، قال: « مَهْلا فإنِّي أُحِبهُ وَلوْ أَصَبْتُهُ لأَكلتهُ وَ لوْ سَأَلْت الله لأَطعَمَنِيهِ»[١] ، فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ، ولذلك شاور رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل .وأما الثالث :وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل ، فهذا تردد بين أن يكون اضطرارًا أو اختيارًا ، والأحوال تختلف فيه ، فالاختياري منه

١– قال العراقي :رواه الحكيم الترمذي في النوادر من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا.

يؤاخذ به ، والاضطراري لا يؤاخذ به .وأما الرابع :وهو الهم بالفعل ؛ فإنه مؤاخذ به ،إلا أنه إن لم يفعل نظِر فإن كان قد تركه خوفًا من الله تعالى وندمًا على همه كتبت له حسنة ، لأن همه سيئة وامتناعَه ومجاهدَته نفسَه حسنة ، والهم على وفق الطبع ، مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى ، والامتناعُ بالمجاهدة على خلاف الطبع ، يحتاج إلى قوة عظيمة ، فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى ، والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع ، فكتِب له حسنة ، لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل ، وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفًا من الله تعالى كتبت عليه سيئة ، فإن همه فعلٌ من القلب اختياري .والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث .قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « قَالَتِ المَلائِكَة عَلَيْهِمُ السلامُ :رَب ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيئَةً وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ ، فَقَالَ :ارْقبُوهُ ، فإنْ هُوَ عَمِلها فاكْتُبُوها لَهُ بِمِثْلِها ، وَإنْ تَركها فاكْتُبوها لَهُ حَسَنةً ، إنَّما تَركَها مِنْ جَرائِي»[(١)] ، وحيث قال : فإن لم يعملها :أراد به تركها لله ، فأما إذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تُكتب له حسنة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم« إنَّمَا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِياتِهِمْ » [(٢)] ، ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقتل مسلمًا أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مُصِرًا ، ويُحشر على نيته ،وقد هم بسيئة ولم يعملها.

---

١ – أخرجه مسلم ، وأحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ – أخرجه ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه دون قوله :(إنما).وأخرجه أحمد عن أبي هريرة(رضي الله عنه) .« إنما يُبعث الناس على نياتهم »

والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا الْتَقى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهما فالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النّارِ » ، فقيل :يا رسول الله !هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: « لأَنَّهُ أَرَادَ قتْلَ صَاحِبِهِ»(١) ، وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار ، مع أنه قتل مظلومًا ، فكيف يُظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم ؟ بل كلُّ هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به ، إلا أن يكفِّره بحسنة ، ونقضُ العزم بالندم حسنة، فلذلك كتبت له حسنة ، فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة .وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار ، فالمؤاخذة به تكليف ما لا يُطاق، ولذلك لما نزل قوله تعالى :{وإن تبدُوا ما في أَنْفسِكم أو تُخْفوهُ يُحَاسِبكم بِهِ اللَّهُ } [البقرة : ٢٨٤] ، جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : كلِّفنا ما لا نطيق ، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسَب بذلك ، فقال « : لعَلّكُمْ تُقوُلونَ كمَا قَالَتِ اليَهُودُ :سَمِعْنا وَعَصَيْنا، قوُلوا سَمِعْنا وَأَطعْنا»(٢) ، فَقَالُوا : سَمِعْنا وَأَطعْنا ، فأنزل الله الفرَج بعد سنة بقوله:{ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسعَهَا } [البقرة : ٢٨٦] ، فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به .فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس .وكلُّ من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط ، وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب ؟ بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ؟ أي ما يدخل تحت الاختيار .فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به ، فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذًا به لأنه مختار ، فكذا

١– أخرجه البخاري ومسلم.

٢– أخرجه مسلم.

خواطر القلب تجري هذا المجرى ، بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل .قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« التَّقْوَى ههُنا وَأَشَارَ إِلَى القَلْبِ»[1] وقال الله تعالى:{ **لن يَنالَ اللَّهَ لحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلكِن يَنالُهُ التَّقْوَى مِنكم** } [الحج: ٣٧]، وقال: « الإِثْمُ حَوَاز[2] الْقُلوبِ»[3] ، وقال: « البِر ما اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ »[4]

حتى إنا نقول :إذا حكم القلب المفتي بإيجاب شيء وكان مخطئًا فيه صار مثابًا عليه ، بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي ، فإن صلَّى ثم تذكَّر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله ، فإن تذكَّر ثم تركه كان معاقبًا عليه .ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعصِ بوطئها وإن كانت أجنبية ، فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته .وكلُّ ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.

فالاهتمام بالقلب ثابت في الآيات القرآنية وفي الأحاديث النبوية . وقوله صلى الله عليه وسلم: « يا مقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك»[5]يدل على أن الله تعالى أطلعه على تقلب القلوب ، فطلب من الله الثبات لقلبه وقلوب المؤمنين جميعًا .فلا بد من المجاهدة ، لقول الله تعالى :{**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحسِنِينَ**} [العنكبوت : ٦٩] ، لأننا إذا جاهدنا نخلِّص قلوبنا من سيطرة النفس الأمارة ، وعندئذ إذا جاء الشيطان بالوساوس والخطرات نرجو الله تعالى أن لا يؤاخذنا بها.

١- أخرجه مسلم والترمذي .

٢- حوَّاز :بتشديد الواو والزاي يعني ما يؤثِّر فيها فيحزُّها ، أو يحوزها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها .

٣- قال العراقي :أخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والعدَني في مسنده موقوفًا عليه .

٤ -أخرجه الطبراني وأحمد من حديث وابصة بلفظ: (وإن أفتاك الناس وأفتوك)

٥- أخرجه الترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه، والحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه.

ولأهمية القلب فإن أهل التصوف مذ سيدنا أبي بكر وسيدنا علي رضي الله عنهما ، وأولياء الله الكمل أمثال الشيخ عبدالقادر الجيلاني ومعروف الكرخي والإمام أبي الحسن الشاذلي وشاه نقشبندي والإمام الغزالي وبديع الزمان الأستاذ سعيد النُّورْسي وغيرهم إلى آخر الدنيا رضي الله تعالى عنهم جميعًا يشتغلون بإصلاح هذا القلب ، حتى يتوجه إلى الله ويُطهر ويُزكَّى وُتطبع فيه الأوامر الإلهية ، ويسكِّرون أبواب الشياطين ، لأن أهل كل المشارب والمسالك يأخذون من القرآن الكريم .ولفظ القلب صراحة وكناية جاء في القرآن الكريم (١٩٠) مرة ، تشمل(قلب – قلبين – قلوب – فؤاد – أفئدة – صدر– صدور). ولكن قدَر الله جلَّ جلاله وحكمته أن علماء الظاهر يوجهون الناس إلى الأحكام الظاهرة ، ويبينون لهم أن هذا حلال وهذا حرام ، هذا أمر وهذا نهي ، وعلماء الباطن يشتغلون بالقلب ، لأنه إذا صلح القلب صلح الجسد ، كما أنه إذا صلح أمير البلد يصلح البلد كله ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صَلحت صلح الجسد كلُّه وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[١] . لكن الاشتغال بإصلاح القلب لا يستلزم ترك ظاهر الشريعة ، ومن فعل ذلك فهو مقطوع عن الطريقة والشريعة ، بل يجب أن يعمل بظاهره بظاهر الشريعة ، وبباطنه بما أمره الله تعالى من إصلاح القلب . نرجو الله تعالى أن يجعلنا ممن تمسك بأذيال هؤلاء ، وأن يرحمنا من فضله وكرمه . فالطريقة بدون شريعة عاطلة ، والشريعة بدون تصوف ليست مقبولة.ونبين في هذا الكتاب –بعون الله تعالى – آراء المفسرين رحمهم الله باختصار حول أحوال القلب ، وما يترتب عليه من الكفر والإيمان وغير ذلك.

١– أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

وإنني أستعذر من بعض الأحباب الُقراء إذا وجدوا فيما أكتب شيئًا من الأخطاء اللغوية، لأنني لا أتفكر في قواعد اللغة العربية ، ولا في الأمور المتعلقة بالألفاظ ، فنرجو ممن اطَّلع على شيء من ذلك أن يُصلحه بقلم الإصلاح ، فالعدم لا يُنَقد بالنقصان، وإلا يكون تحصيل حاصل ، ولله در سيبويه حيث يقول:

لسان فصيح معرب في كلامهِ فيا ليَتهُ في موقف الحشر يَسْلَمُ

وهل ينفعُ الإعرابُ إن لم يكن تقى؟ وما ضر ذا تقوى لسان معَجمُ

نرجو الله جلَّ جلاله أن ينفعنا بديننا وإسلامنا واعتقادنا الصحيح ، وأن يرحمنا يوما لحشر بفضله وكرمه لا بأعمالنا ، وأن يوفِّقنا لأن نُنَزه قلوبنا عن الأخلاق الذميمة والأوصاف الناقصة ، ونهيئَها لنظر الله تعالى إليها ، فالقلب محل نظر الرب ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم[١]»[٢]. اللهم اجعلنا ممن يأتونك بقلوب سليمة { **يَومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لا بَنونَ (٨٨) إلاَّ مَن أَتى اللَّهَ بِقلْبٍ سَلِيمٍ**} [الشعراء :٨٨-٨٩]

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

أحمد فتح الله جامي

خادم الطريقة الشَّاذِلية الدرقاوية

١- ليس معنى هذا الحديث، كما يفهمه بعض الجهَّال أو المتجاهلين، أنَّ من صلحت نيَّته وصفا قلبه لم يضرَّه ترك الواجبات والعبادات العملية .فإنَّ من صلح قلبه وصفت سريرته لا يمكن أن يكون مقصرًا في حقوق الله تعالى .وإنَّما معنى الحديث أنَّ التلبُّس بصور الطاعات والعبادات دون أن يكون لها جذور من صلاح القلب وإخلاصه لا يقرب العبد إلى الله شيئًا، لأنَّ الله تعالى كما يرى ظاهرَ أعمالك يرى ما قد استقرَّ في أعماق نفسك .[أبحاث في القمَّة للدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي.]

٢- أخرجه مسلم .

اللفظ الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

(خَتمَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم وَعَلى سَمعِهِم وَعَلى أَبصارِهِم غِشاوَةٌ وَلَهُم عَذابٌ عَظيمٌ٧)

[البقرة:٧]

أقول : هذه الآية وإن كانت نازلة في الكافرين إلاَّ أنَّ فيها تحذيرًا للمسلمين ، لأن أفعال المسلمين ليست كلها من الإسلام ، وأفعال الكافرين ليست كلها من الكفر .فعلينا أن نجتنب المعاصي ونتمسك بشرع الله تعالى وبإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لا نقع تحت هذه الآية الكريمة .نرجو الله تعالى السلامة لجميع المؤمنين .اه.

الختم :الكتم ، سُمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه ، لأنه كتم له. والغِشاوة :فِعَالة ، مِن غشاه إذا غطاه ، بُنيت لما يشتمل على الشيء ، كالعصابة والعمامة .ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة ، وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنِهم على استحباب الكفر والمعاصي ، واستقباح الإيمان والطاعات ، بسب غيهم وانهماكهم في التقاليد وإعراضهم عن النظر الصحيح ، فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق ، وأسماعهم تعاف استماعه ، فتصير كأنها مستوثق منها بالختم ،

وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الأنفس والآفاق[١] كما تجتليها أعين المستبصرين ، فتصير كأنها غطِّي عليها .[٢]

وقد اختلف الناس في هذا الختم ، ولهم قولان : منهم من قال :الختم هو خلق الكفر في قلوب الكفار[٣]، ومنهم من قال : هو خلق الداعية التي إذا انضمت إلى القدرة صار مجموع القدرة معها سببًا موجبًا لوقوع الكفر[٤].[٥]

وقد وردت الآية الكريمة ناعية على الكافرين شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم ، فالختم مجازاة لكفرهم ، والله تعالى قد يسر عليهم السبل[٦] ، فلو جاهدوا لوفَّقهم ، فسقط الاعتراض بأنه إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة؟

قال الشيخ في تفسيره :وإسناد الختم إلى الله للتنبيه على أن إباءهم عن قبول الحق كالشيء الخلقي غير العرضي .اهـ

١- والتي تدل على وحدانية الله تعالى، ولذا يبقون على الكفر .

٢- تفسير البيضاوي .

٣- لأن الله تعالى يعلم في الأزل القلبَ الذي لا يقبل الإيمان ولا حقائق الربوبية، ولا يُقِرُّ بالألوهية الربَّانية، ولذا خلق الختم عليه بالكفر في الأزل.

٤ -الدَّاعي مخلوق لله جلَّ وعلا، وكذلك تحريك الداعي إلى الإيمان مخلوق أيضًا، ولكن الإنسان لم يُسَلب منه الجزء الاختياري الذي خلقه الله تعالى فيه؛ فبعد تحريك الداعي يأتي دور القدرة - وهذا هو الجزء . الاختياري- ، فإذا لم يستعمله يبقى على كفره، والله تعالى (لا يَرضَى لِعِبَادِهِ ألكفر)[الزمر: ٧]

٥ -تفسير الرازي .

٦ -وأعطاهم الجزء الاختياري.

وفي التأويلات النجمية :في الختم إشارة إلى بداية سوابق أحكام القدر بالسعادة والشقاوة على وفق الحكمة والإرادة الأزلية للخليقة ، كما قال تعالى :{ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ} [هود : ١٠٥] ، مع حسن استعداد جميعهم بقبول الإيمان والكفر ، ولهذا لما خاطب الحق ذراتهم بخطاب ألست بربكم ؟ قالوا :بلى ، جميعًا ، ثم أودع الله الذرات في القلوب والقلوبَ في الأجساد والأجسادَ في الدنيا في ظلمات ثلاث ، وكانت روزنة [١] القلوب كلها مفتوحة إلى عالم الغيب بواسطة الذرات المودعات التي سمعت خطاب الحق وشاهدت كمال الحق إلى وقت ولادة كل إنسان ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» [٢] وفيه إشارة إلى أن الله يكِل الأشقياء إلى تربية الوالدين في معنى الدين حتى يلقنوهم تقليد ما ألفوا عليه آباءهم من الضلالة فيضلوهم ، كما قال تعالى :{ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ } [الأنبياء :٥٤] ، فكانت تلك الشقاوة المقدرة مضمرة في ضلالة التقليد والصفات النفسانية الظلمانية والهوى والطبيعة ، ثم جعل تأثيرها وظلمتها ورينها يندرج إلى القلوب فيقسيها ويسودها ويغطيها ويسد روزنتها إلى الذرات فيعميها ويصمها حتى لا يبصر أهل الشقاوة ببصر الذرات من الحق ما كانوا يبصرون ولا يسمع بسمع الذرات من الحق ما كانوا يسمعون ، فينكرون على الأنبياء ويكفرون بهم وبما يدعونهم

١- الروزَنة :الكوة .

٢- أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

إليه فيختم الله شقاوتهم بكفرهم هذا ويطبع على قلوبهم[1] كقوله تعالى:{ **بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا بِكفْرِهِم**} [النساء :١٥٥]

قال القرطبي :وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مُجازاة لكفرهم ، كما قال :{**بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا بِكفْرِهِم** } ، وذكَرَ حديث تقليب القلوب: « يا مقلِّب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»وهو حديث صحيح وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قال تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض[3] ، والآخر أسود مرباد [4] كالكوز مُجَخيًا [5] لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه». قال ابن جرير :والحقُّ عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذي قال الله تعالى :{ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلوبِهِم مَا كانُوا يَكسِبُونَ**}[المطففين :١٤]».

١- فإنهم لم يُسَلبوا الجزء الاختياري الذي هم مكلَّفون به بتكاليف الشريعة، وليس لهم علم بما سبق لهم في علم الله الأزلي هل هم من الأشقياء أم من السعداء، فهم مسؤولون بالجزء الاختياري.

٢- تفسير روح البيان .

٣- لأن الإنسان سعيُه إلى الله جلَّ وعلا بالقلب لا بالبدن، والبدنُ مطيَّة القلب .

٤- رَبِدَ :اختلط سوادُه بكدرَة .

٥-أي :مائلا، وفسَّره الرَّاوي بقوله :منكوسًا.

هذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم ، ثلاثتهم عن محمد ابن عجلان به ، وقال الترمذي حسن صحيح .ثم قال ابن جرير فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص ، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى :{ خَتمَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم وَعَلى سَمعِهِم } نظير الختم والطبع على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطها عنها.(١)

قوله تعالى :{ خَتمَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم } استئناف تعليلي لِما سبق من الحكم ، وهو عدم إيمانهم .وحيث أُطلق القلب في لسان الشرع فليس المراد به الجسم الصنوبري الشكل ، فإنه للبهائم وللأموات ، بل المراد معنى آخر يسمى بالقلب أيضًا ، وهو جسم لطيف قائم بالقلب اللحماني قيام العرَض بمحله ، أو قيام الحرارة بالفحم(٢)، وهذا القلب هو الذي يحصل فيه الإدراك ، وترتسم فيه العلوم والمعارف(٣) .وهذا يوافق ما ذكره الإمام الغزالي رضي الله عنه من أن القلب قلبان :قلب رباني وقلب جسماني.

١- تفسير ابن كثير .

٢- قول الله تعالى : {أَلا لَهُ الْخَلق وَالأَمرُ } [الأعراف :٥٤] ؛ فالقلب الصنوبري اللحماني من عالم الخلق، والقلب المعنوي من عالم الأمر ، والأمرُ أفضل من الخلق.

٣- حاشية الجمل

أقول :إذا خلص هذا القلب من سيطرة النفس الأمارة فإنه يُطَلق ولا يرضى إلا بما جاء من جواره ، وهو الله جلَّ وعلا.

فعلى المؤمن أن يجاهد نفسه ويطهر قلبه من الأخلاق الذميمة التي تضر اعتقاده وإيمانه ، حينذاك يقذف الله تعالى في قلبه نورًا من عنده ، ينور به قلبَه ودماغه وعقله ، عندئذ تمصُّ اللطائف الأخرى من هذه المنوَّرات ، فتعمل كل لطيفة بالوظيفة المخصوصة بها من قِبَل خالقها وفق ما يرضيه جلَّ وعلا ، وبذلك يكون الإنسان بشرًا ظاهرًا وملَكًا باطنًا.

اللهمَّ طهر قلوبنا عن كلِّ وصف يُباعدنا عن مشاهدتك ومحبَّتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

(فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكذِبُون(١٠))

[البقرة : ١٠]

المرض صفة توجب وقوع الضرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة، ولما كان الأثر الخاص بالقلب إنما هو معرفة الله تعالى وطاعُته وعبوديُته ، فإذا وقع في القلب من الصفات ما صار مانعًا من هذه الآثار كانت تلك الصفات أمراضًا للقلب .[١]

والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ، ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها ، كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي ، لأنها مانعة من نيل الفضائل ، أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية .والآية الكريمة تحتملهما ، فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقًا على ما فات عنهم من الرياسة ، وحسدًا على ما يرون من ثبات أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستعلاء شأنه يومًا فيومًا، وزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكره، ونفوسُهم كانت موصوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم .[٢]

١- تفسير الرازي .

٢- تفسير البيضاوي.

وعن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية { فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } قال : شك ، { فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} قال :شكًا .وعن عكرمة وطاووس :{ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } يعني الرياء [1] وقال الضحاك عن ابن عباس :{ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } قال :نفاق ، { فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } قال : نفاقًا ، وهذا كالأول .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :{فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } قال :هذا مرض في الدين وليس مرضًا في الأجساد ، وهم المنافقون ، والمرضُ :الشك الّذي دخلهم في الإسلام ، { فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } قال : زادهم الله رجسًا، وقرأ :{ فأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنوا فزَادَتهُم إيمَانًا وَهُم يَستبشِرُونَ } (١٢٤) { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ فزَادَتهُم رِجسًا إلى رِجسِهِم } [التوبة١٢٤-١٢٥] قال: شرًا إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم .وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه الله حسن ، وهو الجزاء من جنس العمل ، وكذلك قاله الأولون ، وهو نظير قوله تعالى أيضًا: { وَالَّذِينَ اهتَدَوا زَادَهُم هُدًى وَ ءَاتَاهُم تقوَاهُم } [محمد : ١٧] [2].

قال القاشاني في تأويل الآية :في قلوبهم حجاب من حجب الرذائل النفسانية الشيطانية والصفات البشرية عن تجليات الصفات الحقانية[3].

١- هذا للمؤمن ليس للكافر؛ لأن الكافر لا يوجد عنده عمل خالص حتى يدخله الرياء، أما المؤمن فإنه إذا عمل عم ً لا رياءً وشهر ً ة يفسد العمل، ويكون كأنه لم يعمله.

٢- تفسير ابن كثير .

٣ -ويبقى هذا الحجاب ما لم ينوروا قلوبهم، حتى يروا الحق حقًّا والباطل باطلا، فيتَّبعوا الحق ويصدُّوا الباطل .وأما الذين جاهدوا أنفسهم وطهَّروا قلوبهم فإنهم ينالون رضا الله جلَّ وعلا، لقوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا }[العنكبوت :٦٩ .] فعلى المؤمن أن لا يهمل هذه الحقيقة، حتى لا يسكِّر على نفسه باب رحمة الله تعالى، بإتباعه النفسَ والشيطان والهوى

وفي التأويلات النجمية :{ **فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ** } وهو التفات إلى غير الله ، { **فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** } أي زاد مرض الالتفات على مرض خداعهم ، فحرموا من الوصول والوصال، { **وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ** } من حرمان الوصول إلى الله تعالى {**بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**} بقولهم إنا آمنا بالله ، فإنهم ليسوا بمؤمنين حقيقة ، والإيمان الحقيقي نور إذا دخل القلب يظهر على المؤمن حقيقته ، كما كان لحارثة لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كيف أصبحت يا حارثة؟ قال :أصبحت مؤمنًا حقًّا ، قال:« يا حارثة إن لكلِّ حقٍّ حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» قال :أعرضَت نفسي عن الدنيا – أي زهدت وانصرفت – فأظمأ نهارها وأسهر ليلها ، واستوى عندي حَجَرُها وَذهَبُها ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون وإلى أهل النار ينصاعون ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أصبْت فالزم [١]».[٢]

أقول :علينا – نحن المؤمنين – أن لا نحول أمورنا على الله تعالى ، ونهمل مجاهدة أنفسنا وتزكيتها وتطهيرها ، بل نرضى بقضاء الله وقدره ، ولا نترك تكاليف الشريعة المحمَّدية ، التي لم تهملنا كالبهائم ، نأكل ونشرب ونرتع ؛ فعلى عاتقنا التكاليف الشرعية وتخليص القلب من سيطرة النفس الأمارة ، حتى لا نتبع هواها .نعوذ بالله أن نكون من الذين قال الله فيهم : {أَفَرَأَيتَ مَنِ اتَّخذَ إِلـهَهُ هَوَاهُ } [الجاثية :٢٣]،

١– قال ابن رجب الحنبلي :حديث حارثة رضي الله عنه المشهور رُوي من وجوه مرسلة وروي متصلا، والمرسل أصحاه جامع العلوم والحكم.

٢– تفسير روح البيان.

فقد أعطانا ربُّنا القدرة والجزء الاختياري والعقل .أما بعد الأخذ بالأسباب الحقيقية في داخل الشريعة فإننا نفوض أمرنا إلى الله جلَّ وعلا.

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لمجاهدة أنفسنا وتزكيتها على الوجه الذي يرضيه عنا ، إنه خير مسئول.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثُمَّ قسَت قُلوبُكم مِن بَعدِ ذلِكَ فهِيَ كالْحِجَارَةِ أَو أَشدُّ قسوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لمَا يَتَفجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنهَا لمَا يَشَّقَّق فَيَخرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنهَا لمَا يَهبِطِ مِن خشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغافِل عَمَّا تَعمَلون (٧٤) [البقرة: ٧٤]

يقول الله تعالى توبيخًا لبني إسرائيل وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى:{ ثمَّ قسَت قُلوبُكم مِن بَعدِ ذلِكَ } كله{ فهِيَ كالْحِجَارَةِ } التي لا تلين أبدًا . ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: { أَلم يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنوا أَن تَخْشعَ قُلوبُهُم لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكوُنوا كالَّذِينَ أُوُتوا الْكِتابَ مِن قَبلُ فطالَ عَليهِمُ الأَمَدُ فَقسَتْ قُلوبُهُم وَكثِيرٌ مِنهُم فاسِقونَ} [الحديد :١٦] (١)

وقوُله تعالى:{ وَإِنَّ مِنهَا لمَا يَشَّقَّق فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنهَا لمَا يَهبِطِ مِن خشْيَةِ اللَّهِ } تعليل للتفضيل ، والمعنى أن الحجارة تتأثر وتنفعل ، فإن منها ما يتشقق فينبع منه الماء ، وتنفجر منه الأنهار ، ومنها ما يتردى من أعلى الجبل انقيادًا لما أراد الله تعالى به .وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن أمره تعالى .(٢)

١- تفسير ابن كثير .

٢- تفسير البيضاوي.

فالقلب من شأنه أن يتأثر عن مطالعة الدلائل والآيات والعِبر ، وتأثره عبارة عن ترك التمرد والعتو والاستكبار[١] ، وإظهار الطاعة والخضوع لله والخوف من الله تعالى ، فإذا عرض للقلب عارض أخرجه عن هذه الصفة صار في عدم التأثر شبيهًا بالحجر ، فيقال قسا القلب وغلظ، ولذلك فإن الله تعالى وصف المؤمنين بالرقة فقال: { كِتابًا مُتشابِهًا مَثَانِيَ تقْشعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الَّذِينَ يَخشونَ رَبَّهُم } [الزمر :٢٣] [٢]

قال بعض الحكماء :معنى قوله { ثمَّ قسَت قُلوبُكم } يَبِسَتْ ، ويبسُ القلب أن ييبس عن ماءَيْنِ ، أحدهما :ماء خشية الله تعالى ، والثاني :ماء شفقة الخلق .وكل قلب لا يكون فيه خشية الله ولا شفقة الخلق فهو كالحجارة أو أشد قسوة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي» [٣]

وقال أيضًا: « أربعة من الشقاء :جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا» [٤] [١]

١– والعصيان .

٢ –تفسير الرازي .

٣ –أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما والبيهقي وهو حديث حسن غريب .

٤ –علينا أن نكتفي بالسعي على الرزق بقدر ما نكون به مستغنين عن السؤال، وأن نكتسب المال أيضًا حتى نكون أغنياء بقصد أن نكون من أهل السخاء ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الدنيا : « لأربعة نفر :عبد رزقه الله ما ً لا وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل؛ وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية يقول :لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو نِيَّ ُته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل؛ وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نِيَّتهُ، فوزرهما سواء» أخرجه الترمذي وقال : حديث

=

والإشارة في تحقيق الآية أن اليهود وإن شاهدوا عظيم الآيات فحين لم تساعدهم العناية لم يزدهم كثرة الآيات إلا قسوة على قسوة [٢] ، فإن الله أراهم الآيات الظاهرة فرأوها بنظر الحسن ، ولم يُرِهم البرهان الذي يراه القلب فيحجزهم عن التكذيب . [٣]

قال الكلبي :أنكروا بعدما رأوا ذلك ، وقالوا :ما قَتَلْنا – أي النفسَ المذكورة في الآيتين السابقتين بقوله تعالى: { وَإِذْ قَتَلْتم نفسًا فادَّارَأْتم فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتم تكْتمُونَ} [البقرة :٧٢] -، فما كانوا قط أعمى قلبًا ولا أشد تكذيبًا منهم لنبيهم عند ذلك.

فقلوبهم كالحجارة بل أشد .أو إن شبهتم قلوبهم بالحجارة أصبتم ، وبما هو أشد أصبتم، بل في الحجارة فضل عليها في اللين ، فإن منها ما تتفجر منه الأنهار الكبار ، ومنها ما تشقق فيخرج منه العيون الجارية ، ومنها ما تهبط من رأس الجبل من خشية الله .وفي بعض الأخبار :(كلُّ حجر تَرَدى من رأس جبل فهو من خشية الله). وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير . نسأل الله السلامة بمّنه وكرمه .[٤]

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

=حسن صحيح .نرجو الله جل جلاله أن يوفِّقنا لما يحب ويرضى، وأن يخرجنا من أسارة أنفسنا ومن إتباعنا للهوى.

١- أخرجه البزار وغيره عن أنس رضي الله عنه .

٢- لأن سبب عدم موافقتهم إنكار الحق، فهم بخلاف النصارى، لا يقولون بالتثليث ولا يشركون أحدًا مع الله تعالى، إلا أنهم ينكرون ما يعرفون من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لذا صاروا أخبث من النصارى.

٣- تفسير روح البيان .

٤- تفسير البحر المديد

اللفظ الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

(و قَالُوا قُلوبُنا غُلْف بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكفْرِهِم فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنونَ) (٨٨) [البقرة : ٨٨]

غُلْف جمع أغلف، وهو الذي عليه غشاوة ، وقيل أصله غُلف ، فيكون جمع غلاف.[١]

قوله تعالى :{ وَ قَالُوا قُلوبُنا غُلْف } أي وقال فريق من اليهود لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم : قلوبنا مغشاة بأغطية ، لا تفقه ما تقول يا محمد ، قالوه سخرية واستهزاء . وليس الأمر كما زعموا ، بل هم أناس مغضوب عليهم ، لعنهم الله وطردهم من رحمته بسبب كفرهم ، وقليل من يؤمن منهم .[٢]

فقد رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ، وأَضْرَبَ وقال:{ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكفْرِهِم فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنونَ } أي خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وإبطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة .[٣]

---

١ –تفسير البحر المديد .

٢ –التفسير الواضح الميسر .

٣ –تفسير روح البيان.

أقول :ليس للعبد أن يحول مخالفته للشريعة وإتباعه لهواه وعدم تزكية نفسه وعدم تنوير قلبه وعدم مجاهدة نفسه ، ليس له أن يحولها على الله ؛ فعلينا أن نأخذ بالأسباب ، وما عند الله غائب عنا ، والله مطلع على سويداء قلوبنا ، فإذا كانت مطهَّرة أو كنا نجاهد حتى نطهرها يرحمنا برحمته العامة ، وينجينا بكرمه وفضله مما نخاف منه من عذابه تعالى.

علينا بالاستغفار والتوبة ، ولو كان بعد المعصية ، بشرط أن نعتقد أن الله قادر على العفو وقادر على العذاب ، حتى نكون من الذين أنعم الله عليهم لا من الذين غضب الله عليهم.

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنَّا سيئاتنا وتوفَّنا مع الأبرار.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذ أَخذْنَا مِيثَاقَكم وَرَفعنَا فوقكمُ الطُّورَ خُذوا مَا ءَاتَينَاكم بِقوَّةٍ وَاسمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَينَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلوبِهِمُ الْعِجلَ بِكفْرِهِم قلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكم إِن كُنْتم مُؤْمِنِينَ) (٩٣) [البقرة :٩]

قوله تعالى :{ وَأُشْرِبُوا فِي قُلوبِهِمُ الْعِجلَ بِكفْرِهِم } أي خالط حب العجل قلوبهم ، وامتزج بدمائهم ، لفرط شغفهم به ومحبتهم له ؛ وهذه استعارة لطيفة ، كأن عبادة العجل شراب سائغ لذيذ ، شربوه فامتزج بدمائهم وأبدانهم، بسبب الكفر الذي سيطر على قلوبهم .[١]

أقول :القلب مخلوق لمعرفة الله تعالى جلَّ جلاله ، ولكن المانع أنَّ فيه حب الدنيا وحب الرئاسة اللذين يسوقان الإنسان إلى الضلال والكفر – نعوذ بالله – فإذا كان القلب خاليًا من محبة الله تعالى جلَّ جلاله تشرَّب حب غير الله تعالى ، من المعاصي وغيرها من الأخلاق الذميمة والخبائث ، والتصق بها ، كتشرب الجامد من المائع والتصاقه به ، حينذاك يكون ذلك القلب كأنه ميت ، بسبب حبه لغير الله جلَّ وعلا.

اللهمَّ أخرج حبَّ الدنيا من قلوبنا ، ونوِّرها بأنوار محبتك ومعرفتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- التفسير الواضح الميسر.

اللفظ السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ مَن كَانَ عَدُوا لِجِبرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقا لِمَا بَينَ يَدَيهِ وَهُدًى وَبُشرَى لِلمُؤْمِنِينَ) (٩٧) [البقرة :٩٧]

قوله تعالى :{ قُلْ مَن كَانَ عَدُوا لِجِبرِيلَ فَإِنَّهُ نزَّلهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } أي : قل يا محمد لهؤلاء اليهود :من كان منكم عدوًا لجبريل فإنه عدو لله ، لأن الله أرسله بالوحي على رسله ، فمن عاداه فقد عادى الله ، وجبريلُ الأمين نزل بهذا القرآن على قلبك يا محمد بأمر الله تعالى وإذنه وتيسيره .[١]

وقد خص القلبَ بالذكر لأنه خزانة الحفظ وبيت الرب [٢]،[٣] فإنه القابل الأول للوحي، ومحل الفهم والحفظ.[٤]

أقول :اعتبار الإنسان بالقلب، والفم غطاؤه، فإما أن ينضح منه الجيد الحسن أوالأحسن ، وإما أن ينضح منه المخالِف ، على حسب ما في القلب.

١- التفسير الواضح الميسر .

٢-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوبُ عباده الصَّالحين، وأحبُّها إليه ألينها وأرقُّها». أخرجه ابن ماجة عن أبي عنبسة .

٣ -حاشية الجمل على الجلالين .

٤ -تفسير البيضاوي.

فمن كان قلبه منوَّرًا لا يخرج منه إلا الشيء المنوَّر ، لأنه لا يتعلق بهواه ولا بالكبر والعجب وغير ذلك من الأخلاق الذميمة ، حينذاك يكون موافقًا لأوامر الله جلَّ وعلا ولسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العلم علمان :علم على اللسان ، وهو حجة الله على خلقه يوم القيامة ، وعلم في القلب ، فذلك العلم النافع» [1].

نرجو الله تعالى أن يوفِّقنا لأن نطهر باطننا بالمجاهدة ، ونزين ظاهرنا بالشريعة ، حتى نكون من الصادقين ، لأن صفة الصدق أن يشتغل الظاهر بالشريعة والباطن بالمراقبة ؛ والمراقبة ليست خاصة بأهل الطريق ، لأنها تأتي من الإيمان ، فإذا رأت عين المؤمن امرأة أجنبية يقول : { وَهُوَ مَعَكم أَينَ مَا كُنتم } [الحديد : ٤]، فيجتنب النظر المحرم ويترك المعاصي ، فيكون من المحبوبين عند الله جلَّ وعلا ، لقوله تعالى :{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتطهرِينَ } [البقرة :٢٢٢] .

اللهمَّ اجعلنا منهم بفضلك وكرمك يا ربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- الجامع الصغير ج ٢، حديث حسن عن جابر رضي الله عنه.

اللفظ السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقالَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ لولا يُكلِّمُنا اللَّهُ أَو تأْتِينا ءَايَة كذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِن قبلِهِم مِثْلَ قولِهِم تَشَابَهَتْ قُلوبُهُم قد بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقومٍ يُوقِنونَ) (١١٨) [البقرة : ١١]

هذه المقالة التي صدرت من اليهود ، تعنُّتًا وعنادًا ، قد صدرت ممن قبلهم من أسلافهم، فقالوا :{ أَرِنا اللَّهَ جَهرَة } [النساء :١٥٣] ، ومن النصارى فقالوا : { هَلْ يَستَطِيعُ رَبُّك أَن يُنزلَ عَليَنا مَائِدَة مِنَ السَّمَاءِ } [المائدة :١١٢] ، ومن المشركين فقالوا :{ وَقَالُوا لن نؤْمِنَ لكَ حَتَّى تفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَو تَكونَ لكَ جَنَّة مِن نخِيلٍ وَعِنَبٍ فُتَفجرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تفجِيرًا } [الإسراء: ٩٠- ٩١] . فقد تماثلت قلوبهم في الكفر والعناد، وتشابهت في العتو والفساد .[1]

فقوله تعالى :{ تَشَابَهَتْ قُلوبُهُم } المراد منه أن المكذبين للرسل تتشابه أقوالهم وأفعالهم ، فكما أن قوم موسى كانوا أبدًا في التعنت واقتراح الأباطيل ، كقولهم : { لن نصبِرَ عَلى طَعَامٍ وَاحِدٍ} [البقرة :٦١] ، وقولهم :{ اجعَلْ لَنا إِلهًا كمَا لهم ءَالِهَة} [الأعراف : ١٣٨] ، وقولهم :{ أَتَتَّخِذنَا هُزُوًا } [البقرة :٦٧] ، وقولهم :{ أَرِنا اللَّهَ جَهرَة} [النساء : ١٥٣] ، فكذلك هؤلاء المشركون يكونون أبدًا في العناد واللجاج وطلب الباطل .[2]

---

١ –تفسير البحر المديد .

٢ –تفسير الرازي

أقول :وكذلك الذين لا يتوجهون إلى أوامر الله ، ولا يستنكفون عن المنكرات ، ولا يتعظون بموعظة القرآن ولا الشريعة ولا الرحمة ، ولا يتوجهون كذلك إلى الحق والحقيقة ، ولا يشفقون على خلق الله ، فإنهم وإن كان قولهم بألسنتهم : نحن مؤمنون، لكن أمرهم مفوَّض إلى ربهم ، إن شاء يعفو عنهم إذا خرجوا من الدنيا بالإيمان ، وإن شاء يعذبهم بما تقتضي الحكمة الإلهية.

إذا صدر منهم الإيمان قولا ولم يعملوا بمقتضاه فإن كانت قلوبهم مصدقة به وذهبوا به إلى الآخرة لم يخلَّدوا في نار جهنَّم ، بل يخرجون منها برحمة الله تعالى.

أجارنا الله والمؤمنين من عذاب جهنَّم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي ٱلحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى مَا فِي قلْبِهِ وَهُو أَلَدُّ الْخِصَام (٢٠٤) وَإِذا توَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ ٱلحَرث وَالنَّسلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ ٱلفسَادَ (٢٠٥) [البقرة:٢٠٤-٢٠٥]

قوله تعالى : { وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى مَا فِي قلْبِهِ } فيه قولان : أحدهما :أنه يقول إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي .والثاني :أنه يقول اللهم اشهد علي بهذا القول .[١]

نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الإسلام ، ودعوى المحبة والخلوص بدون المواطأة من فعل الملاحدة والزنادقة ، والمحب لا يفعل إلا ما يحب محبوبه . قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته   إن المحب لمن أحب مطيع [٢]

١- تفسير زاد الميسر .

٢- تفسير روح البيان

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم ، فأنزل الله في ذم المنافقين ومدح خبيب وأصحابه : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشرِي نَفْسَهُ ابتِغاءَ مَرضَاةِ اللَّهِ } [البقرة :٢٠٧] ، وقيل بل ذلك عام في المنافقين كلِّهم وفي المؤمنين كلِّهم ، وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد وهو الصحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم ، فأنزل الله في ذم المنافقين ومدح خبيب وأصحابه : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشرِي نَفْسَهُ ابتِغاءَ مَرضَاةِ اللَّهِ} [البقرة :٢٠٧] ، وقيل بل ذلك عام في المنافقين كلِّهم وفي المؤمنين كلِّهم ، وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد وهو الصحيح.

وأما قوله : { وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ } فقرأه ابن محيصن (ويَشهد اللهُ) بفتح الياء وضم الجلالة (على ما في قلبه) ومعناه أن هذا وإن أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه القبيحَ ، كقوله تعالى : { إذا جَاءَكَ الْمُنافِقونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لكاذِبُونَ} [المنافقون : ١]. وقراءة الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة { وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ } ومعناه أنه يظهر للناس الإسلام ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق ، كقوله تعالى : { يَستَخْفونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَستَخْفونَ مِنَ اللَّهِ} [النساء :١٠٨] الآية .هذا معنى ما رواه ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .وقيل معناه أنه إذا أظهر

للناس الإسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق للسانه وهذا المعنى صحيح.
وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير وعزاه إلى ابن عباس وحكاه عن مجاهد و الله أعلم .[١]

يقول ابن عجيبة رحمه الله : يقول الحق جل جلاله :{ وَمِنَ النَّاسِ } قوم حُلو اللسان خراب الجَنان ، إذا تكلَّم في شأن الدنيا { يُعجِبُكَ قَوْلُهُ } فيها لرونقه وفصاحته ، { وَيُشْهِدُ اللَّهَ } أي :يحلف على أنه موافق لقلبه ، وأن ظاهره موافق لباطنه ، وهو شديد الخصومة والعداوة للمسلمين ، أو أشد الخصوم ، { وَإِذا توَلَّى } أي :أدبر وانصرف عنك { سَعَى فِي الأَرْضِ } أي مشى فيها بنية الإفساد { لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ ٱلْحَرث وَالنَّسلَ } كما فعل الأخنس ، أو كما فعله أهل الظلم، فيَحبس الله القَطْرَ ، فيهلك الحرث والنسل بشؤم معاصيهم ، { وَاللَّهُ لا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ } أي لا يرتضيه ، فاحذروا غضبه .[٢]

أقول :على المؤمن أن يكون ظاهره كباطنه وباطنه موافقًا لظاهره ؛ فإذا تكلَّم يكتفي بعلم الله فيه وأنه تعالى مطَّلع على قلبه، فيُظهر ما يوافق اعتقاده وما أضمره في قلبه، حينذاك يكون من الصادقين ، لكن درجات الصدق ودرجات التقوى ودرجات الفهم من كلام الله ومن سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم متفاوتة بين الناس.

---

١ –تفسير روح البيان .
٢ –تفسير البحر المديد.

نسأل الله تعالى أن يجعل ظواهرنا موافقة لبواطننا ، وأن يجعل بواطننا مطهَّرة منزَّهة مهيَّأة لنظره جلَّ وعلا ، إنَّه خير مسؤول.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكم وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم وَاللَّهُ غفُورٌ حَلِيمٌ) (٢٢٥) [البقرة: ٢٢٥]

قوله تعالى :{ لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكم } اختلف العلماء في معنى اللغو ، فقال الشافعي :هو ما سبق إليه اللسان من غير قصد عقد اليمين ، فلا إثم ولا كفارة له ، وقال أبو حنيفة ومالك :هو أن يحلف على ما يعتقد فيتبين خلافه .[١]

فالمراد من قوله تعالى :{ لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكم } أي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية ، وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد .وقوله :{ وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم} قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد :هو أن يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب .[٢]

١ -حاشية الصاوي .

٢ -كأن يفعل شيئًا، ثم إذا ُ طلب منه الحلف يحلف – كاذبًا - أنه ما فعله، فهذا يُؤاخذ عليه، وأما إذا ُ طلب منه الحلف على شيء لم يفعله فحلف على عدم فعله – صادقًا – فإنه لا يُؤاخذ .أما الحلف بدون قصد ولاعمد بل جرى على لسانه جهلا بمعناه أو عادة فهذا اليمين لا ينعقد.

قال مجاهد وغيره :وهي كقوله تعالى :{ وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا عَقَّدتُمُ الأَيمَانَ} [المائدة : ٨٩] .[١]

قال البيضاوي :{ لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكم } اللغو :الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ، ولغو اليمين ما لا عقد معه ، كما سبق به اللسان ، أو تكلم به جاهلا لمعناه ، كقول العرب :لا والله وبلى والله ، لمجرد التأكيد ، لقوله :{ وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم } والمعنى :لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ، ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم .وقال أبو حنيفة :اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب .والمعنى :لا يعاقبكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ، ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه .{ وَاللَّهُ غَفُورٌ } حيث لم يؤاخذ باللغو { حَلِيمٌ } حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجِد تربصًا للتوبة .[٢]

قال تعالى في هذه الآية :{ وَ لكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم } وقال في آية المائدة: { وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا عَقَّدتُمُ الأَيمَانَ } ، وعقد اليمين محتمل لأن يكون المراد منه عقد القلب به ، ولأن يكون المراد به العقد الذي يضاد الحل ، فلما ذكر ههنا قوله :{ بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم } علمنا أن المراد من ذلك العقد هو عقد القلب ، وأيضًا ذكر المؤاخذة ههنا ، ولم يبين أن تلك المؤاخذة ما هي ، وبينها في آية المائدة بقوله :{ وَ لكِن يُؤَاخِذكم بِمَا عَقَّدتُمُ الأَيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ } فبين أن المؤاخذة هي الكفارة ، فكل واحدة من

١- تفسير ابن كثير .

٢- تفسير البيضاوي.

هاتين الآيتين مجملة من وجه مبينة من وجه آخر ، فصارت كل واحدة منهما مفسرة للأخرى من وجه ، وحصل من كل واحدة منهما أن كل يمين ذكر على سبيل الجد وربط القلب فالكفارة واجبة فيها ، واليمين الغموس كذلك، فكانت الكفارة واجبة فيها .[١]

فلا يعارض هذه الآية ما في [المائدة :٨٩] من قوله تعالى :{ **لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكم وَ لكِن يُؤَاخِذكم بِمَا عَقَّدُتمُ الأَيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشرَةِ مَسَاكِينَ** } الخ.

بناء على أن مقتضى هذه المؤاخذة بالغموس ، لأنها من كسب القلب ، وتلك تقتضي عدمها ، لأن اللغو فيها خلاف المعقودة ، وهي ما يحلف فيها على أمر ماض متعمد الكذب فيه ، ولغويته لعدم تحقق البر فيه الذي هو فائدة اليمين الشرعية ، لأن الشافعي حمل { **بِمَا عَقَّدتُمُ** } على كسب القلب ، من عقدْت على كذا عزمْت عليه ، ولم يعكس ، لأن العقد مجمل يحتمل عقد القلب ويحتمل ربط الشيء بالشيء ، والكسب مفسر ، ومن القواعد حمل المجمل على المفسر ، وإذا حمل عليه شمل الغموس ، وكان اللغو ما لا قصد فيه ، لا خلاف المعقودة ، إذ لا معقودة ، فتتحد الآيتان في المؤاخذة على الغموس وعدم المؤاخذة على اللغو .[٢]

وفي التيسير :أن هذه الآية في مؤاخذة الآخرة ، فأما المؤاخذة المذكورة في قوله تعالى : { **وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا عَقَّدُتمُ الأَيمَانَ** } فهي المؤاخذة بالكفارة ، لكنها في اليمين المعقودة . فالآيتان في مؤاخذتين مختلفتين .{ **وَاللَّهُ غَفُورٌ** } حيث لم يؤاخذكم باللغو مع

١- تفسير الرازي .

٢- تفسير روح المعاني.

كونه ناشئًا عن قلَّة المبالاة { حَلِيمٌ } حيث لم يعجل بالمؤاخذة .[١] وفيه إيذان بأن المؤاخذة المعاقبة ، لا إيجاب الكفارة ، إذ هي التي تتعلق بها المغفرة ، والحلم دونه.

والإشارة في الآية :أن ما يجري على الظواهر من غير قصد ونية في البواطن ليس له كثير خطر في الخير والشر ولا زيادة أثر ، ولو كان له أثر في الخير لما عاب على قوم {يَقولُونَ بِأَلْسِنتِهِم مَاليسَ فِي قُلوبِهِم} [الفتح :١١] ، وكذا ما يجري على اللسان بنية القلب بلا فعل الجوارح لو كان مؤثرًا في القبول لما عاب قومًا بقوله : { كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللَّهِ أَن تُقوُلوا مَا لا تَفْعَلونَ} [الصف :٣]، ولو كان له أثر في البر لما وسع على قوم بقوله :{ لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكم وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم ، وما عفا عن قوم بقوله :{ إِلا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ} [النحل : ١٠٦]

وذلك لأن القلب كالأرض للزراعة ، والجوارح كالآلات للحراثة ، والأعمال والأقوال كالبذر ؛ فالبذر ما لم يقع في الأرض المربية للزراعة لا ينبت وإن كان في آلة من آلات الحراثة فافهم جدًا .وأما إن كان لما يجري على الظواهر من الخير أدنى آثار في القلب ولو كان مثقال ذرة فإن الله من كمال فضله وكرمه لا يضيعه ، حتى يكون القليل كثيرًا والصغير عظيمًا ، وإن كان لما يجري على الظواهر من الشر أدنى أثر في القلب فإن الله تعالى من غاية لطفه وإحسانه لا يؤاخذ العبد به بل يحلم عنه ويتوب عليه .[٢]

١- فهو تعالى غفور بالستر، حليم يعاملك بالحلم إذا خالف ظاهرُك باطنَك، لكن في الآخرة { وَنضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسطَ لِيَومِ الْقِيَامَة } [الأنبياء :٤٧]

٢- تفسير روح البيان.

تنبيه : كثرة الحلف مذموم يدل على الخفة والطيش ، وعدم الحلف بالكّلية تعسف ،وخير الأمور أوسطها ، كان عليه الصلاة والسلام يحلف في بعض أحيانه ، يقول: « لا ومُقلِّبَ القُلوب»،« والذي نَفْسُ محمد بِيَدِه». والله تعالى أعلم.(١)

أقول :على المؤمن أن يحافظ على قلبه ، لأنه يُفهم من هذه الآية الكريمة أن اعتبار الإنسان بالقلب ، فإذا اطمأن قلبه بالإيمان كان مؤمنًا ، وإذا تردد في الشكوك عليه أن يزيلها حتى يطمئن القلب في المسائل الإيمانية .فعلينا – جميع المؤمنين – أن نطهر قلوبنا باتجاه علم رب العالمين المطلع عليها ، وإذا وجدنا فيها شكوكًا علينا أن نسأل أهل الذكر ، حتى لا نخرج من الدنيا مع الشكوك ، فنبقى عاصين{ فاسألوا أَهلَ الذِّكْرِ إن كنْتم لا تَعلَمُونَ} [النحل :٤٣] . على المؤمن أن يستحيي من الله تعالى باجتناب المعاصي ، وإذا صدرت منه معصية عليه أن يستغفر ويتوب ويرجع إلى الله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفو عَنِ السَّيئَاتِ} [الشورى :٢٥] ، أي سيئات كانت ، و { يُبَدلُ اللَّهُ سَيئَاتِهِم حَسَنَاتٍ} [الفرقان :٧٠] علينا أن نعتمد على رحمة الله وعفوه ، فهو أرحم الرَّاحمين ، نسأل الله تعالى الاستقامة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير البحر المديد.

اللفظ العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذ قال إبرَاهِيمُ رَب أَرِنِي كيف تحيِي الْمَوتى قالَ أَوَ لم تؤمِن قالَ بَلى وَ لكِن لِيَطْمَئِنَّ قلبِي قالَ فخذ أَربَعَةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرهُنَّ إِليكَ ثمَّ اجعَلْ عَلى كلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزءًا ثُمَّ ادعُهُنَّ يَأْتِيَنكَ سَعيًا وَاعلم أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٦٠) [البقرة : ٢٦٠]

قال محمد بن إسحق والقاضي :سبب السؤال أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع مناظرته مع نمروذ لما قال :{ رَبِيَ الَّذِي يُحيِي وَيُمِيتُ قالَ أَنَا أُحيِي وَأُمِيتُ} [البقرة : ٢٥٨] ، فأطلق محبوسًا وقتل رجلا ، قال إبراهيم :ليس هذا بإحياء وإماتة ، وعند ذلك قال :{ رَب أَرِنِي كيف تحيِي الْمَوتى } لتتكشف هذه المسألة عند نمرود وأتباعه . وروي عن نمرود أنه قال :قل لربك حتى يحيي وإلا قتلتك ، فسأل الله تعالى ذلك، وقوله : { لِيَطْمَئِنَّ قلبِي } بنجاتي من القتل ، أو ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني، وأن عُدولي منها إلى غيرها ما كان بسبب ضعف تلك الحجة ، بل كان بسبب جهل المستمع [١].[٢]

١- لأنه عليه الصلاة والسلام رسول إلى الخلق، فلا بد أن يقنعهم .فسؤاله لإقناع الخلق لا ليطمئن هو، والسؤال في الحقيقة إنما كان عن الكيفية.

٢- تفسير الرازي.

أقول :سؤال سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الكيفية ليس عن المَقدِرة ، فعين اليقين موجود وحق اليقين موجود.

سؤاله عليه الصلاة والسلام ليس كسؤال سيدنا عزير عليه السلام عندما قال : { أَنَّى يُحيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعدَ مَوتِهَا } [البقرة :٢٥٩] ، الفرق بين السؤالين بين ؛ فسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل عن الكيفية ، حتى يرى بعينه كيفية إحياء الله الموتى.

اللهمَّ ارزقنا إيمان عين اليقين وحق اليقين ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِن كُنتُم عَلَى سَفرٍ وَلم تجِدُوا كاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَة فإن أَمِنَ بَعضُكم بَعضًا فلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتمِنَ أَمَانَتهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تكْتُمُوا الشَّهَادَة وَمَن يَكْتمهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلونَ عَلِيمٌ) (٢٨٣) [البقرة :٢٨٣]

قوله تعالى :{ وَمَن يَكْتمهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ } أي يأثم قلبه أو قلبه يأثم .والجملة خبر إن، وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان مقترَفه ، ونظيرُه :العين زانية والأذن زانية. أو للمبالغة ، فإنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال ، وكأنه قيل :تمكن الإثم في نفسه وأخذ أشرف أجزائه [١] وفاق سائر ذنوبه .[٢]

قال السدي عن أشياخه :{ فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ } فإنه فاجر قلبه. قال القاضي أبو يعلى :إنما أضاف الإثم إلى القلب لأن المآثم تتعلَّق بعقد القلب ؛ وكتمانُ الشهادة إنما هو عقد النية لترك أدائها .[٣]

١- القلب ليس جزءًا من البدن، بل هو الحاكم على جميع أجزاء البدن، فإذا صلح الحاكم تصلح الرعية . والقلبُ من عالم الأمر، والبدنُ من عالم الخلق، والأمرُ أقوى من الخلق {أَلا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ } [الأعراف: ٥٤]، وقد اعتبر الغزالي رحمه الله أن القلب هو الروح { قلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبي} [الإسراء :٨٥]. ولذا كان هذا الاعتبار كله للقلب، ومسؤولية الإنسان بالقلب.

٢- تفسير البيضاوي .

٣- تفسير زاد المسير.

فقوله تعالى :{ وَمَن يَكْتُمهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ} كأنه قيل فإنه يأثم قلبه .فإن قلت هلا اقتصر على قوله فإنه آثم؟ وما فائدة ذكر القلب والجمل ة هي الآثمة لا القلب وحده؟ قلت :كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلّم بها ، فلما كان الإثم مقترَفًا بالقلب أُسند إليه ، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ، ألا تراكَ تقول إذا أردت التوكيد :هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي؟ ولأن القلب هو رأس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ، فكأنه قيل :فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ، ولئلا يُظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط ، وليُعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه ، واللسان ترجمان عنه ، ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ، وهي لها كالأصول التي تتشعب منها ، ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر؟ وهما من أفعال القلوب ؛ فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:« أكبر الكبائر الإشراكُ بالله ، لقوله تعالى: { فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَليهِ الْجَنَّة } [المائدة :٧٢] ، وشهادُة الزور وكتمانُ الشهادة ». (١)

{وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلونَ عَلِيمٌ } فيجازيكم به إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر .وكتمانُ الشهادة وشهادُة الزور من الأعمال التي تجر صاحبها إلى النار ، فإنهما من علامات سنخ (٢) القلب ، قال تعالى : { فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ } والمراد سنخ القلب ، ونعوذ بالله من ذلك .وهما أسهل وقوعًا بين الناس ، والحوامل عليها كثيرة ، كالعداوة وغيرها.

---

(١) أخرجه الشيخان بلفظ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر :الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور، وشهادة الزور»

(٢) سنخ :زنخ.

واعلم أن أهل الدين طائفتان :الواقفون والسائرون .فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم يفتح له باب إلى عالم المعنى ، فهو كالفرخ المحبوس في قشر البيضة ، فيكون مشربه من عالم المعاملات البدنية ، فلا سبيل له إلى عالم القلب ومعاملاته ، فهو محبوس في سجن الجسد ، وعليه موكلان من الكرام الكاتبين يكتبان عليه أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير . والسائر من لم يُقِم ولم ينزل في منزل ، فهو مسافر من عالم الصورة إلى عالم المعنى ، ومن مضيق الأجساد إلى متسع الأرواح ، وهم صنفان : صنف سيار وصنف طيار؛ فالسيار من يسير بقدم الشرع والعقل على جادة الطريقة ، والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة ، وفي رجله جلجلة الشريعة[١] .[٢]

أقول :هذه الآيات كلُّها تتكلَّم عن القلب، لأن القلب إذا صلح يتأثر به الكل، وكذلك الإثم مصدره القلب.

ولذا جميع أسيادنا أهل الطريق – رضي الله عنهم – يأمرون مريديهم بكثرة ذكر الله تعالى .والله تعالى في القرآن الكريم قيَّد الذكر بالكثرة – وهذا عامٌّ لجميع المؤمنين وليس خاصًّا بأهل الطريق –فإذا أكثر المؤمن من ذكر الله جلَّ وعلا يُنوَّر قلبه ، وإذا تنوَّر القلب يضيء اللطائف الداخلية جميعًا .وكذلك الإيمان والتقوى والإخلاص وإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ثمرتها تنوير القلب .فعلى المؤمن أن ينور قلبه بالتمسك بشرع الله والإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١ –بل على رأسه تاج الشريعة .

٢ –تفسير روح البيان.

والإخلاص في العبادة وكثرة ذكر الله تعالى .هذا مقام العبدية ، وليس فوق مقام العبدية مقام إلا مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

اللهمَّ مُنَّ علينا بالعبديَّة الحقَّة لك يا أكرم الأكرمين.

اللهمَّ مُنَّ علينا بالعبديَّة الحقَّة لك يا أكرم الأكرمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَليكَ ٱلْكِتابَ مِنْهُ ءَايَات مُحكَمَات هُنَّ أُمُّ ٱلكِتاب وَأُخَرُ مُتشابِهَات فأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم زَيغ فيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخونَ فِي الْعِلْمِ يَقوُلونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِنْدِ رَبنا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوُلو الأَلبَابِ) (٧) [آل عمران :٧]

قال الراغب :الزيغ الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين ، وزاغ وزال ومال متقاربة، لكن زاغ لا يقال إلا فيما كان عن حق إلى باطل ومصدره زيغًا وزيغونة وزيغانًا وزيوغًا .[١]

قوله تعالى:{ فأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم زَيغ } عدول عن الحق ، كالمبتدعة{ فيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } فيتعلقون بظاهره أو بتأويل باطل { ابتِغَاءَ الْفِتْنَةِ } طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه .{ وَابتِغاءَ تَأْوِيلِهِ } وطلب أن يؤولوه على ما يشتهونه ، ويحتمل أن يكون الداعي إلى الإتباع مجموع الطلبتين ، أو كل واحدة منهما على التعاقب والأول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل . { وَمَا يَعلَمُ تَأْوِيلَهُ } الذي يجب أن يُحمل عليه { إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخونَ فِي الْعِلْمِ } أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه، ومن وقف على { إِلاَّ اللَّهُ } فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه:

١– تفسير روح المعاني.

كمدة بقاء الدنيا ، ووقت قيام الساعة ، وخواص الأعداد كعدد الزبانية ، أو بمبادل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد .{ يَقولُونَ ءَامَنَّا بِهِ} استئناف موضح لحال الراسخين ، أو حال منهم ، أو خبر إن جعلَته مبتدأً .{ كُلٌّ مِن عِنْدِ رَبِّنا } أي كل من المتشابه والمحكم من عنده ، { وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلبَابِ } مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر ، وإشارة إلى ما استعدوا به للاهتداء إلى تأويله ، وهو تجرد العقل عن غواشي الحس .(١)

أقول :هذا كّله متعلق بالقلب ، فمن كان قلبه زائغًا عن الحق ، ومتوجهًا إلى زعزعة إيمان المسلمين ، يدخل فيهم عن طريق حظوظهم النفسانية ، يأخذ الدروس من الشيطان الإنسي ومن النفس الأمارة ، فيوجه المؤمنين إلى شهواتهم ؛ من حب الدنيا وحب النساء ، وإلى المحرمات ، فينسون الآخرة وعالم البرزخ ، وكأنهم يعيشون في هذه الدنيا أبدًا .ولغفلتهم عن عواقب الأمور يفعلون ما يشاؤون من المخالفات.

أما الذين يعلمون أنهم مسئولون يوم القيامة ، وأن عالم البرزخ يعذَّب فيه المخالفون ، ويكون القبر لهم سجنًا ، فإنهم إذا رأوا المخالفات يستنكفون عنها ، ويتكّلمون بما يوافق الشريعة المحمَّدية – على صاحبها أزكى السلام وأفضل التحية– ولا يتبعون نفوسهم ولا نفوس غيرهم ، لأن قلوبهم منوَّرة بنور الإيمان ، وهممهم عالية للتهيؤ لما بعد الموت ، لأن ما بعد الموت أبد الآباد ، لا نهاية له ، فهم متيقظون على أن لا يخربوا مستقبلهم بالشهوات الدنيوية الفانية .وهم مع ذلك يُقرُّون

١– تفسير البيضاوي.

بعجزهم وضعفهم ، فيتضرعون إلى الله تعالى أن يفتح لهم باب رحمته جلَّ وعلا ، هؤلاء هم الراسخون في العلم.

اللهمَّ اجعلنا منهم واحشرنا معهم يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبَّنَا لا تزغ قُلوبَنا بَعدَ إِذ هَدَيْتَنا وَهَب لَنا مِن لدُنْكَ رَحمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (٨)
[آل عمران :٨]

قال في النوادر : لما رد الراسخون في العلم علم المتشابه إلى عالِمه حيث قالوا :{ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِنْدِ رَبِنَا} [آل عمران :٧]، خافوا شرَهَ النفس لطلبها ؛ فإن العلم لذيذ، وفتنة تلك اللذة لها عتاب ، ففزعوا إلى ربهم فقالوا :{ رَبَّنَا لا تزِغ قُلوبَنا بَعدَ إِذ هَدَيْتَنا وَهَب لَنا مِن لدُنْكَ رَحمَةً } ، علمًا أن الرحمة تطفئ تلك الفتنة .[١]

{رَبَّنَا لا تزِغ قُلوبَنا بَعدَ إِذ هَدَيْتَنا } أي لا تمِلها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ، ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم { وَهَب لَنا مِن لدُنْكَ رَحمَةً } تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا { إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ }.[٢]

وإطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب .وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قِبَله ، وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء ، وهذا حال الراسخين

١ –تفسير البحر المديد .
٢ –تفسير ابن كثير

في الدعاء ، فانظر كيف لا يأمنون سوء الخاتمة ، وأداهم الخوف والخشية إلى الرجاء ، فإياك والزيغ عن الصراط المستقيم بإتباع الهوى والشهوات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أزاغه»[١] يعني قلب المؤمن بين توفيقه وخذلانه ، وإنما قال من أصابع الرحمن ولم يقل من أصابع الله إشعارًا بأنه هو المتمكن من قلوب العباد والمتصرف فيها كيف يشاء ، ولم يكلها إلى أحد من ملائكته ، رحمة منه وفضلا ، لئلا يطلع على سرائرهم غيره .وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « اللهم يا مقلِّب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك»، والميزان بيد الرحمن يرفع قومًا ويضع آخرين إلى يوم القيامة .وقال صلى الله عليه وسلم: « مَثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرًا لبطن»[٢] .(قال الجنيد رحمه الله :من أراد أن يسلم له دينه ويستريح في بدنه وقلبه فليعتزل الناس ، فإن هذا زمان وحشة ، والعاقلُ من اختار الوحدة .فدفْنُ حبة الفؤاد والوجود في أرض الخمول مما ينتج ويتم نتاجه جدًا ، فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وإن ظهر نوره وإنتاجه ، كالذي نبت في حميل السيل[٣].

فعليك بتزكية النفس وإصلاح الوجود كي تدرك نور الشهود وتقبل إلى الاستقامة وتخلص من الزيغ والضلال في جميع الأحوال .وكم من زائغ قلبُه وهو صورَة مستقيم، وكم من مستقيم فؤادُه وهو في الظاهر غير مستقيم .والقلب هو محل النظر لا الصورُة،

---

١ –أخرجه الترمذي عن أنس وعائشة رضي الله عنهما بألفاظ متقاربة .

٢ –أخرجه أحمد وابن ماجة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه .

٣ –ميزان الكاملين التواضعُ، وميزان الناقصين التكبرُ.

كما قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا ينظر إلى صوركم بل إلى قلوبكم وأعمالكم»[١]

فأي فائدة في القلب الزائغ عن الحق ؟ فنعوذ بالله منه .[٢]

أقول :ثبات القلب على الخير بدون تقلُّب من النوادر ؛ فإنه ولو كان يَخلص من شرور الشيطان بأن إيمانه يقطع بأن الله واقف على قلبه فيستحيي منه جلَّ وعلا ، إلا أنه حينذاك يأتيه من عالم الغيب بواسطة المَلك الانتقالُ من ذاك الخير إلى خير آخر. وهذا يدل على عدم الثبات.

اللهمَّ يا مقلِّب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

١–أخرجه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه بألفاظ متقاربة .

٢–تفسير روح البيان .

اللفظ الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ إِن تخْفوا مَا فِي صُدُورِكم أَو تبدُوهُ يَعلمهُ اللَّهُ وَيَعلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ وَاللَّهُ عَلى كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ) (٢٩) [آل عمران : ٢٩]

يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر ، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية ، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات[١]، وجميع ما في الأرض والسماوات ، لا يغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال .[٢]

فقوله تعالى :{قُلْ إِن تخْفوا مَا فِي صُدُورِكم } من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة { أَو تبدُوهُ } فيما بينكم { يَعلمهُ اللَّهُ } فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم إليه ، { وَيَعلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ } لا يخفى عليه منه شيء قط، فلا يخفى عليه سركم وعلنكم ، وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيدًا له وتقريرًا { وَاللَّهُ عَلى كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ} فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه ، وهذا بيان لقوله تعالى: { وَيُحَذِّرُكمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران : ٣٠] ، لأن نفسه[٣] –وهي

---

١ –الذي يؤمن بهذا ويخالف الشريعة أمرُه عجيب، لكن السبب هو الغفلة .

٢ –تفسير ابن كثير .

١ –أي :لأن ذاته العلية.

المتميزة من سائر الذوات – متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم ، فهي متعلقة بالمعلومات كلها ، وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور ، فهي قادرة على المقدورات كلها ، فكان حقها أن تحذر وُتتقى ، فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب، فإن ذلك مطلع عليه لا محالة ، ولاحِق به العذاب .ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الإطلاع على أحواله مما يورد ويصدر ونصب عليه عيونًا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به ، فما بال من علم أن الله الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن؟ اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك . كذا في الكشاف.

فالعاقل يخاف من الله ، ويكون حبه وبغضه لله ، يوالي المؤمنين ويعادي الكافرين. والحب في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان وخُلق سَني ، والمحبة الصادقة لا تكون إلا عند المصافاة في الباطن ، وهي مبنية على اتفاق العقيدة والوجهة ، لأن القلوب تتناسب فتتصافى ، فإن لم يكن بينها التوافق المعنوي واتفق بين أربابها المصالحة والمؤانسة بحسب المماثلة النوعية والألفة النفسية والجنسية الصورية أَعْدَت الرذائلُ صاحبَ الفضائل باستغراق النفس ، فتشابه وتخالق ، كما قيل:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه　　　　فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل	وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى	حليمًا حين آخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما هو ماشاه
وللقلب على القلب	دليل حين يلقاه

وإذا كان الرجل مبتلى بصحبة الف جار في سفره للحج أو للغزو لا يترك الطاعة بصحبتهم ، ولكن يكره بقلبه ولا يرضى به، فلعل الفاسق يتوب ببركة كراهة قلبه. حُكي أن حاتمًا وشقيقًا خرجا في سفر فصحبهما شيخ فاسق ، وكان يضرب بالمعزف في الطريق ويطرب ويغني ، وكان حاتم ينتظر أن ينهاه شقيق ، فلم يفعل ذلك ، فلما كان في آخر الطريق وأرادوا أن يتفرقوا قال لهما ذلك الشيخ الفاسق :لم أر أثقل منكما، قد طربت بين أيديكما كل الطرب فلم تنظروا إلى طربي ، فقال له حاتم :يا شيخ اعذرنا فإن هذا شقيق وأنا حاتم ، فتاب الرجل وكسر ذلك المعزف ، وجعل يتَّلمذ عندهما ويخدمهما ، فقال شقيق لحاتم :كيف رأيت صبر الرجال؟[1] وينبغي أن يعلم أن المؤمن كما يلزم له أن يقطع الموالاة عن الكفار كذلك يقطع ذلك عن الأقرباء الفجار، فإن قلت: هذا مخالف للقرآن فإنه ناطق بصلة الأرحام مطلقًا ، قلت :هو موافق ، كما قال تعالى : **{ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تشْرِكَ بِي مَا ليسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تطِعهُمَا}** [لقمان :١٥] فمن تسبب لشقاوتك يجب تقاطعك عنه وإن كان ذا قرابتك.

١– أحيانًا يكون الصبر سبب الفَرَج.

فعليك بقطع التعلّق من الأغيار ، وبالاقتداء بهدي الأنبياء الأخيار .قال خليل الله عليه الصلاة والسلام :{ **فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ**} [الشعراء :٧٧].[1]

أقول :لا بدَّ للمؤمن من التيقُّظ والتحفُّظ والاحترام لعلم الله تعالى بما في قلبه ، وعليه أن لا يتبع هواه فيخرج عن العدالة{ فلا تتَّبِعُوا ٱلْهَوَى أَن تعدِلوا } [النساء :١٣٥].

وأن لا يقول شيئًا مخالفًا للحق .وعليه أن يكون باطنه مائدة ربَّانية ، فإن وُجد فيه شيء مخالف لله جلَّ وعلا عليه الاستحياء والاستغفار والرجوع إلى الله جلَّ جلاله ، فهو يعفو عن السيئات.

نسأل الله تعالى أن لا يُزيغ قلوبنا ، وأن يُخرجنا من الدنيا مع الشهادة والإيمان ، وأن يجمع بيننا وبين المتقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن استولى ضد الإيمان على الإيمان ، واستولت أفعال المسلمين بغير المشروع على الأخلاق الإسلامية .كل هذا يثمر نتيجة ظلمانية في القلوب ، ولا يمكن إخفاء ذلك عن خالقنا جلَّ وعلا ، فهو مطَّلع على أحوالنا.

علينا أن نتيقَّظ ونكتفي بعلم الله جلَّ جلاله ، فهو يرانا ويعلم ما في قلوبنا ويعلم أفعالنا ، فعلينا أن نتبع الشريعة حتى يحصل رضا ربنا عنَّا.

نسأل الله تعالى السلامة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –تفسير روح البيان.

اللفظ الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلا تَمُوتنَّ إِلاَّ وَأَنُتم مُسلِمُونَ(١٠٢) وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفرَّقوا وَاذكرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَليكم إِذ كُنُتم أَعدَاءً فَأَلَّف بَينَ قُلوبِكم فَأَصبَحُتم بِنِعمَتِهِ إِخوَانًا وَ كُنُتم عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقذكم مِنهَا كَذلِكَ يُبَينُ اللَّهُ لكم ءَايَاتِهِ لعَلَّكم تهتدُونَ(١٠٣)[آل عمران:١٠٢-١٠٣]

كان الأوس والخزرج أخوين لأب وأم[١] فوقعت بينهما العداوة ، وتطاولت الحروب مئة وعشرين سنة ، إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام ، فالآية إشارة إليهم وإلى أحوالهم ، فإنهم قبل الإسلام كان يحارب بعضهم بعضًا ، ويبغض بعضهم بعضًا ، فلما أكرمهم الله تعالى بالإسلام صاروا إخوانًا متراحمين متناصحين ، وصاروا إخوة في الله .ونظير هذه الآية قوله :{ لو أَنْفقْت مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْت بَينَ قُلوبِهِم وَلكِنَّ اللَّهَ أَلَّف } [الأنفال : ٦٣]

واعلم أن كل من كان وجهه إلى الدنيا كان معاديًا لأكثر الخلق ، ومن كان وجهه إلى خدمة الله تعالى لم يكن معاديًا لأحد[٢]، والسبب فيه أنه ينظر من الحق إلى الخلق فيرى

---

١ -يقصد أن القبيلتين من أصل واحد .

٢ -بعض أهل الطرق - مع أن هدفهم واحد - يبغضون أهل غير مسلكهم، فهذا أيضًا مخالف، لأن الله تعالى أمر المؤمنين بالتوجه إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .فلك أن تقول :إني أحبُّ مسلكي ومشربي، ولكن ليس لك أن تنكر ولا أن تحتقر مشارب الآخرين، لأنها حق كذلك.

الكل أسيرًا في قبضة القضاء والقدر فلا يعادي أحدًا ، ولهذا قيل :إن العارف إذا أمر أمر برفق ، ويكون ناصحًا لا يعنِّف ويعير ، فهو مستبصر بسر الله في القدر[١] .

والإشارة أن أهل الاعتصام طائفتان .إحداهما أهل الصورة وهم المتعلقون بالأسباب لأن مشربهم الأعمال .والثانية أهل المعنى وهم المنقطعون عن الأسباب[٢] لأن مشربهم الأحوال ، فقال تعالى لهم :{ **وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكم** }[لحج :٧٨]، أي مقصودكم ، وقال للمتعلِّقين بالأسباب :{ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعًا** } [آل عمران :١٠٣] ، وهو كلُّ سبب يتوسل به إلى الله ، فالمعتصم بحبل الله هو المتقرب إلى الله بأعمال البر ووسائط القربة ، وإذا وجد الاعتصام وجد عدم التفرق ، بخلاف عدم الاعتصام فإنه سبب للتفرق في الظاهر والباطن .فأما في الظاهر فيلزم منه مفارقة الجماعة فاقتلوه كائنًا من كان .وأما في الباطن فيظهر منه الأهواء المختلفة التي توجب تفرق الأمة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « ستفترق أمتي اثنتين وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة» قالوا :يا رسول الله ومن الفرقة الناجية ؟ قال : «من كانوا على ما أنا عليه وأصحابي »[٣] واعلم أنه تعالى أمر المؤمنين أولاً بالتقوى وثانيًا بالاعتصام وثالثًا بتذكر النعمة ، لأن فعل الإنسان لا بد وأن يكون معلّلا إما بالرهبة وإما بالرغبة ،

---

١ –تفسير الرازي .

٢ –أي بقلوبهم .فليس لأهل المعاني أن يتركوا الأسباب فيكونوا من المعطِّلة .بل على المؤمن أن يأخذ بالأسباب ويعتمد على مسبب الأسباب .فلا يلزم من الأخذ بالأسباب الانقطاع عن المعاني ، فله أن يحب أهله وولده وماله ، لأن هذا كله من فضل الله ، وهو يحبهم لوجه الله ، وإلا لِمَ قال ربنا : { رِجَالٌ لا تُلْهِيهِم تِجَارَة وَ لا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللَّه } [النور :٣٧]

٣ –أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ : « ستفترق أمتي ثلاثًا وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل :ومن هم؟ قال :الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي ».

والرهبة متقدمة على الرغبة ، لأن دفع الضرر مقدم على جلب النفع، كما أن التخلية قبل التحلية ، فقوله :{ **اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تقَاتِهِ**} [آل عمران :١٠٢] ، إشارة إلى التخويف من عقاب الله ، ثم جعله سببًا للأمر بالتمسك بدين الله ، ثم أردفه بالرغبة ، وهي قوله تعالى : { **وَاذكرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَليكم** }. فعلى العاقل الانقياد لأمر الله ، والطاعة لحكمه ، والاعتصام بحبله ، وعدم التفرق في الدين ، والتقوى حق التقى من الله سبحانه.

قال الشيخ النصر آبادي :علامة المتقي أربعة :حفظ الحدود ، وبذل المجهود ، والوفاء بالعهود ، والقناعة بالموجود .قال القشيري رحمه الله :حق التقوى أن يكون على وفق الأمر ، لا يزيد من قِبل نفسه ولا يُنقص .وحق التقوى أولاً اجتناب الزلة ، ثم اجتناب الفضلة ، ثم التوقي عن كل خلة ، ثم التقى عن كل علة ، فإذا اتقيت عن شهود تقواك بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك .انتهى .فمن بقي فيه شيء من أثر الوجود فقد أشرك شركًا خفيًا ولم يصل إلى حقيقة الشهود .[١]

أقول :على المؤمن أن يكون نظره إلى الخالق أولا ، ثم يرى أن الخلق كلهم عبيده تعالى ، وهو جلَّ وعلا يرحمهم ويرزقهم ؛ فإذا نظر إليهم على أنهم عبيد خالقه فإنه يعاملهم معاملة الأخ ، ما لم يكن معهم في حالة حرب.

وعلى المؤمن كذلك أن ينظر إلى العباد مذ زمان الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام إلى آخر الدنيا أنهم كلهم أمته صلى الله عليه وسلم ، وما دام هو يحب الله

---

1 - تفسير روح البيان

ورسوله فعليه أن يشفق على الخلق ويرحمهم ويعاملهم معاملة الإخوة ، لأنهم من أمة محمَّد صلى الله عليه وسلم ، حينذاك يكون عبدًا لله جل جلاله لا عبدًا لنفسه.

على المؤمن أن يحذر أن يكون عقله ميزانًا لهذه الأمور ، بل الميزان هو الشريعة ، فعليه أن يشفق على جميع خلق الله جل جلاله إلا من استثنتهم الشريعة.

نرجو الله تعالى أن يحفظنا والمؤمنين جميعًا.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تتَّخِذوا بِطَانَةً مِن دُونِكم لا يَأْلوَنكم خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّم قد بَدَتِ الْبَغضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِم وَمَاتخفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ قد بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنْتُم تعقِلونَ (١١٨) [آل عمران: ١١٨]

قوله تعالى: { مَاتخفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ } يعني :الذي يظهر على لسان المنافق من علامات البغضاء أقل مما في قلبه من النفرة ، والذي يظهر من علامات الحقد على لسانه أقل مما في قلبه من الحقد ، ثم بين تعالى أن إظهار هذه الأسرار للمؤمنين من نعمه عليهم ، فقال: { قد بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنْتُم تَعقِلونَ} أي من أهل العقل والفهم والدراية، وقيل :{ إِن كُنُتم تَعقِلونَ } الفصلَ بين ما يستحقه العدو والولي، والمقصود بعثهم على استعمال العقل في تأمل هذه الآية وتدبر هذه البينات، و الله أعلم .[١]

أقول :بما أن أول الآية { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا } ، ونحن كلُّنا مؤمنون ، فلا بدَّ لنا أن نعمل بمقتضى الإيمان ، لأن الموصوف إذا لم يوافق الوصف لا يحصل الامتزاج بين الصفة والموصوف.

١- تفسير الرازي

هذه الآية نهي للمؤمن أن يتخذ الكافر صديقًا ، فما بالك إذا كان المؤمن يعيش بما يعيش به الكافر ، يفعل فعل الكفر من الربا والزنا والنظر الحرام وأكل أموال الأيتام وأكل أموال الناس بغير حق وعدم الرعاية لحقوق الشريعة المحمَّدية من تستر النساء وعدم التجاوز عن الحد؟ هل هذا الفعل موافق لإيمانكم؟ كلكم تقولون :لا يوافق .ما دام كذلك فلمَ ترسلون بناتكم سافرات إلى الجامعة والأسواق؟ هذا الفعل لا يوافق إيماننا .علينا أن لا نغتر بالشهرة ، فنقول :فلان أرسل بنته إلى الجامعة فنحن نرسل هكذا ، وفلان زوجته بلا تحجب فنحن نفعل هكذا ، والله غفور رحيم .هذا اغترار بالله تعالى مع عدم الاستحياء منه جلَّ وعلا .وهذا كله مصدره إتباع الهوى ، فعلينا أن لا نتخذ أهواءنا بطانة .كما أمرنا ربنا أن لا نتخذ الكفار بطانة كذلك نهانا أن نتبع أهواءنا وأنفسنا .علينا أن نرجع إلى أوامر الله ونواهيه.

نسأل الله جل وعلا التوفيق لذلك.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم،

اللفظ السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هَا أَنْتُم أُولاءِ تحِبُّوَنهُم وَلا يُحِبُّوَنكم وَتؤْمِنونَ بِالْكِتَابِ كلِّهِ وَإِذا لُقوكم قالُوا ءَامَنَّا وَإِذا خَلوا عَضُّوا عَلَيكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغيظِ قلْ مُوُتوا بِغيظِكم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (١١٩) [آل عمران: ١١٩]

عن ابن مسعود والسدي والربيع بن أنس :الأنامل الأصابع ، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه ، كما قال تعالى :{ وَإِذا خَلوا عَضُّوا عَلَيكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغيظِ } وذلك أشد الغيظ والحنق ، قال الله تعالى:{ قلْ مُوُتوا بِغيظِكم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور} أي مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ومُعْلِ كلمته ومظهر دينه فموتوا أنتم بغيظكم { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي هو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تأملون وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها ولا خروج لكم منها .[١]

١- تفسير ابن كثير.

فالمراد { بِذَاتِ الصُّدُورِ } الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه، وهي لكونها حالة في القلب منتسبة إليه فكانت ذات الصدور ، والمعنى أنه تعالى عالم بكل ما حصل في قلوبكم من الخواطر والبواعث والصوارف .[١]

فلا تعجب (يامحمد) من إطلاعي إياك على أسرارهم ، فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم .[٢]

أقول :نحن لا نخرج من ديننا ونتبع دينهم، لكننا نعيش في الأخلاق الذميمة كما هم يعيشون .فأشد الناس حرصًا على الدنيا اليهودُ ، والحرصُ عليها عندنا مشهور ، فلو فتش كل واحد منا قلبه وأحواله يرى تمسكه بالدنيا وحبه لها وحبه لغير المشروع من الكسب كالربا مثلا ، هذا كله من أخلاق الكفار.

علينا أن نتمسك بالأسباب في داخل الشريعة ، من الزراعة والتجارة والصناعة ، حتى نستغني عن السؤال ، وننفق على عيالنا ، فإن لهم حقوقًا علينا ، ولكن ننفق بدون إسراف ، ولنا أن نكتسب مالا كثيرًا بنيَّة أن نتفضل على غيرنا ، حتى نُعدَّ من أهل السخاء ، لا للاشتهار والترفع، حتى لا نقع تحت قوله تعالى :{ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر :١]

١- تفسير الرازي .

٢- تفسير البحر المديد.

علينا أن نرجع إلى أوامر خالقنا جلَّ وعلا ، وأن نمشي على وفق ما حدَّ لنا ، وأن لا نتجاوز هذه الحدود.

وفَّقنا الله وإيَّاكم والمسلمين جميعًا لذلك.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لكم وَلِتطْمَئِنَّ قُلوبُكم بِهِ وَمَا النَّصرُ إِلاَّ مِن عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (١٢٦) [آل عمران :١٢٦]

أي وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالهم إلا بشارة لكم وتطييبًا لقلوبكم وتطمينًا ، وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء انتصر من أعدائه بدونكم ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال :{ ذَلِكَ وَلو يَشَاءُ اللَّهُ لانْتصَرَ مِنهُم وَلكِن لِيَبْلُوَ بَعضَكم بِبَعضٍ وَالَّذِينَ قتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلن يُضِلَّ أَعمَالَهُم (٤) سَيَهدِيهِم وَيُصلِحُ بَالَهُم (٥) وَيُدخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لهُم }[محمد :٤-٦]

{ وَمَا النَّصرُ إِلاَّ مِن عِنْدِ اللَّهِ } لا من العدة والعدد ، وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم به بشارَةً لهم وربطًا على قلوبهم ، من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر ، وحثًا على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم .(٢)

أقول :لو علمنا أن الموجودات كلها منغمسة في نعم الله جلَّ وعلا لعلمنا أن الله قادر على كل شيء ؛ فالرزق والعلم والصحة كلها من عند الله تعالى.

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –تفسير البيضاوي.

ومن النعم الكبيرة علينا توجيهنا إلى الإيمان، فعلينا أن نتمسك بمقتضى الإيمان، ونطلب من خالقنا رحمته وكرمه وفضله ، مع الأخذ بالأسباب .والأسباب دنيوية وأخروية :الأسباب الأخروية متعلِّقة بالكتاب والسنَّة ، ولا يشك المؤمن في أنهما سندان موقَّعان بتوقيع الله تعالى وتوقيع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، للخروج بالإيمان من الدنيا إلى عالم الحشر ، ومنه إلى الجنة .وأما الأسباب الدنيوية فقد سمح لنا ربنا أن نأخذ بالأسباب ضمن الحدود التي أحلَّتها لنا شريعتنا ، حينذاك نكون سعداء في الدارين ؛ في الدنيا مرزوقين برزق الله تعالى ، مع إيماننا بأن هذا الرزق من عطاء خالقنا ، وفي الآخرة لنا ما وعد ربنا به المؤمنين بقوله: {مَن عَمِلَ صَالِحًا مِن ذكرٍ أَو أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلُنحيِيَنَّهُ حَيَاة طيبَةً وَلَنجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَا كَأنُوا يَعمُلونَ } [النحل :٩٧].

نرجو الله جل جلاله أن يجعلنا من السعداء ، وأن يحشرنا مع السعداء.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَنُلقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفرُوا الرُّعبَ بِمَا أَشرَكوا بِاللَّهِ مَالم يُنزلْ بِهِ سُلطانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثوَى الظَّالِمِينَ) (١٥١) [آل عمران :١٥١]

قوله تعالى :{ سَنُلقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفرُوا الرُّعبَ } يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ، ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت ، فقال عليه الصلاة والسلام: « إن شاء الله ».وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم ، فألقى الله الرعب في قلوبهم .(١)

فقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلَّت لي الغنائم، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة».(٢)

١- تفسير البيضاوي .

٢- تفسير ابن كثير

أقول :من نِعَم الله جل جلاله على الصحابة الكرام وعلينا جميعًا أن ألقى الرعب في قلوب الكافرين ، ولذا نحن الآن نقول" :لا إله إلا الله ، محمَّد رسول الله "، فعلينا أن نعرف قدر هذه النعمة الإلهية.

وكما أن الله تعالى ألقى في قلوب الكفار الرعب ، فهو يلقي في قلوب المؤمنين الشجاعة على الإيمان وترك المعاصي.

ما دام محل الرعب ومحل الشجاعة هو القلب ، فعلى المؤمن أن يتمسك بالشجاعة ويتوكل على الله .محل التوكل كذلك هو القلب : { وَعَلى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنونَ} [التوبة :٥١].

اللهمَّ اجعلنا من المتوكلين عليك حقَّ التوكل يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الألفاظ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثمَّ أَنْزَلَ عَليكم مِن بَعدِ الْغَمِ أَمَنةً نعَاسًا يَغشى طَائِفةً مِنكم وَطائِفة قد أَهَمَّتهُم أَنْفسُهُم يَظنُّون بِاللَّهِ غيرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقوُلونَ هَلْ لَنا مِنَ الأَمرِ مِن شيءٍ قلْ إِنَّ الأَمرَ كلَّهُ لِلَّهِ يُخفونَ فِي أَنْفسِهِم مَالا يُبدُونَ لكَ يَقوُلونَ لو كَانَ لَنا مِنَ الأَمرِ شَيءٌ مَا قتِلنَا هَاهُنا ُقل لو كُنُتم فِي بُيُوتِكم لبَرَزَ الَّذِينَ كتِبَ عَليهِمُ اَلْقَتْلُ إِلى مَضَاجِعِهِم وَلِيَبَتلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُم وَلِيُمَحِصَ مَا فِي قُلوبِكم وَاللَّهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدُور) (١٥٤) [آل عمران : ١٥٤]

قوله تعالى :{ وَلِيَبَتلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكم } علّة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للإيذان بكثرتها ، كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة ، وليبتلي أي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر { وَلِيُمَحِصَ مَا فِي قُلوبِكم } من مخفيات الأمور ويكشفها أو يخلصها من الوساوس ، { وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } أي السرائر والضمائر التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها .[١]

قال الرازي :وقوله { وَلِيُمَحِصَ مَا فِي قُلوبِكم } فيه وجهان :أحدهما :أن هذه الواقعة تمحص قلوبكم عن الوساوس والشبهات.

١- تفسير روح البيان.

والثاني :أنها تصير كفارة لذنوبكم فتمحصكم عن تبعات المعاصي والسيئات.

ثم قال : { وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } ، واعلم أن ذات الصدور هي الأشياء الموجودة في الصدور ، وهي الأسرار والضمائر ، وهي ذات الصدور لأنها حالَّة فيها مصاحبة لها ، وصاحب الشيء ذوه ، وصاحبته ذاته ، وإنما ذكر ذلك ليدل به على أن ابتلاءه لم يكن لأنه يخفي عليه ما في الصدور ، أو غير ذلك ، لأنه عالم بجميع المعلومات ، وإنما ابتلاهم إما لمحض الإلهية أو للاستصلاح .[1]

أقول :قوله تعالى : { وَلِيُمَحصَ مَا فِي قُلوبِكم } أي :ليخلّصها من التعلق بالأسباب ، ويخرجها عن الطبيعة البشرية ، حتى لا تقول :لو أني ما فعلت هكذا ما كان هكذا ، فالكل بيد الله تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ألغيبِ لا يَعَلمُهَا إلا هُوَ وَيَعَلمُ مَا فِي الْبَروَالْبَحرِ وَمَا تَسْقط مِن وَرَقةٍ إلا يَعلمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلمَاتِ الأَرضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام :٥٩] .

أحيانًا ربنا بفضله وكرمه يرحمنا ويعفو عما يخطر في قلوبنا ، وأحيانًا يبتلينا بالمصائب والبلايا لنصبر عليها فتكون عنده من الصابرين : { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة :١٥٣] ، على كل حال لا بد لنا من التفويض إلى الله والتسليم له ، والاعتقاد بأن الحياة والموت والكفر والإيمان كله منه ، إلا أننا مكلفون بتكاليف

١- تفسير الرازي.

الشريعة ، فعلينا أن نستعمل الجزء الاختياري في الأخذ بالأسباب الموافقة لرضا الله جلَّ وعلا.

اللهمَّ اجعلنا من المرضيين عندك يا رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا لاتكوُنوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لإِخْوَانِهِم إِذا ضَرَبُوا فِي الأَرضِ أَوَ كانُوا غزى لو كانُوا عِندَنا ما مَاتوا وَمَا قتِلوا لِيَجعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسرَةً فِي قُلوبِهِم وَاللَّهُ يُحيِي وَيُمِيت وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلونَ بَصِيرٌ) (١٥٦) [آل عمران :١٥٦]

قوله تعالى :{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا لاتكوُنوا كالَّذِينَ كَفَرُوا } يعني المنافقين ، {وَقالُوا لإِخْوَانِهِم } لأجلهم وفيهم ، ومعنى أُخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب { إِذا ضَرَبُوا فِي الأَرضِ } إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها { أَوكانُوا غزى } جمع غازٍ ، كعافٍ وعفَّى{ لو كانُوا عِندَنا ما مَاتوا وَمَا قتِلوا } مفعول قالوا ، وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ، { لِيَجعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسرَةً فِي قُلوبِهِم } متعلّق بـ { قالُوا } على أن اللام لام العاقبة ، مثلها في ليكون لهم عدوًا وحزنًا ، أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ، ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة، فذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ، وقيل إلى ما دل عليه النهي .أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم ، فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم ، { وَاللَّهُ يُحيِي وَيُمِيت } ردًا لقولهم أي هو المؤثر في الحياة

والممات لا الإقامة والسفر ، فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد، { وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلونَ بَصِيرٌ } تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم .[١]

أقول :لا بدَّ للمؤمن أن يكون مع الله تعالى كالطفل مع والده أو والدته ، إذا كان ابن ست أو خمس أو أربع أو ثلاث سنوات يأخذ والده بيده ، فحيثما ذهب به لا يقول: يأبتي لِمَ تسافر بي من بلدي؟ لِمَ تخرجني من بيتي ؟ وكذلك المؤمن صاحب الاعتقاد الصحيح الذي يعرف الرَّب ويؤمن بقدرته ومعيَّته وإحاطته وقربه من كلِّ شيء ، وأنه لا يعزب عن علمه سبحانه وتعالى مثقال ذرة.

فعلى المؤمن أن لا يقول مثل قول الكفار أو المنافقين ، وأن لا يعتمد على الأسباب ، بل يعتمد ويتوكل على الله تعالى ، فالأسباب مخلوقة ، والأخذ بها من أوامر الله ، أما التوكل على الأسباب فإنه ليس من صفات أهل الإيمان.

ومن لم يكن هكذا مسلِّما لأوامر الله تعالى فإنه إذا حصل له شيء من البلايا والمصائب وقلة الرزق والمضايق يكون ذلك حسرة عليه ، فيقول : لو لم أفعل كذا ما حصل كذا.

١- تفسير البيضاوي.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجَز، وإن أصابك شيءٍ فلا تقل لو أنِّي فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّرَ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان »(١).

اللهمَّ اجعلنا من المتوكِّلين عليك ، الرَّاضين بقضائك وقدَرِك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَبِمَا رَحمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْت لهُم وَلو كنْت فظًّا غلِيظ ٱلْقَلبِ لانْفضُّوا مِن حَولِكَ فَاعف عَنهُم وَاستَغفِر لهُم وَشاوِرهُم فِي الأَمرِ فإذا عَزَمت فَتوَكَّلْ على اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتوَكِّلِين) (١٥٩) [آل عمران :١٥٩]

قوله تعالى : { فبِمَا رَحمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْت لهُم } ما :مزيدة للتأكيد ، أي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربط طه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بعدما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك وإسلامك للعدو { وَلو } لم تكن كذلك بل { كنْت فظًّا } جافيًا في المعاشرة قولا وفعلا { غلِيظ ٱلْقَلب } قاسيه غير رقيق ، فالفظُّ :سيئ الخلق ، وغليظ القلب :هو الذي لا يتأثر قلبه من شيء ، فقد لا يكون الإنسان سيئ الخلق ولا يؤذي أحدًا ولكنه لا يرقُّ لهم ولا يرحمهم ، فظهر الفرق بينهما ، { لانْفضُّوا مِن حَولِكَ } أي لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا إليك ، وتردوا في مهاوي الردى ، { فَاعف عَنهُم } فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم { فَاعف عَنهُم } فيما يتعلق بحقوقه تعالى ، إتمامًا للشفقة عليهم ، وإكمالا للبر بهم { وَشاوِرهُم فِي الأَمرِ } أي استخرج آراءهم ، واعلم ما عندهم في أمر الحرب ، إذ هو المعهود ، أو فيه وفي أمثاله مما تجرى فيه المشاورة

عادة ، استظهارًا بآرائهم وتطييبًا لقلوبهم ورفعًا لأقدارهم وتمهيدًا لسنَّة المشاورة للأمة

{ **فإذا عَزَمت** } أي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك { **فَتوَكَّلْ عَلى اللَّهِ**}

في إمضاء أمرك على ما هو أرشد وأصلح ، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله ، لا

أنت ولا من تشاور ، { **إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتوَكِّلِينَ** } عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم إلى

ما فيه خير لهم وصلاح .[١]

قال الإمام أحمد رضي الله عنه حدثنا حيوة حدثنا بقية حدثنا محمد بن زياد حدثني أبو راشد الحراني قال :أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه وقال :أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يأبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي »[٢].

{**وَلو كنْت فظًّا غلِيظ ٱلْقَلْبِ لانْفضُّوا مِن حَولِكَ** } والفظُّ الغليظ ، المراد به ههنا غليظ الكلام ، لقوله بعد ذلك { **غلِيظ ٱلْقَلْبِ** } أي ولو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم، كما قال عبدالله بن عمرو :إني أرى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .[٣]

---

١ –تفسير روح البيان .

٢ –تفرد به أحمد .

٣ –تفسير ابن كثير.

أقول :إذا أردت أن تَنبه أحدًا على أخلاقه السيئة عليك أن تقول كلامًا عامًّا بالتعريض بدون تعيين، هذا واجب جميع المؤمنين وخاصة أهل العلم ؛ فإذا كان من أهل الفطانة والذكاء والعقل يأخذ حصته من هذا الكلام العام ، ويمتنع عن أخلاقه الذميمة، ولكن الطبيعة البشرية لا تخلو عن الانزعاج حتى من التعريض والكلام العام.

وإذا لم يفهم ولم يترك مخالفته للأوامر الإلهية فلِقِلَّةِ عقله ، لأن عقله لم يُنوَّر بنور القلب ، ولذلك لا اعتبار له.

لا عقل بدون الأدب ، ولا عِلمَ بدون التُّقى.

اللهمَّ نور قلوبنا وعقولنا حتى نكون من أهل الأدب والتقوى.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) (١٦٧) [آل عمران : ١٦٧]

قال الله عز وجل : { هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ } استدلوا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال فيكون في حال أقرب إلى الكفر وفي حال أقرب إلى الإيمان، لقوله : { هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ } ، ثم قال تعالى : { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ، ومنه قولهم هذا : { لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ } فإنهم يتحققون أن جندًا من المشركين قد جاؤوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر ، وهم أضعاف المسلمين ، وأنه كائن بينهم قتال لا محالة ، ولهذا قال تعالى : { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ}. (١)

١- تفسير ابن كثير.

أقول :لا بد من الاكتفاء بعلم الله جلَّ وعلا ، وإذا لم يتفكر المؤمن بعلم الله تعالى فإنه يمكن أن يقع تحت قوله تعالى : { يَقوُلونَ بِأَفْواهِهِم مَا ليسَ فِي قُلوبِهِم } ، إما بسبب نفسه أو عقله أو طبيعته ، وإما من مشاورة غير أهل المشورة.

الكتمان المذكور في الآية الكريمة بقوله تعالى : { وَاللَّهُ أَعلمُ بِمَا يَكْتمُونَ } في حق الكفار ، لكن على المؤمن أن يبتعد عن هذه الأخلاق الكفرية المنافقية في كتمان الحقائق.

كثير من المؤمنين يتعلقون بالأسباب ، يقولون :لو لم يكن هذا ما كان هكذا ، هذا خلاف الإيمان والاعتقاد الصحيح .اعتقاد أهل السنَّة والجماعة أنه إذا لم يوجد السبب فالنتيجة مجهولة (مثلا :لو لم يضرب القاتلُ المقتولَ فإننا لا نعرف إذا كان المقتول سيموت في ذلك الوقت أم لا) ، ولذا علينا أن نفوض الأمور إلى الله ، ونقول :هذا قدر من الله أصابنا .أما أن تؤمن إذا جاءك المال الغزير والأولاد الكُثر ، وإذا هُدم الجدار على الأولاد أو أصابهم الطاعون فماتوا أو ذهب مألك تقوم القيامة على رأسك ، فهذا ليس شأن المؤمن .من يعلم أن الله تعالى لا يفعل شيئًا عبثًا يسَلِّم له.

اللهمَّ ارزقنا التسليم التام لك ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلوبِهِم فأَعرِض عَنهُم وَعِظهُم وَقل لهُم فِي أَنْفسِهِم قولاً بَلِيغًا) (٦٣) [النساء : ٦٣]

قوله تعالى : { أُولَئِكَ } أي المنافقون { الَّذِينَ يَعلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلوبِهِم } من النفاق ، فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب { فأَعرِض عَنهُم } أي لا تقبل اعتذارهم، ولا تفرج عنهم بدعائك { وَعِظهُم } أي ازجرهم عن النفاق والكيد { وَقلْ لهُم فِي أَنْفسِهِم } أي في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى ، أو في أنفسهم خاليًا بهم ليس معهم غيرهم مسارًا بالنصيحة لأنها في السر أنجع { قولاً بَلِيغًا } مؤثرًا واصلا إلى كنه المراد ، مطابقًا لما سيق له المقصود والقول البليغ بأن يقول :إن الله يعلم سركم وما في قلوبكم فلا يغني عنكم إخفاؤه ، فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم من رذيلة الكفر وداووها من مرض النفاق ، وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك وشرًا من ذلك ، وأغلظ عليهم عسى أن تنجع فيهم الموعظة .[١]

١- تفسير روح البيان.

هذا الضرب من الناس هم المنافقون ، والله يعلم ما في قلوبهم ، وسيجزيهم على ذلك ، فإنه لا تخفى عليه خافية ، فاكتف به يا محمد فيهم ، فإنه عالم بظواهرهم وبواطنهم .ولهذا قال له : {**فَأَعرِض عَنهُم** } أي لا تعنفهم على ما في قلوبهم {**وَعِظهُم** } أي وانههم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر { **وَقلْ لَهُم فِي أَنْفسِهِم قولاً بَلِيغًا** } أي وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم .[١]

أقول :هذا التوجيه الذي جاء من الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم هو الطريق ، حيث قال له ما معناه :الله عالم بظواهر المنافقين وبواطنهم ، فاكتفِ بعلمه وأعرض عنهم ، أي فوض أمرهم إليه جلَّ وعلا.

فعلى المؤمن أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكتفي بعلم الله تعالى ، ثم يفوض أمر الهداية إلى الله جلَّ وعلا ، فلا ينزعج من عدم قبول السامعين لنصيحته أو توجيهه ، لأن القبول ليس وظيفته ، وظيفُته القول ، والهداية من الله تعالى ، فالانزعاج من عدم القبول من حظوظ النفس.

اللهمَّ اهدنا واهدِ بنا يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- تفسير ابن كثير.

اللفظ السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلونَ إِلى قومٍ بَيْنَكم وَبَيْنَهُم مِيثاق أَو جَاءُوكم حَصِرَتْ صُدُورُهُم أَن يُقاتِلوكم أَو يُقاتِلوا قومَهُم وَلو شَاءَ اللَّهُ لسَلَّطهُم عَليكم فَلَقَاتَلوكم فإِنِ اعتَزَلوكم فَلم يُقاتِلوكم وَأَلقَوا إِلَيكُمُ السَّلَمَ فمَا جَعَلَ اللَّهُ لكم عَليهِم سَبِيلا (٩٠) [النساء : ٩٠]

قوله تعالى : { حَصِرَتْ صُدُورُهُم أَن يُقاتِلوكم } أي ضاقت عن أن يقاتلوكم مع قومهم { أَو يُقاتِلوا قومَهُم } معكم ، والمراد بالجائين الذين حصرت صدورهم عن المقاتلة بنوا مدلج ، وهم كانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشًا أن لا يقاتلوهم ، فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم ولأنه تعالى قذف الرعب في قلوبهم ، وضاقت صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم .نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمؤمنين ، لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم ، { وَلو شَاءَ اللَّهُ لسَلَّطهُم } أي بني مدلج { عَليكم } بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم .[١]

أقول :وعلى هذا :المذبذبون بين فريقين لا يرضى عنهم أحد ، لأن هذين الفريقين بعضهم ضد لبعض ، ولكن علينا أن نحكم بظاهر الشريعة ونفوض أمرهم إلى الله.

١– تفسير روح البيان.

هذا إذا كان التذبذب بين الكفار والمسلمين ؛ وأما إذا كان التذبذب في الطريق بين مَشرَبَين فإنه لا يجوز، لأن المذبذب لا يستفيد من هذا ولا من ذاك .فعليه أن يترك أحد الفريقين ويكون صادقًا مع الفريق الآخر حتى يستفيد ، وإلا لا يستفيد من أيهما قط.

حق المؤمن أن لا يكون هكذا ، يتفكر في نفسه أنه يخدع هذا الفريق وهذا الفريق ؛ وهو في الحقيقة يضر نفسه ، ولا يضر أحدًا من الفريقين.

هذا ليس من الأخلاق الحسنة وليس من صفات الصادقين.

اللهمَّ ارزقنا الصدق في القول والعمل، واجعلنا من عبادك المخلصين، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَبِمَا نقْضِهِم مِيثَاَقهُم وَكفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقتْلِهِمُ الأَنبِيَاءَ بِغيرِ حَقٍّ وَقولِهِم قُلوبُنَا غُلْف بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا بِكفرِهِم فلا يُؤْمِنونَ إِلاَّ قلِيلا (١٥٥) [النساء : ١٥٥]

قوله تعالى : { وَقولِهِم قُلوبُنا غُلْف } جمع أَغلف أي هي مغشّاة بأغشية جِبِلّية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ولا تفقه ما يقوله ، أو هو تخفيفُ غُلف بضم الغين واللام جمع غلاف ، أي هي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره ، { بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا بِكفْرِهِم } كلام معترض بين المعطوفتين ، جيء به على وجه الاستطراد ، مسارعة على زعمهم الفاسد ، أي ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلفًا بحسب الجِبِلَّة ، بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم ، وليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم .[١]

أقول :الله جل جلاله من فضله وبركته ورحمته أعطانا العقل والقدرة – وإن كانت جزئية – وأعطانا الجزء الاختياري ، وبيَّن لنا الأمرين :إما الإيمان وإتباع القرآن الكريم وإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وثمرة ذلك رضا الله تعالى ، وإما الكفر والعناد والنفاق والعصيان ، وثمرته سخط الله جلَّ وعلا ، بهذا خيَّرنا : { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِرًا وَإِمَّا كُفورًا} [الإنسان :٣]، فالإيمان المقبول عند الله تعالى هو

١– تفسير روح البيان.

الإيمان الاختياري لا الجبري ، ولو كان الإيمان الجبري مقبولا عنده لأعطاه لكل الكافرين إن أراد { وَلو شِئْنا لآَتَينا كلَّ نفْسٍ هُدَاهَا} [السجدة :١٣].

فنحن مخيّرون وعلينا أن نستعمل هذا الاختيار في إرضاء الله تعالى .فليس للكافرين أن يحتجوا بقولهم : { قُلوبُنا غُلْف } ، لأنها – كما قال الله تعالى – :{ بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا بِكفْرِهِم } ، فهذا الطبع وإن كان أزليًا لكنهم لا علم لهم به ، وقد استعملوا الجزء الاختياري الذي أعطاهم إياه ربهم والقدرة التي خلقها فيهم استعملوها في الكفر ولم يستعملوها في الإيمان.

فالإنسان كما أنه ليس له مداخلة في خلقه في بطن أمه ، وقبَله في صلب أبيه ، وبعدَه في مجيئه إلى هذا الوجود ، فإنه إذا كبُر وتخلص من الاعتقاد التقليدي المتلقَّف من أبويه ، إذا فتح عينيه ورأى الكون ، وتفكر :من أين جئت؟ وإلى أين أذهب؟ ومن أوجدني؟ يصل إلى معرفة ربه خالقه .وهذا واجب على العاقل – كما هو مذهب الماتريدي رضي الله عنه – ولو لم يصل إليه التبليغ .فإذا تفكر بوجوده بعد عدمه يثبت عنده أن هذه الدنيا لا تدوم لأحد ، وإذا كان عاق لا يتفكر في العالَم مذ سيدنا آدم إلى الآن :من أين تأتي أرواحهم؟ وأين تذهب؟ لا بد من حلِّ هذا الطلسم ، فإذا حلَّه عرف أنه لا بد أن يذهب إلى الآخرة مثلهم ، فلا يقول كما قال الكفار: { قُلوبُنا غُلْف } بل يقول :عليَّ أن أرجع إلى الله تعالى وأستغفره عساه أن يعفو عني.

اللهمَّ إنا نسألك العفو والعافية وحُسن الختام.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاذكرُوا نِعمَة اللَّهِ عَليكم وَمِيثَاقهُ الَّذِي وَاثقكم بِهِ إِذ قلتم سَمِعنا وَأطعنا وَاتَّقوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (٧) [المائدة : ٧]

{وَاذكرُوا نِعمَة اللَّهِ عَليكم } بالإسلام { وَمِيثَاقهُ الَّذِي وَاثقكم بِهِ إِذ قلتم سَمِعنا وَأطعنا } أي عاقدكم به عقدًا وثيقًا ، وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره ، فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا .وقيل :هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان .[١]

وأما قوله : { وَاتَّقوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } فإنه وعيد من الله جلَّ اسمه للمؤمنين الذين أطافوا برسوله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، وتهديد لهم أن ينقضوا ميثاق الله الذي واثقهم به في رسله وعهدَهم الذي عاهدوه فيه ، بأن يضمروا له خلاف ما أبدوا له بألسنتهم .يقول لهم جلَّ ثناؤه :واتقوا الله أيها المؤمنون ، فخافوه أن تبدلوا عهده وتنقضوا ميثاقه الذي واثقكم به ، أو تخالفوا ما ضمنتم له بقولكم :سمعنا وأطعنا ، بأن تضمروا له غير الوفاء بذلك في أنفسكم ، فإن الله مطلع على ضمائر

١- تفسير النسفي.

صدوركم ، وعالم بما تخفيه نفوسكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قِبل لكم به ، كالذي حلَّ بمن قبلكم من اليهود ، من المسخ وصنوف النقم، وتصيروا في معادكم إلى سخط الله وأليم عقابه .(١)

واعلم أن أول النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين إخراجُهم من ظلمة العدم إلى نور الوجود ، وخلُقهم في أحسن تقويم لقبول الدين القويم ، وهدايُتهم إلى الصراط المستقيم واستماع ألست بربكم وجواب بلى ، وتوفيُقهم للسمع والطاعة ، ولو لم تكن نعمة التوفيق لقالوا :سمعنا وعصينا ، كما قال أهل الخذلان والعصيان ، وعن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعي قال :كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقالوا :ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم – وكنا حديثي عهد ببيعته – فقلنا :قد بايعناك يا رسول الله ، قال: « ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم» فبسطنا أيدينا وقلنا :قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك؟ قال:« أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتطيعوا أوامره جلية وخفية ، ولا تسألوا الناس» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سَوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه حتى يكون هو ينزل فيأخذه (٢).(٣)

١– تفسير الطبري .

٢– أخرجه مسلم عن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي بألفاظ متقاربة .

٣– تفسير روح البيان.

أقول :علينا أن نكون على سيرة من بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نسأل أحدًا شيئًا مما نحتاج إليه ؛ فإن هذا يدلُّ على قوة الإيمان ، وخلافُهُ يدل على ضعف الإيمان ؛ لأن الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب ، فإذا كنا نؤمن بأن العطاء من الله تعالى علينا أن نتمسك به .وهذا لا يُنافي السعي من أجل الكسب الحلال ، لكنه ينافي القعود بدون عمل والاسترزاق بسؤال الناس.

بعض الناس يجعل علمه أو خدمته للدين آلة للرزق ، كما فعل بلعم بن باعوراء ، وهو مسلم عالم باسم الله الأعظم .وبعضهم يُضمر في نفسه طلب التمشيُخ والرئاسة ، فإذا لم يُعطها ولم يُسمح له بها يصير عدوًّا .وبعضهم يطلب العطاء ممن لا يمكنه أن يعطيه ، أو يمكنه لكنه لا يعطي ، فيأخذ عدم إعطائه سلاحًا تجاهه ، ويبغضه ويحقد عليه ويذمه .هذا ليس شأن المؤمن.

اللهمَّ اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَبِمَا نقْضِهِم مِيثَاقَهُم لعَنَّاهُم وَجَعَلنَا قُلوبَهُم قَاسِيَة يُحَرِّفون الْكلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنسُوا حَظًّا مِمَّا ذكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلى خَائِنَةٍ مِنْهُم إلاَّ قَلِيلا مِنهُم فَاعف عَنهُم وَاصَفح إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحسنين (١٣) [المائدة : ١٣]

قوله تعالى : { فبِمَا نقْضِهِم مِيثاقَهُم لعَنَّاهُم } أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم أي أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى ، { وَجَعَلنَا قُلوبَهُم قاسِيَةً} أي فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها .[1]

أقول :في هذه الآية الكريمة يلعن الله تعالى الكافرين الذين نقضوا العهد ، لكن هذا الوصف إذا صدر من المسلمين يكونون فاسقين عاصين ، والعصيان ينكت في القلب نكتة سوداء ، حتى إذا استولى على القلب يكون الران : { كَلا بَلْ رَانَ على قُلوبِهِم مَا كَأنوا يَكسِبُونَ} [المطففين : ١٤] ، وإذا حصل الرين على القلب يصبح قاسيًا ، فلا تؤثر فيه قراءة القرآن ولا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا وعظ الواعظين، حينذاك ينحرف صاحبه عن الاستقامة الشرعية ، ويتمسك بنفسه وعقله المظلم ، ويتوجه إلى الدنيا الفانية ، وينسى الآخرة .لكنه إذا تاب واستغفر ورجع إلى خالقه

١- تفسير ابن كثير.

فإنه جلَّ وعلا يرحمه ويغفر له ويبدل سيئاته حسنات ، أما إذا لم يرجع ومات على ذلك فأمره إلى الله ، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، ولكن الله تعالى يقول: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه :٨٢] ، قيَّد المغفرة بالاهتداء وبالاستقامة وبالعمل الصالح ، أما الإيمان المجرد فأمره إلى الله.

اللهمَّ اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا ، وما أسرَرنا وما أعلنَّا ، وما أنت أعلم به منَّا ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان الحادي والثلاثون والثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكفرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِم وَلم تؤمِن قُلوبُهُم وَمِن الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكذِبِ سَمَّاعُونَ لِقومٍ ءَاخَرِينَ لم يَأتوك يُحَرِّفونَ الْكلِمَ مِن بَعدِ مَوَاضِعِهِ يَقوُلونَ إن أُوتِيتُم هَذا فَخُذوهُ وَإِن لم تؤْتوهُ فاحذرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتهُ فَلن تملِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شيئًا أُوَلئِكَ الَّذِينَ لم يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهرَ قُلوبَهُم لهُم فِي الدُّنيا خِزيٌ وَلهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكذِبِ أَكَّالُونَ للسُّحت (٤٢) [المائدة: ٤١]

نزلت الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل { مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِم وَلم تؤمِن قُلوبُهُم } أي أظهروا الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه ، وهؤلاء هم المنافقون .قال الله تعالى : { وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتهُ فَلن تملِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شيئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لم يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطهرَ قُلوبَهُم لهُم فِي الدُّنيَا خِزيٌ وَلهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ* سَمَّاعُونَ لِلْكذِبِ } أي الباطل { أَكَّالُونَ لِلسُّحتِ } أي الحرام ، وهو الرشوة ، كما قاله ابن مسعود وغير واحد .أي ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وأنى يستجيب له .[١]

١- تفسير ابن كثير.

أقول :لا بد للمؤمن أن يحذر من هذه الصفات المخصوصة بالمنافقين الذين ردّ الله عليهم كذبهم في دعواهم الإيمان.

علينا أن نتمسك بأوامر الله ونجتنب نواهيه، ونتمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لعلَّ الله تعالى يخلصنا بفضله وكرمه من العذاب الأليم ومن سخطه.

لا يكفي الإيمان باللسان فقط، بل لا بدَّ من القلب الصادق المصدق بالإيمان حتى يكون القول باللسان مقبولا.

قوله تعالى : { لم يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطهرَ قُلوبَهُم } فإذا أراد الله أن يطهر قلوبهم يحرك الداعي في قلوبهم ، ويأتي ذلك إلى القدرة الشخصية المخلوقة في الإنسان ، حينذاك يستعمل جزأه الاختياري ويوجهه إلى فعل أوامر الله تعالى ويجتنب نواهيه .هذا الجزء الاختياري وإن كان ضعيفًا وجزئيًا إلا أن التكليف متعلِّق به : { إِنَّا هَدَيَناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِرًا وَإِمَّا كُفورًا} [الإنسان :٣]، وإلا تعطَّلت الأحكام الشرعية ، نعوذ بالله من هذا التعطيل.

ليس للكفار أن يقولوا :ربَّنا لا يريد منا الإيمان ، فقد بيَّن الله سبل النجاة فقال:
{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لمَعَ الْمُحسِنِينَ} [العنكبوت :٦٩] فالذي

يجاهد باختياره يهديه الله تعالى ويكون من المحسنين.

اللهمَّ وفِّقنا لمجاهدة أنفسنا واجعلنا من المحسنين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَترَى الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقوُلونَ نخشى أَن تصِيبَنا دَائِرَة فعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتحِ أَو أَمرٍ مِن عِنْدِهِ فَيُصبِحُوا علَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفسِهِم نادِمِينَ(٥٢) [المائدة :٥٢]

قوله تعالى : { فَترَى الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } أي شك وريب ونفاق { يُسَارِعُونَ فِيهِم } أي يبادرون إلى موالاة الكفار ومودتهم في الباطن والظاهر { يَقوُلونَ نخشى أَن تصِيبَنا دَائِرَة } أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك .[١]

أقول :علينا أن لا نميل إلى من لا نثق بدينه من أجل فائدة دنيوية ، لأن التقسيم والفائدة كلها عند الله تعالى ، فإذا أراد الله أن يُعطي لا مانع لإعطائه ، وإذا أراد أن يمنع لا معطي لما منع .فعلينا أن نحفظ ديننا من اختلاط الدنيا به ، وأن نتوكل على الله ، ونقنع بما في أيدينا ، ونسعى على معيشتنا ، ونرضى بمقدار ما رزقنا الله منها.

و الله تعالى أخبرنا عن صفات المنافقين والكافرين لنجتنب أوصافهم ولا نعيش بأخلاقهم.

أعاذنا الله تعالى من صفات المنافقين ومن صفات الكافرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- تفسير ابن كثير.

اللفظ الرابع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ هَلْ يَستَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنزل عَلَينَا مَائِدَة مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقوا اللهَ إِن كُنتم مُؤمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نريدُ أَن نأكلَ مِنهَا وَتطمَئِنَّ قُلوبُنا وَنعلَمَ أَن قد صَدَقتَنا وَنكونَ عَليهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابنُ مَريَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنزِلْ عَلَينَا مَائِدَة مِنَ السَّمَاءِ تَكونُ لَنا عِيدًا لأوَّلِنا وَآخِرِنا وَءايَة مِنْكَ وَارزُقنا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللهُ إِنِّي مُنزِّلهَا عَليكم فمَن يَكفر بَعدُ مِنكم فإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِن الْعَالَمِينَ(١١٥) [المائدة : ١١٢-١١٥]

الصحيح أن هذا السؤال من الحواريين لم يكن عن شك وارتياب في قدرة رب الأرباب، وإنما كان سؤال استفسار واستخبار، عن إنزال الله المائدة من السماء، فسؤالهم كان للاطمئنان والتثبت، ولكنهم أخطؤوا في التعبير فقالوا : { هَلْ يَستَطِيعُ رَبُّكَ}؟ ومرادهم هل يفعل ربك ذلك؟ وهل يجيبنا إلى هذا الطلب؟ ولهذا نبههم عيسى عليه السلام ، ولفت أنظارهم إلى هذا الخطأ { قَالَ اتَّقوا اللهَ إِن كُنتم مُؤمِنِينَ } أي اتقوا الله في أمثال هذه الأسئلة ، إن كنتم مصدقين بكمال قدرته تعالى .قال الحسن البصري :لم يشكُّوا في قدرة الله تعالى ، وإنما سألوه سؤال مستخبر :هل ينزل أم لا؟ فإن كان ينزل فاسأله لنا ، فسؤالهم كان للاطمئنان والتثبت ، ويدلُّ عليه قوله سبحانه : {قَالُوا نريدُ أَن نأكلَ مِنهَا وَتطمَئِنَّ قُلوبُنا وَنعلَمَ أَن قد صَدَقتَنا وَنكونَ عَليهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ}

أي قال الحواريون :نريد بسؤالنا المائدة أن نأكل منها تبركًا ، وتسكن نفوسنا بزيادة اليقين ، ونعلم علمًا يقينيًا أنك قد صدقتنا في دعوى النبوة ، ونكون من الشاهدين عند من لم يحضرها ، ليزداد المؤمنون بشهادتنا إيمانًا .[١]

أقول :على المؤمنين أن يتوكلوا على الله جلَّ وعلا .فالحواريون لفقرهم وعجزهم اعتمدوا على رسالة سيدنا عيسى عليه السلام والتجؤوا إليه حتى يسأل ربهم ليسدَّ احتياجهم ، لا لشكهم في إيمانهم أو في رسالة سيدنا عيسى عليه السلام ، ودليل هذا أن الله تعالى لما اطلع على قلوب الحواريين علم أنهم يسألون هذه النعمة لفقرهم وعجزهم ، لا عنادًا وتكبرًا ، فأجاب سيدَنا عيسى وأعطاهم المائدة ، وشرط عليهم أن لا يكفروا بهذه النعمة ، وإذا أنكروها أو كفروا بها فإنه يعذبهم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين.

حينذاك كان الحواريون مستقيمين على دين سيدنا عيسى عليه السلام ، فأجابهم الله تعالى : { إِنّي مُنزِّلها عَليكم } وشرَط عليهم أن لا يخونوا ولا يدَّخروا منها لغد ، فلما لم يوفوا بالشروط مسخهم قردة وخنازير.وهذا يدل على أن المؤمن إذا تنعم بنعم الله تعالى ولم يشكره عليها ولم يؤد حقها وأسرف باستعمالها في الحرام وخان وتكبَّر بها على خلق الله فإن الله تعالى يأخذها منه ، لأن قيدَ النعمة الشكرُ.

اللهمَّ اجعلنا من عبادك الشاكرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- التفسير الواضح الميسر.

اللفظ الخامس والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمِنهُم مَن يَستَمِعُ إِليكَ وَجَعَلنا عَلَى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِي ءاذانِهِم وَقرًا وَإِن يَرَوا كلَّ ءايَةٍ لا يُؤمِنوا بِهَا حَتَّى إذا جَاءُوكَ يُجَادِلونَكَ يَقولُ الَّذِين كَفرُوا إِن هَذا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ(٢٥) [الأنعام :٢٥]

قوله تعالى : { وَمِنهُم مَن يَستَمِعُ إِليكَ وَجَعَلَنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّة أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقرًا وَإِن يَرَوا كلَّ ءَايَةٍ لا يُؤْمِنوا بِهَا } أي يجيئون ليستمعوا قراءتك ولا تجزي عنهم شيئًا، لأن الله جعل { عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً } أي أغطية لئلا يفقهوا القرآن {وَفِي ءَاذَانِهِم وَقرًا } أي صممًا عن السماع النافع لهم .[1]

أقول :لا يقال :ما دام الله تعالى قال : { إِنَّا جَعَلَنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً} [الكهف :٥٧] إذًا لو شاء الله آمنا ولو ما شاء ما آمنا ، يحولون كفرهم على الله تعالى .هذا لا يليق، لأن الله جلّ جلاله وجّه الإنسان إلى الإيمان والعمل الصالح ، وما سلب منه الاختيار بالكلّية ، وإلا يكون الإيمان جبريًا ، والله تعالى لا يرضى من عبده الإيمان الجبري ، لأنه تعالى جعل العبد مخيّرًا { وَهَدَيناهُ النَّجدَينِ} [البلد : ١٠] ، وإذا خطر في بالنا أن معنى جعل الأكنة على القلوب هو الإجبار فهذا خلاف الأدب مع الله تعالى،

١-تفسير ابن كثير.

وخلاف الاعتقاد السليم ، والله تعالى يقول : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوا زَادَهُم هُدًى وَءَاتَاهُم تقوَاهُم} [محمّد :١٧].

وقوله تعالى : { وَإِن يَرَوا كلَّ ءَايَةٍ لا يُؤْمِنوا بِهَا } معناه أن الكفار مهما رأوا من المعجزات الدالة على صدق رسالة سيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم ، كانشقاق القمر، ونزول المطر ، وتكثير الطعام القليل ببركة دعائه ، لا يصدقون بهذه المعجزات ولا يؤمنون ، وذلك لعدم اختيارهم الإيمان على الكفر.

اللهمَّ إنا نسألك إيمانًا كاملا، وعلمًا نافعًا، وعملا صالحًا متَقبَّلا، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَلولا إِذ جَاءَهُم بَأْسُنا تضَرَّعُوا وَلكِن قسَت قُلوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ مَا كانُوا يَعمَلونَ (٤٣) [الأنعام : ٤٣]

قال الله تعالى : { فَلولا إِذ جَاءَهُم بَأْسُنا تضَرَّعُوا } لولا للتحضيض ، أي :فه ّ لا تضرعوا حين جاءهم العذاب .وهذا عتاب على ترك الدعاء ، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا مع قيام ما يدعوهم إلى التضرع ، { وَلكِن قسَت قُلوبُهُم } أي :ولكن ظهر منهم النقيض حيث قست قلوبهم، فلم تلِنْ للإيمان { وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ مَا كانُوا يَعمَلونَ } أي :زين لهم المعاصي والإصرار على الضلال .[١]

أقول :من كان له إيمان فإنه في الرخاء بدون بلاء يدعو ويتضرع إلى الله تعالى ، لأنه يعلم قطعيًا أن له ربًا، فيلتجئ إليه ، ويعلم : { إِنَّ عَذَابَ رَبهِم غَيرُ مَأْمُونٍ} [المعارج :٢٨].

١– صفوة التفاسير

فالآية لا تدل على أن التضرع لازم أثناء البلاء فقط ، بل على الناس أن يعرفوا ربهم قبل نزول البلاء ، ولكن الكفار – بقسوة قلوبهم وعدم إيمانهم وسوء اختيارهم– صاروا كأنهم بعيدون عن الرب جلَّ وعلا ، فلم يتضرعوا قبل نزول العذاب ، ولذا فإنهم بعد نزول العذاب لم ينتبهوا، فلم يتضرعوا كذلك.

اللهمَّ عرفنا نعمَك بدوامها لا بزوالها ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السابع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ أَرَأَيْتم إن أَخذ اللَّهُ سَمعَكم وأَبصَاركم وَخَتَمَ عَلى قُلوبِكم مَن إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأْتِيكم بِهِ أنْظر كيف نصَرف الآيَاتِ ثمَّ هُم يَصدِفونَ (٤٦) [الأنعام : ٤٦]

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم:{ قُلْ } لهؤلاء المكذبين المعاندين: { أَرَأَيْتم إن أَخذ اللَّهُ سَمعَكم وأَبصَارَكم } أي سلبكم إياها كما أعطاكموها ، كما قال تعالى :{ هُوَ الَّذِي أَنْشأَكم وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ} [الملك :٢٣] ، ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع الشرعي ، ولهذا قال :{ وَخَتَمَ عَلى قُلوبِكم } كما قال :{ أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ} [يونس :٣١] ، وقال :{ وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَينَ الْمَرءِ وَقَلْبِهِ} [الأنفال :٢٤]، وقوْله :{ مَن إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ يَأْتِيكم بِهِ } [الأنعام :٤٦] ، أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه.[1]

أقول :الله جلَّ جلاله أعطى لعباده جميعًا النعم الكثيرة الظاهرة والباطنة ، كما قال تعالى : { وَأَسبَغَ عَليكم نِعمَهُ ظَاهِرَة وَبَاطِنَةً} [لقمان : ٢٠] ، وقال أيضًا :{ وَإِن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللَّهِ لا تحصُوهَا} [النحل :١٨] ، ولكنه تعالى خصَّص في هذه الآية السمع والبصر بالذِّكر لأن الإنسان يتفكَّر أولا في شخصه وفيما أنعم الله على جسده.

١- تفسير ابن كثير

فنعمة الوجود بعد العدم لا يوازيها نعمة إذا قُرنت بالإيمان ، ثم أعطانا ربنا سبحانه وتعالى الجوارح ، كالسمع لنسمع به القرآن الكريم ، والبصر للتفكر في دلائل وحدانيته جلَّ وعلا ، والذوق جعله لنا حارسًا على أفواهنا ، فإذا وجد شيئًا مرًّا مثلا يلفظه ، وإذا وجد شيئًا مقبولا يأكله ، وغير ذلك من النعم الكثيرة كالقلب واللطائف الداخلية الأخرى .كل هذه النعم تدل على أنه سبحانه الخالق الواحد ، ليس له شريك في هذا الإنعام ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع .فعلى المؤمن أن يستعمل ما أنعم الله جلَّ جلاله به عليه فيما خلق له ، وفي مصالحه الدنيوية كذلك؛ فقد أعطاه العين ليقرأ القرآن الكريم والكتب الدينية ويتفكر في مخلوقات الله تعالى ، حتى يقوى إيمانه ، وليرى فيها مصالحه الدنيوية ، وأعطاه اللسان حتى يتكلم ويقرأ القرآن والكتب الدينية كذلك ، وخلق على عيوننا الأهداب لتمنع عنها الغبار ، وهكذا ... لو لم يخلق لنا اليدين كيف نأكل؟ لو لم يعطِ جسمنا المفاصل كيف نصلِّي وكيف نتحرك...؟: { وَإِن تعُدُّوا نِعمَةَ اللَّهِ لاتحصُوهَا} [النحل :١٨].

فعلى المؤمن أن يتفكر في هذه النعم ، وأن يستعملها فيما خلقت له ، وإلا يكون كفرانًا للنعم ، ومن لا يعرف النعم لا يشكر المنعم ، ولذا جزاؤه جهنَّم.

اللهمَّ اجعلنا من عبادك الشاكرين يارب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَقسَمُوا بِاللهِ جَهدَ أَيمَانِهِم لئِن جَاءَتهُم ءَايَة لَيُؤْمِننَّ بِهَا قلْ إِنَّمَا الآيَات عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشعِرُكم أَنَّهَا إِذا جَاءَت لا يُؤمِنونَ (١٠٩) وَنقَلِّبُ أَفْئِدَتهُم وَأَبصَارَهُم كمَا لم يُؤْمِنوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّة وَنَذَرُهُم في طغيَانهم يَعمَهُونَ (١١٠) [الأنعام : ١٠٩-١١٠]

قوله تعالى :{ وَنقَلِّبُ أَفْئِدَتهُم } عطف على { لا يُؤْمِنونَ } أي وما يشعركم أنّا حينئذ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمون { وَأَبصَارَهُم } عن اجتلائه فلا يبصرونه ؟ فلا يؤمنون بها { كمَالم يُؤْمِنوا بِهِ } أي بما جاء من الآيات { أَوَّلَ مَرَّةٍ } من انشقاق القمر ونحوه { وَنَذَرُهُم } أي ندعهم ، عطف على { لا يُؤْمِنونَ } داخل في حكم الاستفهام الإنكاري { فِي طغْيَانِهِم } ضلالهم ، متعلق بنذرهم { يَعمَهُونَ } أي متحيرين ، لا نهديهم هداية المؤمنين ، فهو حال من الضمير المنصوب في { وَنَذَرُهُم } .

ووجه هذا التقليب والترك فساد استعدادهم وإعراضهم عن الحق بالكّلية ، فإن الله تعالى لا يفعل بهم ذلك مع توجههم إلى الحق واستعدادهم لقبوله ، فإنه إجبار محض ، فإن كان مقهورًا مطبوعًا على قلبه فليعلم أن ذلك لعدم تأثير اللطف فيه أصلا ، فلله الحجة البالغة ، ومن الله الهداية والتوفيق .[١]

١- تفسير روح البيان

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية :لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ، ورُدت عن كل أمر ، وقال مجاهد في قوله : {وَنقَلِّبُ أَفْئِدَتهُمْ وَأَبصَارَهُمْ } ونحول بينهم وبين الإيمان ، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة. (١)

فالقدرة الأصلية صالحة للضدين وللطرفين على السوية ، فإذا لم ينضم على تلك القدرة داعية مرجحة امتنع حصول الرجحان ، فإذا انضمت الداعية المرجحة إما إلى جانب الفعل أو إلى جانب الترك ظهر الرجحان ، وتلك الداعية ليست إلا من الله تعالى قطعًا للتسلسل . وقد ظهر صحة هذه المقدمات بالدلائل القاطعة اليقينية التي لا يشك فيها العاقل .وهذا هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء » (٢) فالقلب كالموقوف بين داعية الفعل وبين داعية الترك، فإن حصل في القلب داعي الفعل ترجح جانب الفعل ، وإن حصل فيه داعي الترك ترجح جانب الترك (٣) ، وهاتان الداعيتان لما كانتا لا تحصلان إلا بإيجاد الله

١- تفسير ابن كثير .

٢- أخرجه الترمذي عن أنس وعائشة رضي الله عنهما .

٣- للدَّاعي أربع مراتب :

الأولى :خلقية الداعي .فالله تعالى خالق كل شيء، والداعي شيء، فخالقه هو الله.

الثانية :تحريك الداعي .محرك الداعي هو الله.

الثالثة :ترجيح الفعل أو الترك .هذا من الشخص، باستعمال الجزء الاختياري.

الرابعة :التنفيذ .وهذا من الشخص أيضًا، إما بالفعل أو بالترك.

الداعي مكانه القلب، وهو حصول دافع الخير أو الشر فيه، وهو يأتي من عالم الغيب إلى قلب المكلَّف سواء كان من الخيرات والأعمال الصالحة بفضل الله تعالى بواسطة الملائكة، أو من الشرور والفساد بواسطة النفس والشيطان .هذا هو الداعي، وخالقه هو الله .فإذا حرَّك الله تعالى ذلك الداعي ينزل إلى=

وتخليقه وتكوينه ، عبر عنهما بأصبعي الرحمن .والسبب في حسن هذه الاستعارة أن الشيء الذي يحصل بين أصبعي الإنسان يكون كامل القدرة عليه ، فإن شاء أمسكه وإن شاء أسقطه ، فههنا أيضًا كذلك القلب واقف بين هاتين الداعيتين ، وهاتان الداعيتان حاصلتان بخلق الله تعالى ، والقلب مسخر لهاتين الداعيتين ، فلهذا السبب حسنت هذه الاستعارة.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: « يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك »[1] والمراد من قوله : "مقلب القلوب "أن الله تعالى يقلبه تارة من داعي الخير إلى داعي الشر وبالعكس[2].

إذا عرفت هذه القاعدة فقوله تعالى:{ وَنقَلّبُ أَفْئِدَتهُم وَأَبصَارَهُم } محمول على هذا المعنى الظاهر الجلي الذي يشهد بصحته كل طبع سليم وعقل مستقيم ، فلا حاجة البتة إلى ما ذكروه من التأويلات المستكرهة.

وإنما قدم الله تعالى ذكر تقليب الأفئدة على تقليب الأبصار ، لأن موضع الدواعي والصوارف هو القلب ، فإذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر إليه شاء أم أبى، وإذا حصلت الصوارف في القلب انصرف البصر عنه ، فهو وإن كان يبصره في

=اختيار المكلَّف، حينذاك إما أن يستعمله في مرضاة الخالق، وإما أن يتبع النفس والشيطان، وهو بذلك يكون مسؤولا، { وَهَدَيْنَاهُ النَّجدَين } [البلد : ١٠]، وهو اختيار أحد الشقين، وبهذا الاختيار يكون العبد إما طائعًا أو عاصيًا، وإذا استعمل هذا الاختيار يثاب أو يُعاقَب.

١- أخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه بألفاظ متقاربة .

٢- كما أن الله تعالى لا يمنع الكفار من رزقهم، بل يرزقهم كما يرزق المؤمنين والأولياء والأنبياء، فإنه كذلك لا يمنع الذي يستعمل جزأه الاختياري في اختيار عدم الإيمان من اختياره.

الظاهر إلا أنه لا يصير ذلك الإبصار سببًا للوقوف على الفوائد المطلوبة[١] .وهذا هو المراد من قوله تعالى :{ وَمِنهُم مَن يَستَمِعُ إِليكَ وَجَعَلنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقرًا } [الأنعام :٢٥] ، فلما كان المعدن هو القلب ، وأما السمع والبصر فهما آلتان للقلب ، كانا لا محالة تابعين لأحوال القلب ، فلهذا السبب وقع الابتداء بذكر تقليب القلوب في هذه الآية ، ثم أتبعه بذكر تقليب البصر .[٢]

وتحقيقه على ما ذكره شيخ مشايخنا الكوراني أنه سبحانه حيث علم في الأزل سوء استعدادهم المخبوء في ماهياتهم أفاض عليهم ما يقتضيه ، وفعل بهم ما سألوه بلسان الاستعداد بعد أن رغبهم ورهبهم وأقام الحجة وأوضح المحجة ، ولله تعالى الحجة البالغة، وما ظلمهم الله سبحانه ولكن كانوا هم الظالمين .[٣]

اللهمَّ اجعلنا من الذين سبقت لهم منك الحسنى، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١ -لأن الإبصار إذا لم يستفد من نور القلب يكون كعدم الإبصار .

٢ -تفسير الرازي.

٣ -تفسير الألوسي

اللفظ التاسع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَكذلِكَ جَعَلَنا لِكلِّ نَبِيٍّ عَدُوا شيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِن يُوحِي بَعضُهُم إلى بَعضٍ زُخْرُف الْقَولِ غرُورًا وَلو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلوهُ فذرهُم وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتصَغى إليهِ أَفْئِدَة الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرضَوهُ وَلِيَقْتَرِفوا مَا هُم مُقْتَرِفونَ (١١٣) [الأنعام : ١١٢-١١٣]

قوله تعالى :{ وَلِتصَغى إليهِ } أي إلى زخرف القول ، والمراد هنا ولتميل إليه { أَفْئِدَة الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ } أي على الوجه الواجب .وخص عدم إيمانهم بها دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان بها وهم كافرون – قال مولانا شيخ الإسلام:-

(إشعارًا بما هو المدار في صغو أفئدتهم إلى ما يُلقى إليهم ، فإن لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره ، وآلامها مزينة بالشهوات ، فالذين لا يؤمنون بها وبأحوال ما فيها لا يدرون أن وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلامًا ، وإنما ينظرون ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي ، فهم مضطرون إلى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الأقاويل ومموهات الأباطيل ، وأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين

على حقيقة الحال ناظرين إلى عواقب الأمور لم يتصور منهم الميل إلى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها [١] اهـ .[٢]

قوله تعالى :{ **وَلِيَرْضَوْهُ** } لأنفسهم بعدما مالت إليه أفئدتهم { **وَلِيَقْتَرِفوا** } أي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له { **مَا هُم مُقْتَرِفونَ** } له من القبائح التي لا يليق ذكرها ، وهي ما يُقضي عليهم في اللوح المحفوظ [٣]. يُقال اقترف فلان ذنبًا إذا عمله ومالا إذا اكتسبه .وفي الآية إشارة إلى أن البلايا للسائرين إلى الله هي المطايا ، وأن أشد البلاء شماتة الأعداء ، فلما كانت رتبة الأنبياء أعلى كانت عداوة الكفار لهم أوفى ، وفي ذلك ترقّيات لهم وتجلّيات.

والإشارة في شيطان الإنس إلى النفس الأمارة بالسوء[٤] ، وهي أعدى الأعداء ، ولهذا قدم ذكره على الجِن ههنا ، بخلاف المواضع الأخر ، وليعلم أن عداوة النفس

---

١ –مع التأسف !الآن المؤمنون اتبعوا هذه الزخارف والشهوات والميول الفاسدة، وتركوا أكثر أوامر الله تعالى، وإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم يركضون وراء اللذائذ الشهوانية، وصارت محاسن الإسلام عندهم قبائح، كتستر النساء مثلا .المؤمنة إذا أنكرت التستر تكفر، أما إذا لم تتستر بدون إنكار فإنها عاصية .حال المؤمنين هكذا .لا نشك في إيمانهم ولو كانوا عاصين، لكن ليس هذا مقتضى الإيمان ولا مقتضى محبة القرآن ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .ففي حياتنا الاجتماعية لا يُرى أثر محبة الله ولا محبة الرسول عليه الصلاة والسلام، لأن الله تعالى أمرنا بقوله: { قُلْ إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحبِبكُمُ اللَّهُ } [آل عمران :٣١] ، فالذي لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتفي عنه ما يترتب على الإتباع، وهو محبة الله تعالى .أيها المسلمون !علينا أن ننتبه لهذه المصيبة، ونرجع إلى القرآن الكريم وإلى أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام.

٢ –تفسير الألوسي .

٣ –اللوح المحفوظ مجهول عندنا، ونحن مكلَّفون بتكاليف الشريعة، ونعلم أن الله لا يرضى لعباده الكفر ولا العصيان.

٤ –شيطان الإنس هو صاحب النفس الأمَّارة.

وأصحاب النفوس أشد وأصعب من عداوة شياطين الجن ، فإن كيد الشيطان مع كيد الإنسان ضعيف ، وأرباب القلوب لا يصغون إلى زخارف أقوال أصحاب النفوس ، بل كلما تشتد عداوة الأعداء يقوى إيمان الأولياء .وإنما يتسلط الشيطان على ابن آدم بفضول النظر والكلام والطعام وبمخالطة الناس(١) ، ومن اختلط فقد استمع إلى الأكاذيب .(٢)

اللهمَّ احفظنا من شر شياطين الإنس والجن ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- فعلى المؤمن أن يقلِّل طعامه، فيأخذ منه بقدر الاحتياج، وأن يقلل كلامه، لأن الإنسان كما يُسأل عن فعله يُسأل عن قوله كذلك { مَا يَلفِظ مِن قولٍ إلاَّ لدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [ق :١٨]، وأن يقلل الاختلاط بالناس ما أمكن، فلا يقعد مع أهل الدنيا إلا للضرورات، أي للإصلاح بين المؤمنين أو للوعظ والنصيحة .أجارنا الله والمؤمنين من هذه الفضوليات.

٢- تفسير روح البيان.

اللفظان الأربعون و الحادي و الأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجعَلْ صَدرَهُ ضَيِّقا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كذلِكَ يَجعَلُ اللَّهُ الرجسَ عَلى الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ ١٢٥) [الأنعام : ١٢٥]

اعلم أن هذه الآية لفظها يدل على الدليل القاطع العقلي الذي في هذه المسألة ، وبيانه أن العبد قادر على الإيمان وقادر على الكفر ، فقدرته بالنسبة إلى هذين الأمرين حاصلة على السوية ، فيمتنع صدور الإيمان عنه بدلا من الكفر أو الكفر بدلا من الإيمان إلا إذا حصل في القلب داعية إليه ، وتلك الداعية لا معنى لها إلا علمه أو اعتقاده أو ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومنفعة راجحة ، فإنه إذا حصل هذا المعنى في القلب دعاه ذلك إلى فعل ذلك الشيء ، وإن حصل في القلب علم أو اعتقاد أو ظن بكون ذلك الفعل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك إلى تركه ، وحصول هذه الدواعي لابد وأن يكون من الله تعالى ، وأن مجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل .[١]

١- تفسير الرازي.

قال في التأويلات النجمية : كلما كان الحجاب أرق كان الإيمان أقوى والقلب أنور وأصفى ، إلى أن يصير الإيمان إيقانًا ، لكمال رقة الحجاب وتنور القلب، إلى أن يصير الإيقان عيانًا عند رفع الحجاب وتجلي الحق بصفة جماله ، { وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ } أي يخلق فيه الضلال بصرف اختياره إليه { يَجعَلْ صَدرَهُ ضَيِّقا حَرَجًا } بحيث ينبو عن قبول الحق، فلا يدخله الإيمان .[1]

أقول :من أوّل هذه الآيات إلى الآن نجد أن الإيمان والكفر والصلاح والفساد كله بيد الله ، ليس بيد العبد شيء .فعلى العبد أن يأخذ بالتمسك بالشريعة لأنه تكليف ، ولكنه لا يعتمد إلا على الله ، ولا يعتمد على أي شيء آخر.

معرفة الله لا يمكن حصولها بالوصف والتكلم عنها ، ولكنها تحصل للعبد إذا أعطاه الله إياها ، لأن ذات الله جلَّ وعلا لا توصف حتى يُتكلم فيها ، لكن الله تعالى أعطى العبد الجزء الاختياري ليقوم بالتكاليف الشرعية .لذلك فإن الذي يصلي رياءً لا يثاب ، لأنه حصلت له مداخلة ، وبذلك يكون مسئولا : {فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقَاءَ رَبِهِ فْليَعمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِهِ أَحَدًا } [الكهف : ١١٠].

فالكل بيد الله ، ولم يبق للعبد إلا الأخذ بالشريعة ومجاهدة النفس وتوجيه القلب إلى الخالق جلَّ وعلا .هذا في وسع العبد وقدرته ، لم تُسلب منه القدرة والجزء الاختياري ، وإلا لما كان هناك فرق بين الإنسان والبهائم.

١- تفسير روح البيان.

فالله تعالى أعطانا الوجود ، وخلق فينا القدرة والتمييز بين الأخذ بالفعل وتركه ، وأعطانا الجزء الاختياري .فالخالق للداعي هو الله ، ومحرك الدَّاعي هو الله ، لكن الآخذ للدَّاعي هو الإنسان ، بالجزء الاختياري الذي أعطاه الله للعبد ، فإن استعمله في الخير فخير ، وإن استعمله في الشر فشر.

اللهمَّ وفِّقنا لطاعتك ، والابتعاد عن مخالفتك ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

{كِتَابٌ أُنْزِلَ إليكَ فلا يَكن فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلمُؤْمِنِينَ (٢) [الأعراف : ٢]

قوله تعالى :{فَلا يَكن فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ } أي شك ما في حقيقته ، كما في قوله تعالى :{فَإِن كنْت فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنا إليكَ } [يونس :٩٤] ، خلا أنه عبر عنه بما يلازمه من الحرج ، فإن الشاك يعتريه ضيق الصدر ، كما أن المتيقن يعتريه انشراحه. خاطب به النبي عليه الصلاة والسلام والمراد الأمة ، أي :لا ترتابوا ولا تشكوا .قوله: { مِنْهُ } متعلق بحرج ، يقال :حرج منه أي ضاق به صدره .ويجوز أن يكون الحرج على حقيقته ، أي :لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه ، فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له ، فأمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم .[١]

أقول :هذه الآية الكريمة تدل على أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأمته مأمورون من الله جلّ جلاله بالتبليغ، سواء ُقبل هذا التبليغ أم لم يُقبل .فمع أنه معلوم

١- تفسير روح البيان.

عند الله تعالى من يقبل ومن لم يقبل فإنه جلَّ وعلا حوَّل التبليغ والإنذار على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن يُنذر ولا يضيق صدره بذلك ، ليكون { وَذِكْرَى لِلمُؤْمِنِينَ } الذين ثبت في علم الله تعالى أنهم يؤمنون ، فإنهم ينتفعون به ، والباقون لا يؤمنون عنادًا واستكبارًا ، فيكون التبليغ والإنذار حجة عليهم ، لأنهم لم يستعملوا الجزء الاختياري في ترجيح الإيمان على الكفر.

فعلينا – معاشر المؤمنين – أن نتمسك بالأسباب بواسطة الجزء الاختياري الذي خلقه الله فينا ، لأننا لا نعرف الأزل ، وهل نحن فيه من السعداء أم من الأشقياء ، وإذا لم نتمسك بالأسباب فإن الله تعالى يقول لنا يوم القيامة :أما قلنا لكم: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنا} [العنكبوت :٦٩] ؟.

نرجو الله تعالى أن يُصلحنا جميعًا .ربَّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَنزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلٍّ تجرِي مِن تحتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذا وَمَا كنَّا لِنَهتدِيَ لولا أَن هَدَانا اللَّهُ لَقد جَاءَت رُسُلُ رَبنا بِالْحَقِّ وَنودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتم تَعمَلونَ (٤٣) [الأعراف : ٤٣]

قوله تعالى :{ وَنزَعنَا } النزع قلع الشيء عن مكانه ، { مَا فِي صُدُورِهِم } قلوبهم { مِن غِلٍّ } وهو الحقد الكامن والبغض المختفي في الصدور ، أي :نخرج من قلوبهم أسباب الحقد الذي كان لبعضهم في حق بعض في الدنيا ، فإن ذلك الحقد إنما نشأ من التعلق بالدنيا وما فيها ، وبانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليه من الحقد .ومن جملة أسبابه أيضًا أن الشيطان كان يلقي الوساوس إلى قلوب بني آدم في الدنيا وقد انقطع ذلك في الآخرة ، بسبب أن الشيطان لما استغرق في عذاب النيران لم يتفرغ لإلقاء الوسوسة في قلب الإنسان .ويجوز أن يكون المراد :نطهر قلوبهم من الغل نفسه حتى لا يكون بينهم إلا التواد ، يعني لا يحسد بعض أهل الجنة بعضًا إذا رآه أرفع درجة منه ، ولا يغتم بسبب حرمانه من الدرجات الرفيعة العالية .{تَجرِي مِن تحتِهِمُ} أي من تحت شجرهم وغرفهم { الأَنْهَارُ } زيادة في لذتهم وسرورهم ، { وَقَالُوا } أي أهل الجنة إذا رأوا منازلهم :{ الْحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا } بفضله { لِهَذا } أي لدينٍ وعملٍ

جزاؤه هذا { وَمَاكنَّا لِنهَتدِيَ } أي لهذا المطلب الأعلى{ لولا أن هَدَانَا اللَّهُ } ووفقنا له.

روي عن السدي أنه قال في هذه الآية :إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان ، فشربوا من إحداهما فينزع ما في صدورهم من غل، وهو الشراب الطهور ، واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعده أبدًا .والشعث انتشار شعر الرأس ، ويقال شحب جسمه يشحب بالضم إذا تغير .وشربوا واغتسلوا ، ويبشرهم خزنة الجنة قبل أن يدخلوها بأن يقولوا لهم :{ أَن تِلكمُ الْجَنَّة أُورِثْتمُوهَا بِمَا كُنْتم تعمَلونَ } [الأعراف :٤٣] ، فإذا دخلوها واستقروا في منازلهم منها قالوا :{ ألْحَمدُ لِلَّه }.واعلم أن الغل من ظلمة الصفات البشرية وكدورتها ، وطهارة القلوب بنور الإيمان ، والأرواح بماء العرفان، والأسرار بشراب طهور تجلي صفات الجمال .وليس في صدور أهل الحقيقة من غل وغش أصلا ، لا في الدنيا ولا في العقبى[١].

وقيل :إن هذا النزع إنما كان في الدنيا، والمراد عدم اتصافهم بذلك من أول الأمر ، إلا أنه عبر عن عدم الاتصاف به مع وجود ما يقتضيه حسب البشرية أحيانًا بالنزع مجازًا ، ولعل هذا بالنظر إلى كمل المؤمنين ، كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم رحماء بينهم ، يحب بعضهم بعضًا كمحبته لنفسه .أو المراد إزالته بتوفيق الله تعالى قبل الموت بعد أن كان بمقتضى الطباع البشرية .[٢]

---

١ –تفسير روح البيان.

٢ –تفسير الألوسي.

والحقد هو ضيق الصدر من الغير وهو أصل الحسد ، وهو معصية قلبية تجب التوبة منه ومجاهدة النفس لتخلص منه ، ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم.

واعلم أن الناس ثلاثة أقسام :قسم خلصت قلوبهم من الأمراض الباطنة ، فهم في الدنيا كأهل الجنَّة في الجنَّة ، يحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم ، وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم[1] . وقسم لم تخلص قلوبهم غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك، ويلومون أنفسهم على ما في قلوبهم، وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم، ولا يؤاخذون بذلك حينئذ، وقسم لم تخلص قلوبهم وهم راضون لأنفسهم بذلك، وهؤلاء فساق[2] ، يجب عليهم مجاهدة نفوسهم في تخليصهم من تلك الآفات .[3]

أقول :نزع الغل وإن كان في الآخرة إلا أنه يثبت في الدنيا كذلك ، فإذا تمسك المؤمن بشرع الله تعالى وبالسنَّة النبويَّة مع الإيمان الكامل الشهودي والحضور التام الدائم يخرج ما في قلبه من الغل ، ويكون من الذين قال الله تعالى فيهم :{ وَنزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلٍّ } يثبت له ذلك في الدنيا قبل أن ينتقل للآخرة .فبإتباع السنَّة والشريعة، والتجنب عن المعاصي يحصل هذا .ثمرة ذلك في الدنيا الأذواق الحاصلة من الإيمان الشهودي ، وفي الآخرة جنة الزخارف ، وفوقها مظهر الجمال الإلهي ،

---

١ –الطريق وُضع لهذا، ومن لم يشتغل به حتى يصل إلى النهاية أو إلى جزء منه فدعواه الطريقة والمجاهدة ليست صحيحة، لأن الطريق هو الجزء الثالث من الشريعة المحمَّدية، وهو الإخلاص، فإذا قوي العبد في ذلك يصل إلى ما كتب الله له بحسب استعداده، أما إذا ترك المجاهدة فإنه لا يصل إلى شيء منه، ويبقى مع نفسه، فتكون طبيعة وأخلاق الذي وصل إلى نهاية الطريق أو إلى جزء منه ثقيلة عليه، لأن الإنسان عدو لما جهل؛ وحينئذ إما أن ينكر عليه في قلبه وينتقده، فيكون سبب حرمانه، وإما أن يدفن ذلك في قلبه استحياءً فيكون نارًا تحرق داخله، ومنهم من يخرج من الطريق بالكلِّية، فيكون سبب حرمان نفسه وغيره .وكل ذلك لأنه يقيس الأولياء والصالحين والمريدين الصادقين على نفسه، وهو ناقص أو محروم.

٢ –من فسَّاق المؤمنين، لا يجاهدون أنفسهم، ويقولون :الله غفور رحيم .

٣ –تفسير الصاوي

كل هذا بترك الأوصاف الذميمة من العجب والكبر والرياء والأنانية والحرص على الدنيا وحب الرياسة ، لأن هذه الأوصاف حجاب بين القلب والرب.

اللهمَّ طهر قلوبنا من كلِّ وصف يُباعدنا عن مشاهدتك ومحبَّتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَوَلم يَهدِ لِلَّذِينَ يَرِثونَ الأَرضَ مِن بَعدِ أَهلِهَا أَن لو نَشَاءُ أَصَبنَاهُم بِذُنوبِهِم وَنطبَعُ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَسمَعُونَ (١٠٠) [الأعراف : ١٠٠]

قوله تعالى :{ وَنطْبَعُ عَلى قُلوبِهِم } قال أُبي بن كعب :كان سبق لهم في علمه يوم أقروا له بالميثاق أنهم لا يؤمنون به [١].[٢]

أقول :يلزم على المؤمن العاقل الذي يحب دينه أن لا يميل بقلبه ولا بجوارحه إلى المعاصي ، لأن المعاصي مخالفة لرضا الله تعالى ، وحيأةُ الإنسان وعدمُه وآخرُته بقدرته جلَّ وعلا ؛ فلا بد للمؤمن أن يستنكف عن المعاصي ، لأنها سبب لإهلاك الناس ، أو سبب لزوال ما أنعم الله عليهم من أنواع النعم ، فيمكن أن تزول النعم بسبب المعاصي ، كما قال تعالى :{ وَمَا أَصَابَكم مِن مُصِيبَةٍ فبِمَا كَسَبَتْ أَيدِيكم وَيَعفُو عَن كثِيرٍ} [الشورى : ٣٠]

هذه التنبيهات الربانية توجد كثيرًا في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية ، كما قال جلَّ وعلا :{ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيرُ مَا بِقومٍ حَتَّى يُغَيرُوا مَا بِأَنْفسِهِم} [الرعد : ١١] .فلا بد

١ –مع إقرارهم ، لكنهم لما جاؤوا إلى الدنيا نسوا ذلك .

٢ –تفسير الخازن.

من الحذر من مخالفة الله ومخالفة رسوله عليه الصلاة والسلام ، حتى لا نكون يوم القيامة خاسرين ، ولا نلوم أنفسنا إذا قيل لنا :{ اقرَأْ كِتَابَكَ كَفى بِنفْسِكَ الْيَومَ عَلَيكَ حَسِيبًا} [الإسراء : ١٤].

قبل أن نذهب ربنا يحذرنا من خسران الآخرة إن لم نعمل بأوامره ولم نجتنب نواهيه .وإذا قلت :كله من عند الله ، نقول :آمنا به ، ولكن لم يُسلب من العبد الجزء الاختياري ، وهو مكلف به ، ولذا جاء القرآن الكريم يأمرنا بالأوامر وينهانا عن المعاصي ، فاغتنم هذه الدار قبل أن تنتقل إلى دار تحصل فيها الحسرة.

نسأل الله تعالى التوفيق لنا وللمسلمين أجمعين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(تِلْكَ ٱلْقُرَى نَقصُّ عَليكَ مِن أَنبَائِهَا وَلَقد جَاءَتهُم رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فمَا كَانُوا لِيُؤْمِنوا بِمَا كذَّبُوا مِن قَبلُ كذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) [الأعراف : ١٠١]

قوله تعالى :{ كذلِكَ يَطْبَعُ } أي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع { يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلوبِ الْكافِرِينَ } أي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر [١].

أقول :لو لم يتعظ الإنسان بالقرآن ولم يتعظ بالموت فمعناه إما أن يكون قلبه مطبوعٌ عليه بالكفر ، وإما أن يكون من فساق هذه الأمة .من الناس من ينكر الحشر ومنهم من ينكر الحساب ، ومنهم من لا يبالي بالكتاب ولا بالسنَّة ولا يعمل بعمل أهل الجّنة ، ومنهم من يؤمن بالله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى لكنهم لا يعيشون عيش المؤمنين الموافقين ، بل يصرون على الأخطاء والمعاصي، مع إقرارهم بأن هذا خلاف أمر الله تعالى ، ولكن لضعف الإيمان وقوة سيطرة النفس الأمارة لا يتركون ما هم عليه ، وهؤلاء أمرهم مفوض إلى الله تبارك وتعالى.

وبما أن القلب محل المعرفة والإحسان والخيرات والشرور والفساد ، وهو الحاكم على الجسد ، فقد كرَّر الله تعالى ذكرَه في كثير من آيات كتابه الكريم ، منها

١- تفسير روح البيان.

قوله تعالى : { طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم } [النحل :١٠٨] ، هذا الطبع موافق لعلم الله الأزلي.

إنَّا لله وإنا إليه راجعون ، نرجو السلامة لنا وللمسلمين جميعًا ، لأن عذاب الله لا يُحتمل ، ولهذا لا بدَّ أن نستشعر بعظمة الله ، هذا الاستشعار يأتي من الله بالإيمان ، وعلينا أن لا نترك مجاهدتنا ومخالفتنا للنفس والشيطان ، لأننا لسنا مهمَلين كالبهائم ، فعلينا أن نختار ما ينفعنا عند الله جلَّ وعلا بعد الموت.

اللهمَّ وفِّقنا لذلك ، آمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَقد ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كثِيرًا مِنَ الْجِن وَالإِنْسِ لهُم قُلُوبٌ لا يَفقهُونَ بِهَا وَلهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِهَا وَلهُم ءَاذَانٌ لا يَسمَعُونَ بِهَا أُولَئِك كالأَنْعَامِ بَلْ هُم أَضَلُّ أُولَئِك هُمُ الْغافِلونَ) (١٧٩) [الأعراف : ١٧٩]

قوله تعالى :{ وَلَقَد ذَرأْنا } خلقنا { لِجَهَنَّمَ كثِيرًا مِنَ الْجِن وَالإِنْسِ } يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى{ لهُم قُلُوبٌ لا يَفَقهُونَ بِهَا لهُم قُلُوبٌ لا يَفقهُونَ بِهَا } إذًا لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله { وَلهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِهَا } أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار { وَلهُم ءَاذَانٌ لا يَسمَعُونَ } الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكُّر { أُوَلئِكَ كالأَنْعَامِ } في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر[١] ، أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها { بَلْ هُم أَضَلُّ } فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار ، وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها ، وهم ليسوا كذلك ، بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار { أُولَئِكَ هُمُ الْغافِلونَ } الكاملون في الغفلة .[٢]

١– لأنهم لم يستعملوا ما أعطاهم الله من الحواس فيما خلقت له .

٢– تفسير البيضاوي.

فقوله تعالى :{ لهُم قُلُوبٌ لا يَفقهُونَ بِهَا وَلهُم أعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِهَا وَلهُم ءَاذَانٌ لا يَسمَعُونَ بِهَا } يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببًا للهداية، كما قال تعالى :{ وَجَعَلنَا لهُم سَمعًا وَأبصَارًا وَأَفْئِدَةً فمَا أَغنى عَنهُم سَمعُهُم وَلا أَبصَارُهُم وَلا أَفْئِدَتهُم مِن شيءٍ إِ ذ كَانُوا يَجحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } [الأحقاف :٢٦][1].

أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله :{ وَلَقد ذرَأْنا لِجَهَنَّمَ } قال :لقد خلقنا لجنهم.
{ لهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِهَا } قال :لا يفقهون شيئًا من أمر الآخرة[2] { وَلهُم أعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِهَا } الهدى { وَلهُم ءَاذَانٌ لا يَسمَعُونَ } الحق ، ثم جعلهم كالأنعام ، ثم جعلهم شرًا من الأنعام فقال { بَلْ هُم أَضَلُّ } [3] ثم أخبر أنهم الغافلون .والله أعلم[4].

أقول :ولذا فإن الأولياء الكمَّل كلما ارتفع وسما مقامهم عند الله تعالى يكون خوفهم أكثر من رجائهم ، لأنهم يتحسسون بمثل هذه الآية" :ذرأنا "... "، جعلنا "... ، والذي يحكم بهذا ليس بشرًا ، بل هو خالق البشر ، ولا نعرف نحن من أي صنف .إلا أن الرجاء أحيانًا يكون غالبًا.

نرجو الله تعالى السلامة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –الذي يكون على هذا المنوال يأخذ سيرة الكافرين والمنافقين ولو كان مؤمنًا، لأن هذه سيرة من لا يعرفون إلا الحياة الدنيا .وهذه الأخلاق لا توافق المؤمنين أبدًا، فالمؤمن يقدّم أمامه آخرته ويشتغل بدنياه كذلك

٣ –لأن الحيوان ليس عليه شيء من التكاليف، ولهم دنياهم فقط .أحيانًا يذهبون إلى المذبحة وبعضهم يخرجون على بعض.

٤ –تفسير الدر المنثور.

اللفظ السابع والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنونَ ٱلَّذِينَ إِذا ذكِرَ ٱللَّهُ وَجِلت قُلوبُهُم وَإِذا تلِيَتْ عَليهِم ءايَاتُهُ زَادَتهُم إِيمَانًا وَعَلى رَبهِم يَتوَكَّلونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْناهُم يُنفِقونَ (٣) أُولئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنونَ حَقًّا لهُم دَرَجَات عِنْدَ رَبهِم وَمَغْفِرَة وَرِزق كَرِيمٌ (٤) [الأنفال : ٢ – ٤]

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنونَ ٱلَّذِينَ إِذا ذكِرَ ٱللَّهُ وَجِلتْ قُلوبُهُم } قال :المنافقون لا يدخل قلوبَهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف الله المؤمنين فقال :{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنونَ ٱلَّذِينَ إِذا ذكِرَ ٱللَّهُ وَجِلتْ قُلوبُهُم } فأدوا فرائضه {وَإِذا تلِيَتْ عَليهِم ءايَاتُهُ زَادَتهُم إِيمَانًا } يقول :زادتهم تصديقًا { وَعَلى رَبهِم يَتوَكَّلونَ } يقول :لا يرجون غيره .وقال مجاهد :{ وَجِلت قُلُوبُهُم } فرقت، أي: فزعت وخافت .وكذا قال السدي وغير واحد .وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه ، أي خاف منه ففعل أوامره وترك زواجره ، كقوله تعالى :{ وَٱلَّذِينَ إِذا فعَلوا فَاحِشَةً أَو ظَلمُوا أَنْفسَهُم ذكرُوا اللَّهَ فاستغْفرُوا لِذُنوبِهِم وَمَن يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلاَّاللَّهُ وَلم يُصِرُّوا عَلى مَا فعَلواوَ هُم يَعلمُونَ } [آل عمران :١٣٥] ، وكقوله تعالى:

{ وَأَمَّا مَن خاف مَقَامَ رَبهِ وَنهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّة هِيَ ٱلْمَأْوَى}

[النازعات :٤٠-٤١] ، ولهذا قال سفيان الثوري :سمعت السدي يقول في قوله تعالى :

{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنونَ ٱلَّذِينَ إِذا ذكِرَ ٱللَّهُ وَجِلتْ قُلوبُهُم } قال :هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية فيقال له :اتق الله ، فيجل قلبه .وقال الثوري أيضًا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء في قوله :{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنونَ ٱلَّذِينَ إِذا ذكِرَ ٱللَّهُ وَجِلتْ قُلوبُهُم } قالت :الوجل في القلب كاحتراق السعفة[1] ، أما تجد قشعريرة؟ قال :بلى ، قالت :إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فإن الدعاء يُذهب ذلك.

وقوله :{ وَإِذا تلِيَتْ عَليهِم ءَاياتُهُ زَادَتهُم إِيمَانًا } كقوله :{ وَإِذا مَا أُنزِلت سُورَة فمِنهُم مَن يَقولُ أَيُّكم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنوا فزَادَتهُم إِيمَانا وَهُم يَستبشِرُونَ}

[التوبة :١٢٤] ، وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة ، بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد ، { وَعَلى رَبهِم يَتوَكَّلونَ}

أي لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده ، لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

ولهذا قال سعيد بن جبير :التوكل على الله جماع الإيمان[2].

---

١ –السعفة :ورق النخل .

٢ –تفسير ابن كثير.

والمراد أن المؤمن إنما يكون مؤمنًا[1] إذا كان خائفًا من الله، ونظيره قوله تعالى: {تقْشعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الَّذِينَ يَخشونَ رَبَّهُم } [الزمر :٢٣] ، وقوله :{ الَّذِينَ هُم مِن خشْيَةِ رَبهِم مُشفِقونَ } [المؤمنون :٥٧] ، وقوله :{ الَّذِينَ هُم فِي صَلاتِهِم خاشِعُونَ} [المؤمنون :٢]

قال الشيخ إسماعيل حقِّي البروسوي :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنونَ } أي الكاملون في الإيمان المخلصون فيه { الَّذِينَ إذا ذكِرَ اللَّهُ } عندهم { وَجِلَتْ قلُوبُهُم } من هيبة الجلال وتصور عظمة المولى الذي لا يزال ، وهذا الخوف لازم لأهل كمال الإيمان سواء كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلا أو مؤمنًا تقيًا نقيًا ، وهذا بخلاف خوف العقاب ، فإنه لا يحصل بمجرد ذكر الله بل بملاحظة المعصية وذكر عقاب الله انتقامًا من العصاة ، وأين من يهم بمعصية فيقال له :اتق الله ، فينزع عنها خوفًا من عقابه ممن ينزع بمجرد ذكره من غير أن يذكر .هناك ما يوجب النزع من صفاته وأفعاله استعظامًا لشأنه الجليل وتهيبًا منه.

واعلم أن شأن نور الإيمان أن يرقق القلب ويصفيه عن كدورات صفات النفس وظلماتها ويلين قسوته فيلين إلى ذكر الله ويجد شوقًا إلى الله ، وهذا حال أهل البدايات ، وأما حال أهل النهايات فالطمأنينة والسكون بالذكر .ولما جاء قوم حديثوا عهد بالإسلام فسمعوا القرآن كانوا يبكون ويتأوهون ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : هكذا كنا في

---

١ –أي :مؤمنًا كاملا .

٢ –تفسير الرازي.

بداية الإسلام ثم قست قلوبنا ، يشير بذلك إلى نهايته في الاطمئنان .{ وَإِذا تلِيَتْ } قرئت { عَليهِم ءَايَاتُهُ } أي آيات الله، يعني القرآن أمرًا ونهيًا وغير ذلك { زَادَتهُم } أي تلك الآيات –والإسناد مجازي – { إيمَانًا } أي يقينًا وطمأنينة نفس ، فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين.

قال الفاضل التفتازاني وتبعه المولى أبو السعود في تفسيره :إن نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان ، للفرق الظاهر بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات وبين يقين الأمة ، ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا) ، وكذا بين ما قام عليه دليل واحد من التصديقات وما قامت عليه أدلة كثيرة .[١] واعلم أن المؤمن إذا كان واثقًا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره، وهي درجة عالية ومرتبة شريفة ، لأن الإنسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أموره إلا على الله عز وجل .واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعني :الوجل عند ذكر الله ، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن ، والتوكُّل على الله ، من أعمال القلوب .ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح :{ الَّذينَ يُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْناهُم يُنفِقونَ } يعني :يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها وأركانها في أوقاتها ، وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من

١– تفسير روح البيان.

الإنفاق فيه ، ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الإنفاق في أنواع البر والقربات .[١]

أقول :الذين أوفوا بهذه الأوصاف الخمسة[ثلاثة قلبية، واثنان جوارحية]– التي هي عُمدة الظاهر والباطن – رتَّب الله تعالى على ذلك شهادة لهم بقوله :{ أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنونَ حَقًّا } ووعدهم بأن { لهُم دَرَجَات عِنْدَ رَبهِم } أي مقامات { وَمَغْفِرَة } أي ستر للذنوب { وَرِزق كَرِيمٌ } هو الجنة .فعلى المؤمن أن يغتنم هذه النعمة الكبيرة ، ويتصف بهذه الأوصاف الخمسة ، وذلك رغم أنف من يقول :نحن نتمسك بظاهر الشريعة ، نقول له :هذا جيد ، ولكن كيف نترك الأوصاف الثلاثة الأولى؟ !فالآية تدل على أن هذه الأمور القلبية :من وجل القلب ، وزيادة الإيمان ، والتوكل على الله ، قد وجَّهنا الله تعالى إليها مع ظاهر الشريعة ، من إقامة الصلاة والصوم والحج والزكاة والإنفاق .وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « : الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان» [٢] وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال :(إن للإيمان سُننًا وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان).

اللهمَّ اجعلنا من أهل الإيمان الكامل، بفضلك وكرمك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –تفسير الخازن .

٢ –أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

اللفظ الثامن والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وَمَا النَّصرُ إِلاَّ مِن عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) [الأنفال : ١٠]

قوله تعالى :{ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى } لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضًا وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مددًا لكم إلا بشرى لكم، أي :بشارة لكم تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم .{ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكم } يقول :ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وتوقن بنصرة الله لكم ، { وَمَا النَّصرُ إِلاَّ مِن عِنْدِ اللَّهِ } يقول :وما تنصرون على عدوكم أيها المؤمنون إلا أن ينصركم الله عليهم، لا بشدة بأسكم وقواكم، بل بنصر الله لكم، لأن ذلك بيده وإليه، ينصر من يشاء من خلقه .{ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.[١]

قال الشيخ إسماعيل حقِّي البروسوي :{ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ } أي بالإمداد { قُلوبُكم} فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم .وفي ّقصر الإمداد عليها إشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال ، وإنما كان إمدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه ، ولو بعثهم الله بالمحاربة لكان يكفي مَلك واحد ، فإن جبريل أهلك بريشة واحدة من جناحه سبعًا من مدائن قوم لوط ، وأهلك بصيحة واحدة جميع بلاد ثمود .قال الحدادي

١- تفسير الطبري.

وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية ، وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ويوم حنين . (١)

أقول :هذه البشرى بنزول الملائكة وإن كانت خاصة بأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، لكنها تحصل لغيرهم من المؤمنين عند سكرات الموت ، كما قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصّلت : ٣٠] ، فكل مؤمن إذا حضره الموت يرى مقامه الذي ثبت له بعمله الصالح ومن فضل ربه جلَّ وعلا ، هذا من ثمرات الإيمان .ومن ثمرات الإيمان بشرى أخرى ، وهي أن المؤمن إذا كان إيمانه قويًا وانتقل اعتقاده إلى الإيقان ، فإن هذا الإيقان بالإيمان يختلط بسويداء قلبه ، فلا تصل إليه يد الشيطان عند النزع .هاتان البُشْرَيَان تحصلان للمؤمن عند الاحتضار ؛ وبعد دخول القبر تكون روحه في عالم البرزخ في مجمع جماعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

وهناك بشرى ثالثة تحصل قبل ذلك في الدنيا ، لمن تمسك بكتاب الله وبشرع الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكثرة الذكر مع الإخلاص في العبادة ، فإنه يثبت عنده بإيمانه أن ربه أرحم الرَّاحمين، ويعلم بإيمانه القوي أنه وإن كان ناقصًا ، وعمله غير لائق بربه جلَّ وعلا ، فإن ربه لا ينظر إلى ضعفه وعجزه وعمله المختلط والمشوب ، لكنه تعالى بفضله يعفو عنه ؛ هذه البشرى هي نوع من النفحات الإلهية،

١- تفسير روح البيان.

تحصل في وجدان المؤمن وهو في الدنيا ، إذا كان – مع عجزه وضعفه وفقره- موافقًا لشرع الله تعالى ، فيكون رجاؤه بالله أقوى من رؤيته لضعفه .ومن البشائر أيضًا الرؤيا الصالحة ، يراها المؤمن أو ُترى له.

اللهمَّ اجعلنا من الذين تقول لهم الملائكة :{ وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنُتم توعَدُونَ }.

وصلّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذ يُغشِّيكمُ النُّعَاسَ أَمَنةً مِنْهُ وَيُنَزلُ عَليكم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطهرَكم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكم رِجزَ الشَّيطَانِ وَلِيَرِبطِ عَلى قُلوبِكم وَيُثبت بِهِ الأَقْدَامَ) (١١) [الأنفال :١١]

قوله سبحانه وتعالى :{ إِذ يُغشِّيكمُ النُّعَاسَ أَمَنةً مِنْهُ } أي واذكر إذ يلقي عليكم النعاس –وهو النوم الخفيف – أمنة منه أي أمانًا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان.

والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذه النوم ، فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الأمن وإزالة الخوف ، وقيل :إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشًا شديدًا ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الظمأ والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم ، فكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفًا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله إليهم وقدروا على دفعه عنهم .وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله تعالى أنه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم ، وحصولُ النعاس لهذا الجمع الكثير مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة ، فلهذا السبب قيل :إن ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لأنه أمر خارق للعادة [١] .

١– تفسير الخازن.

وأما قوله تعالى :{ وَيُنَزِلُ عَليكم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطهرَكم بِهِ } فإن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر ، ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذٍ مُجْنِبين على غير ماء ، فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا .وكان الشيطان وسوس لهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء ، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر ، فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم وتثبيته بذلك المطر أقدامهم ، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة هشاء فلبدها المطر حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها ، توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم .وبمثل الذي قلنا تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم .[١]

وقوله تعالى :{ وَلِيَربِطِ عَلى قُلوبِكم } الربط :الشد والتقوية، وعلى :صلة .والمعنى: وليربط قلوبكم ويشدها ويقويها بجعلها واثقة بلطف الله تعالى وكرمه، وجيء بكلمة {عَلى } للإيذان بأن قلوبهم امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها {وَيُثبت بِهِ } أي بذلك الماء { الأَقْدَامَ } حتى لا تسوخ في الرمل .ويجوز أن يكون الضمير للربط ، فإن الأقدام إنما تثبت في الحرب بقوة القلب وتمكن الصبر والجراءة فيه .[٢]

---

١ –تفسير الطبري .

٢ –تفسير روح البيان

أقول :أحيانًا يكون النسيان نعمة، فالصحابة الكرام – رضي الله تعالى عنهم– بغشيان النعاس نسوا ما هم فيه من الشدائد.

وكذلك فإن الإنسان إذا كبر سنه يُردُّ إلى أرذل العمر { لِكي لا يَعلَمَ بَعدَ عِلْمٍ شيئًا } [النحل : ٧٠] ، حتى لا يتألم بأي شيء مضى ، من الألم والمرض وظلم الناس وغير ذلك .فالله تعالى أنزل النعاس على الصحابة الكرام رضي الله عنهم حتى نسوا ما حصل . هذا من فضله جلَّ وعلا على عباده ، وهو من جملة نعمه التي لا تعد عليهم ، وهي تأتي وتذهب ونحن لا نشعر بها ، لأننا لا نتفكَّر في ذلك .فالإنسان ضعيف عاجز ، إذا لبس ثوبًا جديدًا ينظر إليه يمينًا وشمالا ، وهذا يدل على ضعفنا وعجزنا ، وعلى عدم معرفتنا بأنفسنا وبخالقنا.

اللهمَّ عرفنا على أنفسنا حتى نتعرَّف عليك ، لأن من عرف نفسه عرف ربَّه.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِ ذ يُوحِي رَبُّكَ إِلى الْمَلائِكةِ أَنِّي مَعَكم فَثبُتوا الَّذِينَ ءَامَنوا سَأُلقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفرُوا الرُّعبَ فاضرِبُوا فوق الأَعنَاقِ وَاضرِبُوا مِنهُم كلَّ بَنانٍ) (١٢) [الأنفال :١٢]

قوله تعالى :{ فَثبُتوا الَّذِينَ ءَامَنوا } بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم ، والتثبيت عبارة عن الحمل على الثبات في مواطن الحرب ، والجد في مقاساة شدائد القتال { سَأُلقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفرُوا الرُّعبَ } أي :سأقذف في قلوبهم المخافة من المؤمنين ، وهو تلقين للملائكة ما يثبتونه به ، كأنه قيل :قولوا لهم قولي: سألقي ...الخ.[١]

أقول :إعانة الله جلَّ جلاله لعباده لا يشترط أن تكون مباشرة ، فإن الله تعالى بإرادته علَّق الإعانة بالأسباب ، ومن جملة الأسباب جند الله تعالى الملائكة ، فأوحى إليهم أن يعينوا المسلمين المؤمنين بما أمرهم به ، سواء بإلقاء الرعب في قلوب الكفار أو بضربهم مباشرة أثناء الحرب.

وكذلك المؤمن إذا أراد أن يستعمل جزأه الاختياري فيما أمره الله جلَّ وعلا فإنه يرى العجز والضعف والفقر ، ولكن الله جلَّ جلاله يعطيه الأسباب ، فيقوي

١- تفسير روح البيان.

عجزه بتوفيقه ، وضعفه بقوته ، وفقره بغناه ؛ حينذاك يحرك الله بإرادته الأسباب لتقويته وإصلاحه ، فيتمسك العبد بهذه الأسباب ، ويقول :إني فعلت كذا وكذا ؛ نعوذ بالله ، هذا شأن الغافلين .العبد لم يفعل شيئًا بنفسه ، لكن الخالق جلَّ وعلا يسَّر له الأسباب وهيأها له ، فليس له الحق أن يتملك الإنعام الإلهي ، لأن ذلك خلاف الحق والحقيقة .أما إذا بعُد العبد عن نفسه وقوي إيمانه فإنه يعرف أن هذا ليس من شأنه ولا من ضعفه ، بل من ربه ، فيحصل له التوكل.

فبالأخذ بالأسباب تحصل الفرصة والنجاح والظفر ، وبتفويض هذه الأسباب إلى الله يقوى الإيمان ، فيكون العبد من المتوكلين ولا يغتر بنفسه.

اللهمَّ اجعلنا من المتوكلين عليك ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ الحادي و الخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا اسَتجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعَاكم لِمَا يُحيِيكم وَاعَلمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَينَ الْمَرءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِليهِ تحشَرُونَ) (٢٤)[الأنفال : ٢٤]

قوله تعالى :{ وَاعَلمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَينَ الْمَرءِ وَقَلْبِهِ } قال ابن عباس رضي الله عنهما :يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الإيمان .رواه الحاكم في مستدركه موقوفًا وقال صحيح.

قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك»[١].[٢]

قال في القاموس :كل ما حجز بين شيئين فقد حال بينهما .وهو تمثيل لغاية قربه من العبد ، وهو أقرب إلى قلبه منه ، لأن ما حال بينك وبين الشيء فهو أقرب إلى الشيء منك ، وتنبيه على أنه مطَّلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها.

١- انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري ، فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري .

٢- تفسير ابن كثير.

قال علي رضي الله عنه : (اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني) ، أو حثٌّ على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين القلب بالموت أو غيره من الآفات ، كأنه قيل بادر إلى تكميل النفوس وتصفية القلوب بإجابة الرسول المبعوث من علام الغيوب قبل فوات الفرصة ، فإنها قد تفوت بأن يحدث الله أسبابًا لا يتمكن العبد معها من تصريف القلب فيما يشاؤه من إصلاح أمره ، فيموت غير مستجيب لله ورسوله .ويحتمل أن يكون المراد بالحيلولة تصويرُ تملكه تعالى قلب العبد وغلبته عليه ، فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ، ولا يمكنه من إمضائها على حسب إرادته ، فيحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ، وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته، وكان عليه الصلاة والسلام يقول كثيرًا: « يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك » ، ويبدل بالأمن خوفًا وبالذكر نسيانًا وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة المفوتة للفرصة .فالله تعالى يحول بتجّلي صفاته بين المرء وقلبه ، يعني إذا تجلَّى الله على قلب المرء يحول بسطوات أنوار جماله وجلاله بين مرآة قلبه وظلمة أوصافه ، { وَأَنَّهُ } أي :واعلموا أيضًا أن الله تعالى { إِليهِ } تعالى لا إلى غيره{ تحشَرُونَ} تبعثون وتجمعون ، فيجازيكم على حسب أعمالكم ، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ، فسارعوا إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، وبالغوا في الاستجابة لهما

واعلم أن الاستجابة لله بالسرائر ، وللرسول بالظواهر .وأيضًا الاستجابة لله إجابة الأرواح للشهود ، واستجابة القلوب للشواهد ، وإجابة الخفي للفناء في الله ، والاستجابة للرسول بالمتابعة في الأقوال والأحوال والأفعال .[١]

قال أبو حيان :وفي الآية حض على المراقبة والخوف من الله تعالى ، والمبادرة إلى الاستجابة له جلَّ وعلا.

أقول :إذا أصغيت إلى قلبك أيها المؤمن وجدته لا يثبت أقل من لحظة على حالة من الحالات في عبادة وغيرها ، فكيف تتكل وتعتمد على نفسك ، وأنت في هذا الضعف؟ وعلى هذا :التجئ إلى ربك ، واخرج من حولك وقوتك.

ونحن – أهلَ السنَّة والجماعة – بإيماننا وباعتقادنا نعلم يقينًا أن الله خالق كل شيء، بما في ذلك القلب وما حواه من الإيقان والكفر والعزائم والاستقامة على التمسك بالشرع الشريف وإتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .لكن هذا الاعتقاد لا يقودنا إلى أن نقول كما تقول بعض الفرق الضالة :إذا كان الأمر كذلك فما معنى العبادة؟ وما معنى الدعاء؟ لأن هذه تكاليف الشريعة ، ونحن في الظاهر تحت تكاليف الشريعة ، وفي الباطن تحت التصرفات الإلهية الأزلية ، وهذه بالنسبة إلينا مجهولة ، وبما أنها مجهولة وسيف الشريعة على عاتقنا فعلينا أن نأخذ بالتكاليف الشرعية ، فنؤمن ونصلي ونصوم ونزكي ونحج ونذكر الله تعالى ونجتنب المعاصي ،

١– تفسير روح البيان.

ولا نعتمد على عبادتنا ، لأن الله هو خالقنا ، أخرجنا من العدم إلى الوجود ، وأعطانا الإيمان .ولو عرفنا – فرضًا محالا – أننا من أهل النار مع تمسكنا بالشريعة والسنَّة النبويَّة فإننا نستمر بالعمل بمقتضى إيماننا ، لأن الله تعالى هو ربنا وخالقنا ، وهو الذي أعطانا الإيمان والعقل والحياة ، هذا لمحبتنا إياه.

إذا أعطى عبدٌ عاجز لعبد عاجز شيئًا من حطام الدنيا يكون كالأسير له ، أليس كذلك؟ هل يمكن لعاقل أن ينكر ذلك؟ لا ؛ فكيف ننكر ما أنعم الله تعالى به علينا من الإيجاد والقرآن والإيمان ، وأن صيَّرنا من أمة محمَّد عليه الصلاة والسلام؟ وكيف نترك التمسك بالشريعة بحجة أن الله يحول بين المرء وقلبه؟

اللهمَّ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني و الخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلو أَرَاكهُم كثِيرًا لَفشِلتم وَلتَنَازَعتم فِي الأَمرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٤٣) [الأنفال :٤٣]

قوله تعالى :{ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } أي الخواطر التي جعلت كأنها مالكة للصدور، والمراد أنه يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ، ولذلك دبر ما دبر .[١]

أقول :بما أن علمنا ناقص ، ونحن بهذا الناقص نرى الشيء موافقًا لطبيعتنا أو مخالفًا لها ، وذات ذي الجلال جلَّ وعلا يعلم عواقب الأمور ونتائجها وثمراتها ، ويعلم ما في صدورنا ، ويتصرَّف بما كان فيه مصلحة لديننا ودنيانا ، فعلينا أن نترك حظوظنا ونتمسك بأمر ربنا ، ونعتمد على علمه تعالى لا على علمنا ، ونرضى بالقضاء والقدر سواء كان موافقًا لطبيعتنا أو مخالفًا لها .علينا أن نترك ما نحبه لما يحبه هو جلَّ وعلا ، لأنه أرحم الرَّاحمين ، فإذا التجأنا إليه وسلَّمنا له وفوضنا أمورنا إليه نكون من المتوكلين عليه :{ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلونَ } [إبراهيم : ١٢]

١- تفسير الألوسي.

فإن قيل :كيف نعرف الأمر موافقًا لرضا الله تعالى وعلمِه أم لا؟ نقول :هذا يُعرف بميزان الشريعة والسنَّة النبويَّة.

هل يصعب على الله جل جلاله أن يهلك كل من حارب الرسول عليه الصلاة والسلام؟ لا ، لكنه وجَّه الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى الحرب ليحصل الجوع والعطش والجرح والقتل ، فيميز المتقين والصادقين من غيرهم .الله يعلم الصادق من غيره لأنه يعلم عواقب الأمور ، ولكن ليُظهر ذلك لأهل الظاهر.

اللهمَّ اجعلنا من الصادقين يارب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

اللفظ الثالث و الخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذ يَقولُ الْمُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُم وَمَن يَتوَكَّلْ عَلى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٤٩) [الأنفال :٤٩]

قوله تعالى :{ إِذ يَقولُ الْمُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة ، وقيل :هم المشركون ، وقيل :المنافقون.

والعطف لتغاير الوصفين { غَرَّهَؤُلاءِ } يعنون المؤمنين { دِيُنهُم } حتى تعرضوا لما لا يد لهم به ، فخرجوا وهم ثلاثمئة وبضعة عشرة إلى زهاء ألف { وَمَن يَتوَكَّلْ عَلى اللَّهِ } جواب لهم { فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ } غالب ، لا يذل من استجار به وإن قلَّ { حَكِيمٌ} يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه .[١]

واعلم أن مرض القلوب على نوعين :نوع منه :الشك في الإيمان والدين وحقيقته ، فذلك مرض قلوب الكفار والمنافقين ، والثاني :ميلها إلى الدنيا وشهواتها وملاحظة الحظوظ النفسانية ، وهو مرض قلوب المسلمين.

والإشارة فيه أن المعالجة لِما يكون في قلوب الكفار والمنافقين بالإيمان والتصديق واليقين ، وإن ماتوا في مرضهم فهم من الهالكين .ومعالجة مرض قلوب

١- تفسير البيضاوي.

المسلمين بالتوبة والاستغفار والزهد والطاعة والورع والتقوى(١) ، وإن ماتوا في مرضهم فهم من أهل النجاة من النار(٢) بعد العذاب وشفاعة الأنبياء (٣) ، وربما يؤدي مرضهم بترك المعالجة والاحتماء إلى الهلاك ، وهو الكفر .ألا ترى إلى حال بعض المسلمين من أهل مكة لما تركوا العلاج وانقطعوا عن الطبيب وهو النبي عليه الصلاة والسلام ، وما احتموا عن الغذاء المخالف وهو قولهم :{ غَرَّ هَؤُلاءِ دِيُنهُم } هلكوا مع الهالكين ظاهرًا وباطنًا؟

فعلى العاقل تحصيل حسن الحال قبل حلول الأجل ، وهو إنما يكون بصحبة واصل إلى الله عز وجل ، والله تعالى يجود على الخلق عامة فكيف على العقلاء والعشاق؟ اللهم وفِّقنا لما تحب وترضى ، وسهل علينا مداواة هذه القلوب المرضى .(٤)

أقول :وعلى هذا :علاجنا من مرض القلب أن نتوب إلى الله ، ونتمسك بشرع الله ، وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ونكثر من ذكر الله جلَّ وعلا ، مع الإخلاص في العبادة ، وكلما طرح الشيطان أو النفس على قلوبنا شيئًا من المخالفات علينا أن نستغفر الله تعالى ، وإذا ُقدرت علينا المعاصي وصدرت منا علينا أن نتوب توبة

١- والتوبة الصحيحة هي الخجل والندم والاستحياء من الله تعالى مما مضى من الذنوب والأخطاء ، بهذا تثبت التوبة .لا تثبت التوبة بدون ندم ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه أحمد وابن ماجة والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه« الندم توبة » وجاء في الحديث القدسي الذي ذكرَه الغزالي في البداية: « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» فمن تاب وندم وحصل منه الاستحياء والخجل على ما مضى وانكسر قلبه أفضل من المغرورين بعبادتهم ، ومن الذين يجعلون عبادتهم معبودَهم.

٢- إذا خرجوا من الدنيا مع الإيمان .

٣- والصلحاء .

٤- تفسير روح البيان.

صادقة .وعلينا كذلك أن نهتم أكثر بأداء الصلاة المفروضة بالحضور مع الله جلَّ وعلا، ولكن الحضور التام الدائم لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى ، ولذا قيَّد الله تعالى في القرآن الكريم الذكرَ بالكثرة .بقي شيء آخر يفسد علينا عبادتنا واستقامتنا ، وهو الأخلاق الذميمة ، فهي للمؤمنين المصلِّين مثل السم في الطعام يَقْتل ، فالأخلاق الذميمة تفسد الطاعة ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أحبَّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا» (١) .

اللهمَّ حسن أخلاقنا ، بجاه صاحب الخُلق العظيم ، سيدنا محمَّد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان الرابع و الخمسون والخامس والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسَبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم لو أَنْفقْتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٦٣) [الأنفال: ٦٢ - ٦٣]

قوله تعالى :{ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم } مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدنى شيء ، والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ، حتى صاروا كنفس واحدة ، وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وبيأنه :{ لو أَنْفقْتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم } أي تناهي عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح { وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم } بقدرته البالغة ، فإنه المالك للقلوب ، يقلبها كيف يشاء { إِنَّهُ عَزِيزٌ } تام القدرة والغلبة ، لا يعصى عليه ما يريده { حَكِيمٌ } يعلم كيف ينبغي أن يفعل ما يريده.

وقيل :الآية في الأوس والخزرج ، كان بينهم محن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم ، فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام، حتى تصافوا وصاروا أنصارًا .(١)

فقوله تعالى :{ لو أَنْفقْتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم } أي :لِما كان بينهم من العداوة والبغضاء ، فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين

١- تفسير البيضاوي.

الأوس والخزرج ، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر ، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان ، كما قال تعالى :{ وَاذكرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَليكم إِذ كُنْتُم أَعدَاءً فأَلّف بَينَ قُلوبِكم فأَصبَحُتم بِنعمَتِهِ إِخوَانًا وَ كُنُتم عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأَنْقذكم مِنهَا كذلِكَ يُبَينُ اللَّهُ لكم ءَايَاتِهِ لعَلّكم تهتَدُونَ} [آل عمران :١٠٣] ، وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم :« يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلاَّلا فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟» كلَّما قال شيئًا قالوا :الله ورسوله أَمَن .ولهذا قال تعالى :{ وَلكِنَّ اللَّهَ أَلَّف بَيْنهُم إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } أي :عزيز الجناب ، فلا يخيب رجاء من توكل عليه ، حكيم في أفعاله وأحكامه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :قرابة الرحم تقطع ، ومنة النعمة تكفر ، ولم ير مثل تقارب القلوب ، يقول الله تعالى :{ لو أَنْفقْت مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْت بَينَ قُلوبِهِم}.

وقال أبو إسحق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سمعه يقول :{ لو أَنْفقْت مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْت بَينَ قُلوبِهِم } قال :هم المتحابون في الله .وفي رواية :نزلت في المتحابين في الله .رواه النسائي والحاكم في مستدركه وقال صحيح . [1]

١- تفسير ابن كثير

وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ :إني أحبك في الله ، فقال :أبشر ثم أبشر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فقيل :من هؤلاء يارسول الله؟ فقال: « المتحابون في الله»(١) .ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض ، لأنهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ، ووقع القبول لوجود المحبة ، فانتفع لذلك المريد بالشيخ والأخ بالأخ .(٢)

أقول :على المؤمنين أن يجتمعوا على محبة الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن هذه المحبة تخرج الحظوظ من البين، فيبقى مجرد الإيمان .ومن مقتضى الإيمان والتحابب في الله تعالى الصدق ، فإذا ثبت الصدق بين اثنين أو بين جماعة أو بين الشيخ والمريد أو بين المعلم والتلميذ تكون ثمرته رضا الله تعالى ، بشرط أن تُخرَج النفس من البين .فإذا دخلت النفس يرى الإنسان نفسه أعلى من الآخرين ، وينظر إليهم بعين النقص ، هذا ميزان الناقصين .ميزان الناقصين التكبر ، وميزان الكاملين التواضع .حينذاك تفشل المحبة بينهم ، لأن المحبة بدون محبة الدين ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم فارغة .فلا بد للمحبة التي ألَّف الله تعالى بها بين

١– أخرجه أبو داود عن عمر رضي الله عنه بلفظ «إن من عباد الله لأناسًا ماهم بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الناس لمكانهم من الله، قالوا :يارسول الله خبرنا مَن هم؟ قال :هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنَّهم لعلى نور لايخافون إذا خاف الناس ولايحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ { لَا إِنَّ أَولِيَاءَ اللَّهِ لا خَو ف عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنونَ }[يونس :٦٢]

٢ –تفسير روح البيان.

المؤمنين برحمته وكرمه أن لا تكون معلولة ، لا بالدنيا ولا بالمشيخة ولا بأي شيء.

علينا أن نجرد محبتنا وطاعتنا ، لقوله تعالى :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنونَ إِخْوَة}

[الحجرات : ١٠] ، فإذا صرنا إخوة بما قاله الله تعالى لنا نكون من المتحابين في الله، فإن حصل بيننا بعض الأمور إن كانت دينية نرجع في حلها إلى الكتاب والسنة ، وإن كانت دنيوية نتذاكر فيما بيننا – والمتذاكرون ليسوا أعداء لبعضهم – فتكون الثمرة إن شاء الله للمتحابين لا للمتباغضين .وإذا دخلت النفس تقطع المحبة بالكلّية ، فلا بد بين المتحابين من النصيحة ، فإن كان في واحد منهم شيء من الأخلاق الذميمة وسمع الوعظ العام عليه أن يترك هذه الأخلاق ، وإلا فإنها تضره وتضر الآخرين كذلك ، هذا ليس شأن المتحابين في الله.

المتحابُّون في الله جلَّ وعلا لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يمشون مع المخالفين. فالناس لا يخلون من المخالفات إلا بعد تهذيب النفوس ، وهذا صعب على الإنسان ، لذلك عليك أن تتبع الكتاب والسنة ، ولا تخدع بخداعهم ليغيروا استقامتك.

نرجو الله تعالى أن يطهر قلوبنا من كلِّ وصف يُباعدنا عن محبته ، ويثبت لنا الاستقامة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قلْ لِمَن فِي أَيدِيكم مِنَ الأَسرَى إِن يَعلَمِ اللَّهُ فِي قُلوبكم خيرًا يُؤْتِكم خيرًا مِمَّا أُخِذ مِنكم وَيَغْفِر لكم وَاللَّهُ غُفورٌ رَحِيمٌ) (٧٠) [الأنفال : ٧٠]

قوله تعالى :{ إِن يَعلَمِ اللَّهُ فِي قُلوبِكم خيرًا } يجب أن يكون المراد من هذا الخير: الإيمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف ، والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي ، ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتوبة عن محاربته .[١]

ومعنى الآية :قل لهؤلاء الأسرى الذين وقعوا في الأسر يوم بدر :إن يعلم الله في قلوبكم صدقًا وإخلاصًا يعطكم أفضل مما أُخذ منكم من الفداء ، ويمحو عنكم ما سلف من الذنوب ، والله واسع المغفرة ، عظيم الرحمة لمن تاب وأناب.

أقول :هذه الآية في حق أسرى بدر ، وفيهم سيدنا العباس رضي الله عنه ، فما بالك بالمؤمن الذي أعطاه الله الإيمان؟

---

١ –تفسير الرازي .

نحن نشهد الله جلَّ وعلا أن في قلوبنا محبته ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ونرجوه تعالى – مع ضعفنا وعجزنا وفقرنا – أن يقوي هذا الخير في قلوبنا ، ولا يسلبه منا بسوء اختيارنا ، أو باتباع أنفسنا ، أو بسوء أخلاقنا ، وأن يدوم معنا إلى أن نخرج من الدنيا ونلتحق بجماعة المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عالم البرزخ.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السابع والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(كَيفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَليكم لا يَرْقبُوا فِيكم إلاًّ وَلا ذِمَّة يُرضُوَنكم بِأَفْوَاهِهِم وَتأْبَى قُلوبُهُم وَأَكْثَرُهُم فاسِقونَ) (٨) [التوبة : ٨]

قوله تعالى :{ يُرضُونَكم بِأَفْوَاهِهِم } حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ، ويعدون لكم بالإيمان والطاعة ، ويؤكدون ذلك بالأيمان الفاجرة ، ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة .ونسبة الإرضاء للأفواه للإيذان بأن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم { وَتأْبَى قُلوبُهُم } ما تتفوه به أفواههم ، يعني: إن ألسنتهم تخالف قلوبهم ، وما في بواطنهم من الضغائن ينافي ما أظهروه بألسنتهم من وعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد ، فهم إنما يقولون كلامًا حلوًا مكرًا وخديعة .[١]

أقول :قول الله تعالى :{ يُرضُوَنكم بِأَفوَاهِهِم وَتأْبَى قُلُوبُهُم } نزل في الكفار والمنافقين ، لكن إذا كان المؤمنون يقولون بأفواههم خلافًا لما في قلوبهم فهذا علامة على فسقهم ، والله لا يرضى منهم هذا القول ، فإما أن يعفو أو لا يعفو – هذا ليس وظيفَتنا – لكنه علامة الفسق.

---

١ –تفسير روح البيان .

فعلينا أن نحافظ على أقوالنا بحيث لا نخرج إلى الفسق ولا نتشبه بالكفار في نقض العهد ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خَصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :إذا اؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » [١]وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا:« إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » . [٢] علينا أن نحذر من هذا.

نرجو الله جلَّ وعلا السلامة لنا وللمسلمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١- أخرجه الستَّة إلا ابن ماجة .

٢-أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

اللفظان الثامن والخمسون و التاسع والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَاتِلوهُم يُعَذِّبهُمُ اللَّهُ بِأَيدِيكم وَيُخْزِهِم وَينصُركم عَليهِم وَيَشْفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ(١٤) وَيُذهِب غيظ قُلوبِهِم وَيَتوبُ اللَّهُ عَلى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١٥) [التوبة:١٤-١٥]

أقول :قوله تعالى :{ قَاتِلوهُم يُعَذِّبهُمُ اللَّهُ بِأَيدِيكم } هذا من لطف الله تعالى بالمؤمنين وكرمه عليهم ، فالعذاب بيد الله جلَّ وعلا ، لكنه - في هذه الآية - يُشعر ويُشير إلى أن الغلبة والقوة لدين الإسلام وللمسلمين ، وذلك بقوله :{ يُعَذِّبهُمُ اللَّهُ بِأَيدِيكم } ولم يقل بعذاب جهنم ، وإن كان سيعذبهم بها ، فقوله :{ بِأَيدِيكم } ليشفِ صدور المؤمنين بهذا النصر العظيم { وَيُخْزِهِم } ويذلهم { وَيَنصُركم عَليهِم } كما قال في آية أخرى: { وَأَنتُمُ الأَعَلونَ إِن كُنتم مُؤْمِنِينَ } [آل عمران :١٣٩].

نرجو الله تعالى أن يرحمنا بحرمة هؤلاء، وبحرمة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام .اهـ .

ذكر ابن عساكر في ترجمة مؤذن لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن مسلم بن يسار عن عائشة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال« : يا عويش قولي :اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلاَّت الفتن[١] »[٢]

أقول :الغضب ليس مذمومًا ، بشرط أن يكون لله تعالى ولشعائر المسلمين ، ولذا قال الله تعالى :{ وَالْكاظِمِينَ الْغيظ } [آل عمران : ١٣٤] ، أما إذا استولى الغضب على العقل فإن الشيطان ينفخ في أنف العبد ، ويلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة ، فلا يعرف أي شيء يقول ، ولا يتفكر في قوله ولا فعله ، وقد يكسر الأواني ويضرب الأولاد. [٣] **وأما مدح الله جلَّ وعلا بقوله :{ وَالْكاظِمِينَ الْغيظ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} فهذا للذي عنده اقتدار على الانتقام وعلى تنفيذ الغضب ولا يفعل ما يقدر عليه ، فهذا من الأخلاق الحسنة .والكاظمون الغيظ لوجه الله يشف صدورهم ويسكن غضبهم.**

لكن أكثرنا غَضَبُهُ ليس لله تعالى ولا لشعائر الإسلام بل لأنفسنا ، فإذا شتم شخصٌ الدينَ أو خالف الكتاب والسنَّة لا يهمنا ، لكن إذا قال لأحدنا :لست جميلا أو لست صادقًا نطرده أو نقاتله ، مع أننا يقينًا لسنا صادقين.

---

١ –أخرجه ابن السنِّي عن عائشة رضي الله عنها في الجامع الصغير بدون لفظ "النبي ."

٢ –تفسير ابن كثير .

٣ –ولذا فإن الشريعة المحمَّدية أخذت ذلك بعين الاعتبار، فعلى مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه :من وصل إلى هذه الحالة من الغضب وطلَّق زوجته فإن طلاقه لا يقع ، لأن أقواله لا تعتبر.

على العبد أن يتذكر عند الغضب وقوفه بين يدي الله تعالى ، كما قال الهدهد لسيدنا سليمان عليه السلام في حال غضبه عليه في غيبته عنه" :اذكر وقوفك بين يدي الله."

أجارنا الله تعالى من الأخلاق الذميمة ومن الغضب الذي يغلب على العقل ، وحَفِظنا من الشيطان في كل الأوقات ، خصوصًا في حالة الغضب ، وما توفيقنا إلا بالله.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّمَا يَسَتأْذِنكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَارتَابَتْ قُلوبُهُم فهُم فِي رَيبِهِم يَترَدَّدُونَ) (٤٥) [التوبة: ٤٥]

قوله تعالى :{ إِنَّمَا يَسَتأْذِنكَ } أي :في القعود ممن لا عذر له { الَّذِينَ لا يُؤْمِنون بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ } أي :لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم { وَارتَابَت قُلوبُهُم } أي :شكت في صحة ما جئتهم به { فهُم فِي رَيبِهِم يَترَدَّدُونَ } أي :يتحيرون ، يقدمون رِجلا ويؤخرون أخرى ، وليست لهم قدم ثابتة في شيء ، فهم قوم حيارى هلكى ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا .[١]

أقول :كلام الله جلَّ وعلا يأمرنا بتطهير القلب ، والتردُد في الإيمان والشكُّ فيه يحصل منه الكفر والنفاق ، ومحلُّ النفاق القلب .فعلينا – معشر المؤمنين العاقلين المتفكرين فيما بعد الموت الذين يريدون رضا الله – أن نطهر قلوبنا من الشك والارتياب ، حتى نكون من المؤمنين الصادقين الصالحين .ولكن القلب بدون مجاهدة لا يحصل له تطهير ، والمجاهدة ليست أمرنا ، بل أمر الله :{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لمَعَ الْمُحسِنِينَ } فبالمجاهدة يكون المؤمن من أهل الإحسان.

١ –تفسير ابن كثير .

أول المجاهدة عدمُ الاتباع للنفس الأمارة ، والمحاربة للشيطان ، وتركُ المعاصي ، خصوصًا في هذا العصر النظرُ إلى النساء الأجنبيات ؛ هذا سلاح الشيطان والكفار المسلَّط على المؤمنين والمؤمنات ، ولكن أكثرهم لا يفهمون ولا يتجنَّبون ، لضعف إيمانهم .الذي ينظر إلى النساء وهو يعلم أن ربه ينظر إليه ما معنى إيمانه؟ لكنه إذا نظر فتنبَّه وغض بصره يحصل له الثواب ، والله أرحم الرَّاحمين.

هذه المجاهدة للنفس تميز الفاسق من المؤمن الصادق .يمكن للفاسق إذا جاهد نفسه أن يرتفع إلى درجة المؤمنين الصادقين ، ولذا يوجهنا ربنا إلى المجاهدة .بالمجاهدة يُطهَّر القلب، وإذا طهر القلب يَصُلح الكلُّ ، أما إذا لم يكن القلب طاهرًا فإنه يصدر من صاحبه أفعال مثل تلك التي تصدر من الكافر.

ولذا فإن التربية الإسلامية تقتضي أن نطهر قلوبنا ، حتى يحصل لنا الإصلاح ؛ فالإصلاح غير الثواب ، الثواب سهل والإصلاح صعب ، فإذا طهر القلب تكون الصلاة صلاة ؛ فكما نهتم بظاهر الصلاة علينا أن نهتم بباطن الصلاة ؛ بعد تحقيق أركان الإيمان الستة ، وأركان الإسلام الخمسة ، والإكثار من ذكر الله تعالى ، لا بدَّ من مجاهدة النفس وترك المعاصي حتى يُطهَّر القلب بذلك.

اللهمَّ طهر قلوبنا من كلِّ وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(مَا الصَّدَقَات لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَليهَا وَالْمُؤَلَّفةِ قُلُوبُهُم وَفِي الرِّقَابِ وَالْغارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَة مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(٦٠) [التوبة : ٦٠]

قوله تعالى :{ وَالْمُؤَلَّفةِ قُلوبُهُم } وهم قوم كان يعطيهم رسول الله ، ويتألفهم بالصدقات على الإسلام ، وكانوا رؤساء في كل قبيلة ، منهم أبو سفيان بن حرب والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وصفوان بن أمية وغيرهم .فلما توفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤوا إلى أبي بكر وطلبوا منه، فكتب لهم كتابًا ، فجاؤوا بالكتاب إلى عمر بن الخطاب ليشهدوه ، فقال :أي شيء هذا؟ فقالوا :سَهمُنا ، فأخذ عمر رضي الله عنه الكتاب ومزقه وقال :إنما كان يعطيكم النبي صلى الله عليه وسلم يتألفكم على الإسلام ، فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام ، فإن ثبتم على الإسلام وإلا فبيننا وبينكم السيف ، فرجعوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: أنت الخليفة أم هو؟ قال :هو إن شاء ، فبطل سهمهم[١] .[٢]

١ -فهذا الحكم الآن منسوخ .

٢ -تفسير السمرقندي .

أقول :على المسلم الفقير المتدين – إذا أمكن – أن لا يأخذ الزكاة والصدقات ، وإذا لم يمكنه ذلك لحاجته فإن الشريعة تفتي له بالأخذ ، ولكن عليه أن لا يَسأل الناس ، فإذا سأل يخرج عن العفة ، وعندئذ لا يُعَدُّ من المتوكلين .على الإنسان أن يصبر ويكتفي بعلم الله تعالى ، فإن كان محتاجًا فإن الله يرسل إليه حاجته :{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجًا (٢) وَيَرزُقْهُ مِن حَيُث لا يَحتَسِبُ} [الطلاق :٢-٣].

اللـهمَّ ارزقنا حُسن التوكل عليك يا ربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

اللفظ الثاني و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَحذَرُ الْمُنافِقونَ أَن تنزَّلَ عَليهِم سُورَة تنَبئُهُم بِمَا فِي قُلوبِهِم قلِ اسَتهزِئُوا إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحذَرُونَ) (٦٤)[التوبة : ٦٤]

قوله تعالى :{ يَحذَرُ الْمُنَافِقونَ أَن تَنَزَّلَ عَليهِم } أي على المؤمنين { سُورَة تنَبئُهُم } أي تخبر تلك السورة المؤمنين { بِمَا فِي قُلوبِهِم } أي قلوب المنافقين ، من الشرك والنفاق ، فتفضحهم وتهتك عليهم أستارهم ، فالضميران الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ، ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الأمر ، ويجوز أن تكون الضمائر كلها للمنافقين .فالمعنى :{ يَحذَرُ الْمُنافِقونَ أَن تَنَزَّلَ عَليهِم } أي في شأنهم ، فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم { سُورَة تنَبئُهُم بِمَا فِي قُلوبِهِم } من الأسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق .[١]

أقول :على المؤمن أن يحذر من صفات المنافقين ، لأن الله ذكر في القرآن الكريم لسيد المرسلين ، وسيد المرسلين عليه الصلاة والسلام فسّر لنا قصة المنافقين لنحذر ونحترس ونتحفظ من صفاتهم ؛ فإننا وإن كنا مؤمنين والحمد الله ، ولكن صفات المنافقين موجودة في كثير من المؤمنين .وإن لم يكن المؤمن بهذه الصفات كافرًا لكنه يكون فاسقًا.

---

١ –تفسير روح البيان .

قلب المؤمن مملوء بعلم الله به ومملوء بالإيمان ، فكيف يُدخل هذه الصفات الرذيلة على مكان النظر الإلهي ، على منبع الإيمان والمعرفة؟ هذا لا يليق .لابدَّ لنا أن نستغفر ونرجع ، و نرجو الله تعالى أن يقبل توبتنا.

اللهمَّ تب علينا توبة نصوحًا لا ننقض عهدها أبدًا يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَلمَّآ آتاهُم من فضلِهِ بَخِلوْا بِهِ وَتوَلَّوْا وَّهُم مُّعرِضُونَ) (٧٦)(فَأَعقبَهُمْ نِفاَقًا فِيقُلوبِهِم إِلى يَومِ يَلْقونَهُ بِمَا أَخْلَفوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ) (٧٧)
[التوبة :٧٦-٧٧]

قال تعالى :{ فَلمَّآ آتاهُم من فضلِهِ بَخِلوْا بِهِ وَتوَلَّوْا وَّهُم مُّعرِضُونَ } وهذا يدل على أنه تعالى وصفهم بصفات ثلاثة :الصفة الأولى :البخل وهو عبارة عن منع الحق. والصفة الثانية :التولي عن العهد .والصفة الثالثة :الإعراض عن تكاليف الله وأوامره.

ثم قال تعالى :{ فأَعقَبَهُم نِفَاَقًا فِي قُلوبِهِم إِلى يَومِ يَلْقوَنهُ } وفيه مسائل ، إحداها: ظاهر هذه الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق ، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه ، فإذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به .ومذهب الحسن البصري رحمه الله أنه يوجب النفاق لا محالة ، وتمسك فيه بهذه الآية وبقوله عليه الصلاة والسلام: « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صّلى وصام وزعم أنه مؤمن، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» [١].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه بألفاظ متقاربة ، وأخرجه البخاري ومسلم بلفظ : «أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلَّى وزعم أنَّه مؤمن : مَنْ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر»

وعن النبي عليه الصلاة والسلام : « تقبلوا لي ستًا أتقبل لكم الجنة ، إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا ، وكفُّوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم :أبصاركم عن الخيانة ، وأيديكم عن السرقة، وفروجكم عن الزنا [١] » [٢].

أقول :حبُّ الدنيا وحبُّ الرياسة يكون سبب ضلالة العبد ، ويكون كذلك – كما يقول علماؤنا – سببًا لسوء الخاتمة .نعوذ بالله أن نخرج من الدنيا بدون حسن الخاتمة. فعلينا أن لا نلوث قلوبنا – مكانَ نظر الخالق جلَّ وعلا – بهذه الصفات الرذيلة ، لأن ذلك لا يليق بالمسلم.

ما دام اسمنا مسلمين ومؤمنين ونعدُّ أنفسنا من أهل التربية الإسلامية باسم الطريق فعلينا أن نخرج هذه الأوصاف الذميمة من قلوبنا ، سواء وافقت أنفسنا أو لم توافق.

قل الحقَّ ولو على نفسك ، لا تستحيِ من الخلق ، بل استحيِ من الخالق ، حينذاك تطهر قلبك من الأخلاق الذميمة ، ولا يبقى فيه إلا الإيمان ونور الذكر الإلهي والعمل بالشريعة والسنَّة النبويَّة.

---

١ –أخرجه أحمد وابن حبان والطبراني والبيهقي والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بلفظ :
« اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنَّة :اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم »
٢ –تفسير الرازي.

لا تَكذِب من أجل أن تخلِّص نفسك ، ولو كان بالمعاريض ؛ فكما أن المدح الزائد عن الحد يُعَدُّ ذمًا كذلك التعريض في الأمور يُعَدُّ كذبًا ، والكذبُ يَفتح باب الكفر ، ولا يغير القدَر ، فما ُقدر لك يصيبك إن كذبت أو صدقت.

اللهمَّ طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ، وأتمم تقصيرنا يا أرحم الرَّاحمين ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذآ أُنزِلت سُورَة أَن آمِنوْا بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ إِستأْذَنك أُوْلوْا الطَّوْلِ مِنهُم وَقالوْا ذرْنا نكن مَّعَ الْقاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَن يَكوُنوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطبِعَ عَلى قُلوبِهِم فَهُم لا يَفقهُونَ (٨٧) [التوبة :٨٦-٨٧]

قوله تعالى :{ رَضُوا بِأَن يَكوُنوا مَعَ الْخَوَالِفِ } أي النساء كما روي عن ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما ، وهو جمع خالفة ، وأُطلق على المرأة لتخلُّفها عن أعمال الرجال كالجهاد وغيره ، والمراد ذمهم وإلحاقهم بالنساء في التخلف عن الجهاد ، ويطلق الخالفة على من لا خير فيه .[١]

قوله تعالى :{ وَطبِعَ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَفقهُونَ } وقد عرفت أن الطبع عبارة عندنا عن حصول الداعية القوية للكفر المانعة من حصول الإيمان ، وذلك لأن الفعل بدون الداعي لما كان محالا ، فعند حصول الداعية الراسخة القوية للكفر ، صار القلب كالمطبوع على الكفر ، ثم حصول تلك الداعية إن كان من العبد لزم التسلسل ، وإن كان من الله فالمقصود حاصل .وقال الحسن :الطبع عبارة عن بلوغ القلب في الميل في الكفر إلى الحد الذي كأنه مات عن الإيمان .[٢]

١ -تفسير الألوسي .
٢ -تفسير الرازي .

قال الحدادي :معنى الطبع في اللغة جعل الشيء كالطابع ، نحو طبع الدينار والدرهم. قال في المصادر والتركيب :يدل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها ، ويقاس على هذا طبع الإنسان وطبيعته وطباعه ، أي :سجيته التي جبل عليها .وخص القلب بالختم لأنه محل الفهم ، ولذا قال :{ **فهُم لا يَفقهُونَ** } ما في الإيمان بالله وطاعته في أوامره ونواهيه وموافقة الرسول والجهاد من السعادة ، وما في أضداد ذلك من الشقاوة .[١]

أقول :قوله تعالى :{ وَطبِعَ عَلى قُلوبِهِم } للمنافقين ، ولكن على المؤمن أن لا يأخذ بهذه الأوصاف ، فلا يتأثَّر بكلام الله وكلام رسول الله ولا ينزجر به.

فإذا كان الطبع على قلوب الكفار والمنافقين فإن المؤمنين لا يُطبَع على قلوبهم ، لأنهم مصبوغون بصبغة الله – وهي دين الإسلام – الذي صبغ الله به قلوبهم ، وحفظهم به عن الأوصاف التي تسبب الطبع على القلوب .وإذا وصل إلى قلوبهم المنوَّرة شيء من هذه الأوصاف بواسطة الشيطان أو النفس الأمارة فإن الله تعالى قد جعل لهم التوبة والاستغفار ليمحو ذلك.

نرجو الله جلَّ وعلا أن يتوب علينا ، ويغفر ذنوبنا ، ويعفو عن تقصيراتنا ، إنه خير مسؤول.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير روح البيان.

اللفظ الخامس و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلى الَّذِينَ يَستَأْذِنونَك وَهُم أَغنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكوُنوا مَعَ الْخَوَالِفِ وطبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَعلَمُونَ)(٩٣) [التوبة :٩٣]

قوله تعالى :{ إِنَّمَا السَّبِيلُ } أي بالمعاتبة والمعاقبة { عَلى الَّذِينَ يَستَأْذِنونَك } في التخلف { وَهُم أَغنِيَاءُ } واجدون للأُهبة قادرون على الخروج معك { رَضُوا بِأَن يَكوُنوا مَعَ الْخَوَالِفِ} تقدم معناه { وَطبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم } خذلهم فغفلوا عن سوء العاقبة {فهُم } بسبب ذلك { لا يَعلَمُونَ } أبدًا وخامة ما رضوا به وما يستتبعه عاجلا ، كما لم يعلموا نجاسة شأنه آجلا .(١)

أقول :أيها المؤمن العاقل المحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، علينا جميعًا أن نحذر من هذه الأوصاف الخبيثة التي لا تليق بإيماننا .علينا أن نستنصح بنصائح الله تعالى جلّ وعلا ، ونشكره على ما بيَّن في كتابه العزيز ، حتى وَقفنا على هذه الرذائل ، لنجتنبها برحمة الله وتوفيقه.

---

١ –تفسير الألوسي .

الذين لم يؤمنوا بقلوبهم اطلع الله على أنهم يخدعون المؤمنين ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، فطبع عليها ، وأما المؤمن فإنه يعتقد أن الله تعالى مطَّلع على قلبه ، فلا يكون لسانه مخالفًا لما في قلبه.

نسأل الله تعالى السلامة من هذه الرذائل ، وأن يعاملنا بفضله وكرمه لا بعدله.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان السادس و الستون و السابع و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنوا رِيبَة فِي قُلوبِهِم إلاَّ أَن تَقطَّعَ قُلوبُهُم وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١١٠) [التوبة : ١١٠]

قال تعالى :{ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنوا رِيبَة فِي قُلوبِهِم } والمعنى :أن بناء ذلك البنيان صار سببًا لحصول الريبة في قلوبهم، فجعل نفس ذلك البنيان ريبة لكونه سببًا للريبة. وفي كونه سببًا للريبة وجوه ؛ الصحيح منها أن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرار ، فلما أمر الرسول ؟ بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم في نبوته .[١]

أقول :على الإنسان المؤمن أن لا يحكم بعقله ضد النصوص الإلهية أو الأحاديث النبوية ، لأن العقل لا يصل إلى معرفة الأحكام الشرعية، لكنها تثبت إما بالقرآن الكريم أو بالحديث النبوي ، وكلاهما متعلِّق بأمر سماوي إلهي ربَّاني.

تدبير الإنسان ضد النصوص كالبناء على الجليد ، إذا جاء حرُّ حزيران أو تموز يذوب الجليد ويخرب البناء .هذا شأن العقل ، لأن العقل له حدود معينة لا يتجاوزها ، أما النصوص فإنها تشمل الأول والآخر ، لأن علم الله تعالى محيط بالماضي والحال

١ –تفسير الرازي .

والاستقبال ، وكذلك نصُّ الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأنه { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحَى} [النجم :٣ –٤].

نعم !العقلُ مقبول بشرط أن يُنوَّر بنور القلب، لأنه حينذاك يكون مستقيمًا، ولذا فإن الله تعالى قال في كثير من الآيات الكريمة :{ أَفلا تعقِلونَ} [آل عمران :٦٥]، صاحب القلب والعقل والدماغ المنوَّر لا يخالف الشريعة ، ولا يخالف النصوص ؛ فإذا وافق عقُله النصوص يقول :الحمد لله الذي أعطاني هذا الفكر الموافق ، وإذا خالف فكرُه النصوص فإنه يتركه ويرجع إلى النصوص.

أما الذين يعتمدون على عقولهم دون الرجوع إلى النصوص الشرعية فإن عقولهم تورطهم في كثير من أمورهم الدينية والدنيوية.

نرجو الله تعالى السلامة لنا وللمسلمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَقد تَابَ اللَّهُ عَلى النَّبِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسرَةِ مِن بَعدِ مَا كَادَ يَزِيغ قُلوبُ فَرِيقٍ مِنهُم ثمَّ تابَ عَليهِم إنَّهُ بِهِم رَءُوف رَحِيمٌ) (١١٧) [التوبة :١١٧]

قوله تعالى :{ لَقد تَابَ اللَّهُ عَلى النَّبِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِالْعُسرَةِ } أي وهو الزمان الذي وقع فيه غزوة تبوك ، فإنه قد أصابتهم فيها مشقة عظيمة من شدة الحر ، وقلة المركب ، حتى كانت العشرة تعتقب على بعير واحد ، ومن قلة الزاد ، حتى قيل إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة ، وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير ، ومن قلة الماء ، حتى شربوا الفظ ، وهو ماء الكرش { مِن بَعدِ مَا كَادَ يَزِيغ قُلوبُ فَرِيقٍ مِنهُم } أي يميل قلوب طائفة منهم عن الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأن هموا أن ينصرفوا في غير وقت الانصراف ، من غير أن يؤذن لهم في ذلك ، لشدائد أصابتهم في تلك الغزوة، لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما ظهر على قلوبهم ، فتاب الله عليهم[١] .

قال ابن جرير في قوله تعالى :{ لَقد تَابَ اللَّهُ عَلى النَّبِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسرَةِ } أي من النفقة والظهر والزاد والماء

---

١ –تفسير روح البيان .

{مِن بَعدِ مَا كَادَ يَزِيغ قُلوبُ فَرِيقٍ مِنهُم } أي عن الحق ، ويشك في دين الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم
{ثمَّ تَابَ عَليهِم } يقول ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه { إِنَّهُ بِهِم رَءُوف رَحِيمٌ } .[1]

أقول :الاتباع في ساعة العسرة لازم ، لا الاتباعُ في الوسعة والتَّركُ في الضيق.

اتق الله في السر والعلانية ، والضيق والفرَج ، والغنى والفقر ، وفي كل الأحوال ؛ فهو يعلم بحالك ، وهو أرحم بك من والديك ، فكيف يتركك مهملا هذا ليس شأن الكرام من الناس ، فكيف يليق بالخالق جلَّ وعلا ؟ وإذا لم تكن صادقًا في أقوالك وأفعالك وسيرك ومشيك مع أوامره جلَّ وعلا ، وتحاول أن تكون الأحكام والأعمال والأفعال موافقة لحظوظك – وهو أعلم بك من نفسك – حينذاك يقلب ما تطلب عليك، لأنك لست صادقًا بينك وبينه.

فالله تعالى يمتحن عباده ، ولكن – كما أسلفنا – لا يتركهم مهملين .وليس للعبد أن يجرب ويمتحن ربه – حاشاه .– علينا أن نتبع الحقَّ ولو كان مرًّا علينا.

اللهمَّ ارزقنا حلاوة الإيمان يارب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير ابن كثير.

اللفظ التاسع و الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ فزَادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم وَمَأتوا وَهُم كافِرُونَ) (١٢٥) [التوبة :١٢٥]

قوله تعالى :{ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ** } يدل على أن الروح لها مرض ، فمرضها الكفر والأخلاق الذميمة ، وصحتها العلم والأخلاق الفاضلة .[١]

قال الحدادي :سمى الله النفاق مرضًا لأن الحيرة في القلب مرض القلب ، كما أن الوجع في البدن مرض البدن .يقول الفقير [الشيخ إسماعيل حقي البروسوي رحمه الله]: كلٌّ منهما مؤد إلى الهلاك ؛ أما المرض الظاهر فإلى هلاك الجسم ، وأما المرض الباطن فإلى هلاك الروح ، فلابد من معالجة كل منهما بحسب ما يليق به ،{ **فزَادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم** } أي :كفرًا بها مضمومًا إلى الكفر ، وعقائد باطلة وأخلاقًا ذميمة كذلك .والفرق بين الرجس والنجس أن الرجس أكثر ما يستعمل فيما يستقذر عقلا ، والنجس أكثر ما يستعمل فيما يستقذر طبعًا ، { **وَمَاتُوا وَهُم كَافِرُونَ** } أي :واستحكم ذلك إلى أن يموتوا عليه .بين الله تعالى أن بنزول سورة من السماء حصل للمؤمنين أمران :زيادة الإيمان والاستبشار، وحصل للمنافقين أمران مقابلان لهما :زيادة الرجس والموت على الكفر، وفي الحديث: « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به

---

١ –تفسير الرازي .

آخرين »[1] يعني :إن من آمن بالقرآن وعظَّم شأنه وعمل به يرفع الله درجته في (الآخرة ويرزقه عزة وشرفًا ، ومن لم يؤمن به أو لم يعمل به أولم يعظم شأنه خذله الله في الدنيا والآخرة .[2]

أقول :ولو أن هذه الآية نزلت في حق الكفار ، لكن المسلم المؤمن أحيانًا يتَّبع ما ينزل على قلبه دون أن يميز بين ما يأتي من الشيطان وما يأتي من الملائكة ، فيتبع الخطرات والوساوس الشيطانية فيخسر.

فعلى المؤمن أن يتفكر فيما ينزل على قلبه بميزان الشريعة ، فإن كان موافقًا لها فهو من الله ، وإن كان مخالفًا فهو من الشيطان .وهذا التمييز يحصل بالتقوى ، لقوله تعالى :{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا إن تَتَّقوا اللَّهَ يَجعَلْ لكم فرَقانًا} [الأنفال :٢٩] ، فمن حصل له التمييز يسكِّر باب النفس والشيطان ويتبع الاستقامة ، ولذا قال الله تعالى: { إنَّ الَّذِينَ اتَّقوا إذا مَسَّهُم طَآئِفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذكَّرُوا فإذا هُم مُبصِرُونَ } [الأعراف :٢٠١] ، فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر ، وهو الفوز بلقاء الله جلَّ وعلا.

وذِكر الله ليس لأهل الطريق فقط ، بل هو عام لكل المؤمنين ، لقوله تعالى :{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا اذكرُوا اللَّهَ ذِكرًا كثِيرًا } [الأحزاب :٤١].

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –أخرجه مسلم عن عامر بن واثلة عن عمر رضي الله عنهما .

٢ –تفسير روح البيان

اللفظ السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذا مَا أُنزِلت سُورَة نظرَ بَعضُهُم إِلى بَعضٍ هَلْ يَرَاكم مِن أَحَدٍ ثمَّ انْصَرَفوا صَرَف اللَّهُ قُلوبَهُم بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَفقهُونَ)[التوبة :١٢٧]

والمعنى يقول بعضهم لبعض :هل يراكم من أحد من المؤمنين إن قمتم من مجلسكم فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد ، وإن علموا أن أحدًا يراهم أقاموا فيه وثبتوا حتى يفرغ عليه الصلاة والسلام من خطبته ، ثم انصرفوا{ صَرف اللَّهُ قُلوبَهُم } أي عن الإيمان حسب انصرافهم عن المجلس ، والجملة إخبارية أو دعائية { بِأَنَّهُم } أي بسبب أنهم { قَومٌ لا يَفقهُونَ } لسوء الفهم أو لعدم التدبر.

وفي التأويلات النجمية :ليس فقه القلب ، فإن فقه القلب من أمارات حياة القلب ، وهو نور يُهتدى به إلى الحق ، كما أن الجهل ظلمة يقيم عندها ولا يدري ماذا يفعل .اللهم اجعلنا من المتدبرين والمتذكرين والمعتبرين.

وعن أبي بكر الوراق – رحمه الله – أنه قال :للقلب ستة أشياء :حياة وموت وصحة وسقم ويقظة ونوم ؛ فحياته الهدى ، وموته الضلالة ، وصحته الصفاء ، وعلته العلاقة ، ويقظته الذكر ، ونومه الغفلة .(١)

١– تفسير روح البيان .

أقول :القلب خلق لمعرفة الله تعالى جلَّ وعلا ، فإذا لم توجد فيه معرفة الله فذلك القلب ميت ، ولو كان صاحبه حيًا يمشي ويأكل.

حياة القلب بتذكر الموت ، وبقراءة القرآن الكريم ، وبالتمسك بالشريعة ، وباتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وبالإخلاص في العبادة ؛ حينذاك يحيا القلب.

اللهمَّ نور قلوبنا بمعرفتك يا أرحم الرَّاحمين ، وارزقنا كلَّ وصف يقربنا إلى مشاهدتك ، وأبعدنا عن كلِّ وصف يبعدنا عن مشاهدتك.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَاأَيُّهَا النَّاسُ قد جَاءَتكم مَوعِظة مِن رَبكم وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحمَة لِلمُؤْمِنِينَ)(٥٧) [يونس :٥٧]

قوله تعالى :{ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ** } نداء عام كما في تفسير الكاشفي ، وخصصه في الإرشاد بكفار مكة { **قد جَاءَتكم مَوعِظة** } هي التذكير بالعواقب ، سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب ، أي كتاب مبين لما يجب لكم وعليكم ، مرغب في الأعمال الحسنة منفر عن الأفعال السيئة ، وهو القرآن { **مِن رَبكم** } متعلق بجاءتكم { **وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ** } ودواء من أمراض القلوب كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الفاسدة { **وَهُدًى** } إلى طريق الحق واليقين ، بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس { **وَرَحمَة لِلمُؤْمِنِينَ** } حيث نجوا بمجيء القرآن من ظلمات الكفر والضلال .وهذه المصادر وصف بها القرآن للمبالغة ، كأنه عينها.

يقال :القرآن موعظة للنفوس ، وشفاء للصدور ، وهدى للأرواح .ويقال :الموعظة للعوام ، والشفاء للخواص ، والهدى للأخص ، والرحمة للكل حيث أوصلهم إلى مراتبهم[١] .

١ –تفسير روح البيان .

فالحاصل أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة ، والشفاء إشارة إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة ، والهدى وهو إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة ، والرحمة وهي إشارة إلى كونها بالغة في الكمال والإشراق إلى حيث تصير مكملة للناقصين وهي النبوة ، فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية ، لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره ولا تقديم ما تأخر ذكره.

ولما نبه الله تعالى في هذه الآية على هذه الأسرار العالية الإلهية قال :{ **قُلْ بِفضلِ اللَّهِ وَبِرَحمَتِهِ فبِذلِكَ فلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ** } [يونس :٥٨]، والمقصود منه الإشارة إلى ما قرره حكماء الإسلام من أن السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسمانية .[١]

أقول :على المؤمن العاقل أن يتبع القرآن وهُداه ، ولا يضيع أوقاته بالجرائد والتلفزيون وما لا يَعني ، لأن هذه الأوقات كلها يُحاسَب عليها ، فإما أن تكون له وإما أن تكون عليه.

١- تفسير الرازي.

والخلاصة أن هذا القرآن نورٌ وهداية للمؤمنين ، ونورٌ وهداية كذلك لمن يترك الكفر والنفاق ويتمسك به ، ولذا قال ربنا جلَّ وعلا :{ وَمَن يَعمَلْ سُوءًا أَو يَظلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَستغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَن يَكسِب إِثمًا فإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلى نفْسِهِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء : ١١٠-١١١].

فعلى المؤمن إذا صدرت منه المعاصي – بالغفلة أو بعدم العلم – أن يستغفر الله ، فإن الله غفور رحيم.

اللهمَّ اغفر لنا ياغفور، وارحمنا يارحيم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعدِهِ رُسُلاً إِلى قومِهِم فجَاءُوهُم بِأْلبَيَنات فمَا كانُوا لِيُؤْمِنوا بِمَا كذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ كذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلوبِ ألمُعتَدِينَ)(٧٤) [يونس : ٧٤]

{ كذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلوبِ ألمُعتَدِينَ } أي كما طبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم ممن بعدهم ويختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .[1]

فقوله تعالى :{ كذلِكَ } أي مثل ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله { نطْبَعُ عَلى قُلوبِ ألمُعتَدِينَ } المتجاوزين باختيار الإصرار على الكفر.

وكما أن الله تعالى طبع على قلوب المكذبين للرسل بسوء اختيارهم وانهماكهم في الغي والضلال كذلك طبع على قلوب المنكرين للأولياء بسوء معاملاتهم وتهالكهم على التقليد ، فما دخل في قلوبهم الاعتقاد ، وما جرى على ألسنتهم الإقرار ، كما لم يدخل في قلوب الأولين التصديق ولم يصدر من ألسنتهم ما يستدل به على التوفيق ، ثم هم مع

---

١ –تفسير ابن كثير .

كثرتهم قد جاؤوا وذهبوا ولم يبق منهم أثر ولا اسم ، وسيلحق بهم الموجودون ومن يليهم إلى آخر الزمان .(١)

أقول :عندما خلق الله تعالى الأرواح سألهم :{ أَلَست بِرَبكم} [الأعراف :١٧٢] وأَفهَمَهم هذا الخطاب الأزلي حتى لا يبقى لأحد حجة، فقالوا جميعًا :{ بَلى } ، سواء منهم من كان في العِلم الإلهي شقيًّا أو سعيدًا ، لكن عندما نزلت الأرواح إلى عالم الدنيا والتقت بالأجساد ، منها من نسيت ذلك النداء الأزلي الذي سمعته هناك ، ونسيت ما أجابت به ، واتبعت الشقاوة ، فصار صاحبها كافرًا ، ومنها من أقَرَّت ولم تنسَ ، فصار صاحبها مؤمنًا.

اللهمَّ اجعلنا من سعداء الدنيا والآخرة يا أكرم الأكرمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ الثالث و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقالَ مُوسَى رَبَّنا إِنَّكَ ءَاتيت فِرعَونَ وَمَلأَهُ زِيَنة وَأَموَالا فِي ٱلحيَاةِ الدُّنيَا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنا ا طمِس عَلى أَموَالِهِم وَاشدُد عَلَى قُلوبِهِم فلا يُؤْمِنوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ)(٨٨) [يونس :٨٨]

قوله تعالى :{ وَقالَ مُوسَى رَبَّنا إِنَّكَ ءَاتيت فِرعَونَ وَمَلأَهُ زِيَنة } أي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما { وَأَموَالا فِي ٱلحيَاةِ الدُّنيَا } وأنواعًا كثيرة من المال ، كالنقود والمتاع والضياع ، كما قال { رَبَّنا } تكرير للأول ، أي آتيته وملأه هذه الزينة والأموال { لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ } أي لتكون عاقبة أمرهم أن يضلوا عبادك عن طريق الإيمان ، فاللام للعاقبة ، كما في قوله:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

أو لأجل أن يضلوا عن سبيلك ، فاللام للتعليل لا حقيقة بل مجازًا ، لأن الله تعالى آتاهم ذلك ليؤمنوا ويشكروا نعمته ، فتوصلوا به إلى مزيد البغي والكفر ، فأشبهت هذه الحالة حال من أعطى المال لأجل الإضلال ، فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة .وفي الآية بيان أن حطام الدنيا سبب للضلال والإضلال(١) ، فإن الإنسان

١- إن لم يُستعمل فيما أمر الله تعالى به ، وإلا فإن المال والغنى ليس مذمومًا في نفسه ، بل المذموم استعماله في غير ما وُضع له.

ليطغى أن رآه استغنى ، ومن رأى الغير في زينة ورفاهية حال يتمنى أن يكون له مثل ذلك، كما قالوا :يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، لما خرج في زينته .ولذا حذَّر عن صحبة الأغنياء وأبناء الملوك ، وفي الحديث« لا تجالسوا الموتى»[١] يعني الأغنياء[٢] ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : لأن أقع من فوق قصر فأنحطم – أي

أنكسر – أحب إلي من مجالسة الغني ، وذلك لأن مجالسته سارية وصحبته مؤثرة.

وقال أبو بكر رضي الله عنه : اللهم ابسط لي الدنيا وزهدني فيها ، ولا تزوها عني وترغبني فيها .{ رَبَّنا اطمِس عَلَى أَموَالِهِم } دعاء عليهم بعد الإنذار وعلمه أن لا سبيل إلى إيمانهم ، وإنما عرض إضلالهم أولا ليكون تقدمة لهذا الدعاء وأنهم مستحقون له بسببه .وأصل الطمس المحوُ وإزالة الأثر .والمعنى :أذهب منفعتها وامسخها وغيرها عن هيأتها ، لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك ، وإنما أمرتهم بأن يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك ؛ قالوا صارت دراهمهم ودنانيرهم وطعامهم من الجوز والفول والعدس وغيرها كلها حجارة مصورة منقوشة على هيأتها ، وكذلك البيض والمقاني وسائر أموالهم ، وهذه إحدى الآيات التسع.

---

١ –رُوي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:« إياكم ومجالسة الموتى» قيل يارسول الله ، ومَن الموتى؟ قال :«الأغنياء» أخرجه الحاكم وصححه والترمذي بلفظ" الأغنياء "بدل" الموتى."

٢ –أي :الأغنياء الذين لم يأتمروا بأوامر الله تعالى ولم ينتهوا عن نواهيه جلَّ وعلا ، فإن الجلوس مع هؤلاء مذموم .أما الأغنياء الذين هم مع غناهم متواضعون لله تعالى ، ويشكرونه على ما أنعم به عليهم ، فهؤلاء في عبادة ، ولذا قال ربنا جلَّ وعلا { رِجَالٌ لاتُلْهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ } [النور:٣٧]

{ **وَاشْدُدْ عَلى قُلوبِهِم** } أصل الشد الإيثاق ، والمعنى :اجعلها قاسية واختم عليها لئلا يدخلها الإيمان [١].{ **فلا يُؤْمِنوا** } جواب للدعاء { **حَتَّى يَرَوُا** } أي ليروا ، أو إلى أن يروا { **الْعَذَابَ الأَلِيمَ** } [٢].

قال الواحدي :وهذا دليل على أن الله تعالى يفعل ذلك بمن يشاء ، ولولا ذلك لما حسُن من موسى عليه السلام هذا السؤال .[٣]

اللهم يا مقلِّب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١–لا يُقال :كيف دعا سيدنا موسى – عليه الصلاة والسلام – عليهم بعدم الإيمان وهو رسول من أولي(العزم عليهم السلام لأن الله جل جلاله أفهمه أو أوحى إليه أنهم لن يؤمنوا ؛ فدعاؤه عليهم بإلهام من الله وليس من عنده ، ولذا قال الله تعالى في نهاية الآية التي بعدها { قد أُجِيبَت دَعوَتكمَا } [يونس :٨٩] فلولم تكن موافقة لمراده تعالى كيف يقول :قد أجيبت.

٢ –تفسير روح البيان .

٣ –تفسير الرازي.

اللفظ الرابع و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلا إِنَّهُم يَثْنونَ صُدُورَهُم لِيَستَخفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَستغشونَ ثِيَابَهُم يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٥) [هود :٥]

قوله تعالى :{ أَلا إِنَّهُم يَثْنونَ صُدُورَهُم لِيَستَخْفوا مِنْهُ } روي عن مجاهد والحسن وغيرهم :أي أنهم كانوا يثنون صدورهم إذا قالوا شيئًا أو عملوه فيظنون أنهم يستخفون من الله بذلك ، فأخبرهم الله تعالى أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل { يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ } من القول { وَمَا يُعلِنونَ}.[١]

{ إِنَّهُ } أي الله تعالى { عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلا ، فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون؟ ومعنى الآية أن الذين أضمروا الكفر والعداوة لا يخفون علينا، وسنجازيهم على ما أبطنوا من سوء أعمالهم حق جزائهم [٢] ، فحقه أن يُتقى ويُحذر ولا يُجترأ على شيء مما يخالف رضاه.

واعلم أن إصلاح القلب أهم من كل شيء ، إذ هو كالملك المطاع في إقليم البدن النافذ الحكم ، وظاهر الأعضاء كالرعية والخدم له ، والنفاق صفة من صفاته المذمومة ،

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –إما في الدنيا بالقتل ، وإما في الآخرة بدخول جهنم ، وذلك بسوء اختيارهم .

وهو عدم موافقة الظاهر للباطن والقول للفعل .وقال ناس لابن عمر رضي الله عنهما: إنَّا لندخل إلى سلطاننا وأمرائنا فنقول لهم بخلاف ما نتكلَّم إذا خرجنا من عندهم ، فقال: كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .وقال حذيفة :إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد رسول الله ، قالوا :وكيف ذلك؟ قال :كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون.

ومن آفات القلب العداوة ، وعن علي رضي الله عنه أنه قال :العداوة شغل.

وفي الآية إشارة إلى حال أهل الإنكار ، فإن كفار الشريعة كانوا يتغطون بثيابهم لئلا يسمعوا القرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا منكروا الحقيقة لا يصغون إلى ذكر الصوفية بالجهر ، ولا يقبلون على استماع أسرار المشايخ وحقائق القرآن ، بل يثنون صدورهم ويظنون أن الله تعالى لا يعلم سرهم ونجواهم ولا يجازيهم على إعراضهم عن الحق وعداوتهم لأهله .[١]

أقول :الذي لم يُطهر قلبه – يعني باطنه – من الأخلاق الذميمة والخبائث يَعتمد على عقله ، ولا يقول :إن مئات بل ألوف الأولياء الذين جاؤوا كانوا على هذا المنوال ، يُطهرون بواطنهم ، ويتوجهون إلى قراءة القرآن الكريم ، وإتباع الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، والتمسك بشرع الله تعالى ، حتى لا يكونوا متصفين بصفة المنافقين.

١- تفسير روح البيان.

الآن هذه الأوصاف توجد في بعض المؤمنين ، سلَّمَنا الله وإياهم من هذه الأخلاق الذميمة.

على المؤمن أن يعرف عدوَّه ، وهو الشيطان ووكلاؤه ، ولذا قال ربنا :{ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزغ فاستَعِذ بِاللَّهِ } [فصلت :٣٦] ، لأنك إذا اعتمدت على عقلك فإن عقلك لا يميز لك أن هذا من الشيطان وهذا من الرحمن ، فتقع في الخطأ ، وتستعمل صفات ليست لائقة بإيمانك .

فعليك أن تتبع ميزان الشريعة ، لأن الشريعة جاءت من عند الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بلَّغ أمته إلى آخر الدنيا .وإذا لم تتبع هذا الميزان فإنك لا تعرف التقوى ولا تعرف الأنانية ولا الغرور ، وتترك العدالة ، حينذاك تدخل تحت قوله تعالى :{فَلا تتَّبِعُوا ٱلْهَوَى أَن تعدِلوا} [النساء :١٣٥] ، وقوله تعالى :{ أَفرَأَيت مَنِ اتَّخذ إِلٰهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية :٢٣] نعوذ بالله.

إذا قيل لك :إن الكفار المتقدمين كانوا يعبدون الأصنام تستغرب حالهم ، وفيك شوائب من الأخلاق البهيمية أو السَّبُعية أو الشيطانية أو الربوبية(يعني الأنانية).

أنت تسجد بأنانيتك لهواك، وتنقد على من يسجد للأحجار!

اللهمَّ أرِنا الحق حقًّا وارزقنا إتباعه وحببنا فيه، وأرِنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وكرهنا فيه.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَلعَلَّكَ تَارِكٌ بَعضَ مَا يُوحَى إِليكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدرُكَ أَن يَقوُلوا لولا أُنْزِلَ عَليهِ كَنْزٌ أَو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْت نذِيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شيءٍ وَكِيلٌ) (١٢)[هود: ١٢]

{ فَلعَلَّكَ تَارِكٌ بَعضَ مَا يُوحَى إِليكَ } تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك – وهو ما يخالف رأي المشركين – مخافة ردهم واستهزائهم به ، ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه ، لجواز أن يكون ما يصرف عنه ، وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ هاهنا ، { وَضَائِقٌ بِهِ صَدرُكَ} وعارض لك أحيانًا ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة { أَن يَقوُلوا لولا أُنْزِلَ عَليهِ كَنْزٌ } ينفقه في الاستتباع كالملوك { أَو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ } يصدقه ، وقيل الضمير في { بِهِ } مبهم يفسره { أَن يَقوُلوا } ، { إِنَّمَا أَنْت نَذِيرٌ } ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك ، ولا عليك ردوا أو اقترحوا ، فما بالك يضيق به صدرك؟ { وَاللَّهُ عَلَى كلّ شيءٍ وَكِيلٌ } فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم .(١)

١- تفسير البيضاوي .

أقول :عصمة الله نبيه عليه الصلاة والسلام تستلزم عدمَ تركِ التبليغ وتركِ وظيفة النبوة ، لكن هذا تسلية منه جلَّ وعلا لرسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم ، المشفق على أمته ، لأنه بشر ، عصمُته بعصمة الله ، وحف ّ ظه بحفظ الله .وهذا يدل على أن

الله تعالى يعصم ويحفظ دين أنبيائه ورسله :{ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}

[المائدة :٦٧] ، يعني :إن الله يعصم دينك ونبوتك وتبليغك من الناس ، لا جسمك ؛ فقد أصابه أذاهم عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى :{ لن يَضُرُّوكم إِلاَّ أَذى }

[آل عمران :١١١] ، هذا الأذى جسماني ، ككسرِ رباعيته ، لكن العصمة على ما أوحي إليه من النبوة.

فوظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام التبليغ لا الهداية ، لأن الهداية بيد الله وحده.

يقولون :كان الأولياء الكمَّل في الزمن القديم يهدون الناس إلى الاستقامة بأنظارهم وبأنفاسهم .نقول :نعم ، إذا وافقت أنفاسُهم هداية الله تعالى ، أما إذا لم توافق فهذا أبو جهل وأبو لهب وغيرهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به، فمَن أفضل من رسول الله عليه الصلاة والسلام

قلت لواحد :يا أخي !أنت تكذب ، اترك هذا الكذب ، قال لي جوابًا :عليكم أن تطهروني.

كثير من أهل الطرق يعتقدون ذلك ، وشيخهم يفخفخ وتكبر نفسه بحسن ظنهم ؛ فهم بحسن ظنهم بالأولياء يستكسبون الثواب ، وهو يأخذ الكبر والغرور ، كما قال الله تعالى :{ وَيُحِبُّونَ أَن يُحمَدُوا بِمَا لم يَفْعَلوا } [آل عمران :١٨٨].

اللهمَّ إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَكلاًّ نَقصُّ عَليكَ مِن أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَانثَبِّت بِهِ فؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوعِظة وَذِكرَى لِلمُؤْمِنِين) (١٢٠) [هود : ١٢٠]

قوله تعالى :{ وَكلاًّ نَقصُّ عَليكَ مِن أَنباءِ الرُّسُلِ مَا نثَبِّت بِهِ فؤَادَكَ } أي :وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين كل هذا مما نثبت به فؤادك أي قلبك يا محمد .[١]

{ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوعِظة وَذِكرَى لِلمُؤْمِنِينَ } إنه تعالى بين أنه جاء في هذه السورة أمور ثلاثة : الحق والموعظة والذكرى.

أما الحق : فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة.

وأما الذكرى : فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة.

وأما الموعظة : فهي إشارة إلى التنفير من الدنيا وتقبيح أحوالها في الدار الآخرة ، المذكرة لما هنالك من السعادة والشقاوة ، وذلك لأن الروح إنما جاء من ذلك العالم ، إلا أنه لاستغراقه في محبة الجسد في هذا العالم نسي أحوال ذلك العالم ، فالكلام الإلهي يذكره أحوال ذلك العالم ، فلهذا السبب صح إطلاق لفظ الذكر عليه.

---

١ –تفسير ابن كثير .

ثم ههنا دقيقة أخرى عجيبة : وهي أن المعارف الإلهية لا بد لها من قابل ومن موجب، وقابلها هو القلب ، والقلب ما لم يكن كامل الاستعداد لقبول تلك المعارف الإلهية والتجليات القدسية لم يحصل الانتفاع بسماع الدلائل ، فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر إصلاح القلب ، وهو تثبيت الفؤاد .ثم لما ذكر صلاح القابل ، أردفه بذكر الموجب ، وهو مجيء هذه السورة المشتملة على الحق والموعظة والذكرى ، وهذا الترتيب في غاية الشرف والجلالة .[1]

قال القاشاني رحمه الله في شرح التائية : للقلب وجه إلى الروح يسمى فؤادًا وهو محل الشهود ، كما قال سبحانه : { مَاكذبَ الْفؤَادُ مَا رَأَى } [النجم : ١١] ، ووجه إلى النفس (أي الذات) يسمى صدرًا وهو محل صور العلوم ، والقلب عرش الروح في عالم الغيب ، كما أن العرش قلب الكائنات في عالم الشهادة .[2]

أقول :قوله تعالى :{ وَ كلاًّ نَقصُّ عَليكَ مِن أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نثَبت بِهِ فؤَادَكَ } يعني لست أنت المرسَل الأول ، فقبلك مرسَلون تأذوا وتحملوا – على ما أوحي إليهم – ما نزل بهم من قومهم من الشدائد والأضرار ، أنت آخرهم .ولأنك إمام الأنبياء والمرسلين فإن ما نزل بك من قومك كان أكثر ، لأنك مرآة للأولين وقدوة للآخرين ، عليك صلاة وسلام رب العالمين.

ألف ألف صلاة وألف ألف سلام عليك يا رسول الله ، نطلب شفاعتك.

---

١ –تفسير الرازي .

٢ –تفسير روح البيان.

اللهمَّ افتح لنا أبواب المعرفة والرضا، وأخرجنا من الدنيا على الإيمان، وشفعه بنا بحرمته وبجاهه عندك وبمحبتك له يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان السابع والسبعون و الثامن و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ ءَامَنوا وَتطْمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تطمَئِنُّ الْقُلوبُ)(٢٨) [الرعد:٢٨]

{ الَّذِينَ ءَامَنوا وَتطْمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ } أنسًا به واعتمادًا عليه ورجاء منه ، أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته ، أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته ، أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم { أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تطمَئِنُّ الْقُلوبُ } تسكن إليه .[1]

قال ابن كثير :{ وَتطْمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ } أي تطيب وتركن إلى جانب الله وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيرًا ولهذا قال :{ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تطمَئِنُّ الْقُلوبُ }[2]

أقول :إذا صفا قلب المؤمن عن محبة الدنيا وحطامها يحصل فيه اليقين ، أي يقذف الله نورًا في قلوب عباده الذين يجاهدون أنفسهم ويطهرون بواطنهم من الخبائث امتثالا لأمره تعالى :{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنهدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا} [العنكبوت : ٦٩].

---

١ –تفسير البيضاوي .

٢ –تفسير ابن كثير .

فهذه الدنيا فانية لها انتهاء ، والذي له انتهاء لا يُعتمد عليه ، لأنه بانتهائه ينتج الفناء ، فإذا جاهد العبد نفسه وشيطانه يحصل في قلبه حقيقة البقاء ، حينذاك يكون اشتغاله بالباقي ، فيبقى مع الباقي ، وتدوم هذه الحقيقة وتنتقل معه إلى الآخرة ، فتثبت له السعادة ، وهي ضد الشقاوة التي تحصل من الاشتغال بالدنيا.

المشتغل بالدنيا كالذي يريد أن يأخذ الماء بالغربال ، فهل يُملأ الغربال بالماء ولو أخذ من البحر؟ لا .سلَّمنا الله وإياكم.

وهذا لا يستلزم أن نترك الدنيا بالكلِّيَّة ، لكن نشتغل بها بقدر الاحتياج ، ولا ننغمس فيها حتى يحصل في قلوبنا البخل والشح وعدم إنفاق الحق إلى صاحبه.
على العبد العاقل أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين ، فإن اليقين هو رأس مال الدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليقين الإيمان كله» [١] فلا بدَّ من تعلُّم علم اليقين ، ثم ينفتح للقلب طريقه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« تعلَّم اليقين» .[٢]

وإذا ثبت عند المؤمن أن الآخرة أبدية والدنيا فانية فإن إيمانه ويقينه لا يسمح له بترجيح الفاني على الباقي ، فيتقرب إلى الله تعالى ، ويقصر المسافة البعيدة بينه وبين ربه جلَّ وعلا ، بكثرة الذكر ؛ لأن القرب صفة ذاتية لله تعالى ، سواء كان العبد

---

١ –من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد حسن .

٢ –أخرجه أبو ُنعيم.

غافلا عن الله تعالى أو حاضرًا بقلبه معه ، فالله قريب من العبد على كل حال:

{ وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فإنّي قَرِيبٌ } [البقرة :١٨٦] ، والبعدُ صفة العبد ، وتقرُّبُ العبد إلى الله جلَّ وعلا يكون بقلبه ، لا بجسده وبدنه وجوارحه ، فإذا استولى نور القلب على الجوارح الظاهرية واللطائف الباطنية يرى العبد بقلبه أنه مع ربه جلَّ وعلا في كل الأحوال ، ولذا قال ربنا : { أفمَن يَعلَمُ أنَّمَا أُنْزِلَ إِليكَ مِن رَبكَ الْحَقُّ كمَن هُوَ أَعمَى إِنَّمَا يتذكَّرُ أُوْلو الأَلبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهدِ اللَّهِ وَلا يَنْقضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)وَالَّذِينَ يَصِلونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشونَ رَبَّهُم وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابتِغاءَ وَجهِ رَبهِم وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفقوا مِمَّا رَزَقْناهُم سِرا وَعَلانِيَةً وَيَدرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيئَةَ أُولَئِكَ لهُم عُقبَى الدَّارِ (٢٢)جَنَّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَهَا وَمَن صَلحَ مِن ءَابَائِهِم وَأَزوَاجِهِم وَذرِيَّاتِهِم وَالْمَلائِكَة يَدخُلونَ عَليهِم مِن كُلِّ بَابٍ(٢٣) سَلامٌ عَليكم بِمَا صَبَرْتم فنِعمَ عُقبَى الدَّارِ } [الرعد: ١٩-٢٤]، أولئك يحظون بهذا الحظ الأكبر في الدنيا ، لأن الدنيا التي نعيش فيها هي موضعُ الهداية وموضعُ تجارة الآخرة ، فالهداية توجد هنا لا في الآخرة ، ولذا مدح الله تعالى الذين يتصفون بهذه الصفات ، فما بالنا نترك حظنا من الكتاب والسنَّة والتقرب القلبي إلى ربنا جلَّ وعلا!

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع و السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبَّنا إنّي أَسكْنت مِن ذريّتي بِوَادٍ غيرِ ذِي زَرعٍ عِنْدَ بَيتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاة فاجعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تهوِي إِليهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ لعَلَّهُم يَشْكُرُونَ) (٣٧) [إبراهيم :٣٧]

يعنون بالفؤاد القلب .قوله تعالى :{تَهوِي إِليهِم } قال ابن عباس رضي الله عنهما: تحن إليهم .وقال قتادة : تنزع إليهم ، وقال الفراء : تريدهم ، كما تقول : رأيت فلانًا يهوي نحوك ، أي يريدك .وقرأ بعضهم :{ تهوِي إِليهِم } بمعنى : تهواهم ، كقوله: {رَدِف لكم } [النمل :٧٢] ، أي : ردفكم) .وإلى (توكيد للكلام .وقال ابن الأنباري: { تهوِي إِليهِم } تنحط إليهم وتنحدر .وفي معنى هذا الميل قولان : أحدهما : أنه الميل إلى الحج ، قاله الأكثرون .والثاني : أنه حب سكنى مكة ، رواه عطية عن ابن عباس. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لو كان إبراهيم قال : فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم ، لحجت اليهود والنصارى ، ولكنه قال : من الناس .[١]

أقول : من يريد السعادة الأبدية عليه أن يتمسك بالشريعة ، ويترك المعاصي ، ويحافظ على الصلاة ، لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أنه شيخ الأنبياء وخليل الله تضرع إلى الله جلّ وعلا وقال : { لِيُقِيمُوا الصَّلاة } ،

---

١ –تفسير زاد المسير .

{فاجعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تهوِي إِليهِم } أي : تحنُّ إليهم .علينا جميعًا – معاشر المؤمنين – أن نحافظ على صلواتنا ، لأن الصلوات الخمس رابطة بين المؤمن وربه، كما قال ربنا جلّ وعلا : { إنَّ الصَّلاة تْنهَى عَنِ ٱلَفحشاءِ وَٱلمُنكرِ} [العنكبوت :٤٥] وإذا انتهى العبد المؤمن عن الكبائر نرجو الله تعالى ببركة الصلوات الخمسة أن يعفو عنه الصغائر ، بل أحيانًا بفضله يبدل السيئات حسنات.

ربنا اغفر لنا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلاتحسَبَنَّ اللهَ غَافِلا عَمَّا يَعمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُم لِيَومٍ تشْخصُ فِيهِ الأَبصَارُ (٤٢) مُهطِعِينَ مُقنِعِي رُءُوسِهِم لا يرتَدُّ إِليهِم طرُفهُم وَأَ فئِدَتهُم هَوَاءٌ)(٤٣)
[إبراهيم : ٤٢-٤٣]

ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر فقال : { مُهطِعِينَ } أي مسرعين .{ مُقنِعِي رُءُوسِهِم } قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : رافعي رؤوسهم { لا يَرتَدُّ إِليهِم طرُفهُم } أي أبصارهم ظاهرة شاخصة مديمون النظر لا يطرفون لحظة، لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم ، عياذًا بالله العظيم من ذلك، ولهذا قال :{ وَأَفْئِدَتهُم هَوَاءٌ } أي وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء ، لكثرة الوجل والخوف ، ولهذا قال قتادة وجماعة : إن أمكنة أفئدتهم خالية ، لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف .وقال بعضهم : هي خراب لا تعي شيئًا مما أخبر به تعالى عنهم.[١]

---

١ –تفسير ابن كثير .

قال البيضاوي :{ وَأَفْئِدَتهُم هَوَاءٌ } خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ، ومنه يقال للأحمق وللجبان : قلبه هواء ، أي لا رأي فيه ولا قوة .وقيل : خالية عن الخير خاوية عن الحق .[١]

والمراد بيان أن قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والأفكار ، لعظم ما ينالهم من الحيرة ، ومن كل رجاء وأمل لما تحققوه من العقاب ، ومن كل سرور لكثرة ما فيه من الحزن .[٢]

أقول :هذه ثمرة عملهم الدنيوي ، تطلُع في الآخرة .فهذه الآية وإن نزلت في حق الكفار لكنها تحث المؤمن على أن يتفكر في هذه الدنيا الفانية ، ولا يغتر بها ويُشغل عن السعادة الأبدية ؛ لأنه كما أن الإنسان إذا اتبع نفسه وهواه وشيطانه يميل إلى المعاصي والمخالفات فإن عنده كذلك قابلية لأن يترك المعاصي بإذن الله ، ويتوجه إلى أوامر الله وينتهي عن نواهيه ، فتكون ثمرة ذلك في الآخرة : { وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج : ٣٤] ، المتواضعين المطيعين الذين لا يتبعون أهواء هم .طلاب المدارس إذا حان وقت الامتحان يأخذهم القلق ، ويفكرون هل ينجحون أو لا؟ هذا من شؤون الدنيا؛ وأما النجاح في الآخرة فإنه متعلق بفعل أوامر الله جلَّ وعلا ، وإتباع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في الدنيا ، وفي هذا الامتحان إذا خالف الإنسان عليه أن يستغفر ويتوب ويرجع إلى الله تعالى ، وهو جلَّ وعلا قال:

---

١ –تفسير البيضاوي .

٢ –تفسير الرازي.

{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَة عَن عِبَادِهِ وَيَعْفو عَنِ السَّيئَاتِ} [الشورى :٢٥] ، أما إذا أصرَّ على المعاصي بدون توبة وخرج من الدنيا على ذلك فإنه يعذَّب بعصيانه ولو كان مؤمنًا ، فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ليُصيبنَّ أقوامًا سفعٌ من النَّار بذنوب أصابوها».[1]

نرجو الله جلَّ وعلا أن يرزقنا التوبة والإنابة إليه والاستقامة، من فضله وكرمه.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه .

اللفظ الحادي و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(كَذلِكَ نَسْلكهُ فِي قُلوبِ الْمُجرِمِين (١٢)لا يُؤْمِنونَ بِهِ وَقد خَلتْ سُنَّة الأَوَّلِينَ (١٣)
[الحجر :١٢-١٣]

في التأويلات النجمية : { كَذلِكَ نَسْلكهُ } أي الكفرَ { فِي قُلوبِ الْمُجرِمِينَ * لا يُؤْمِنونَ بِهِ } بواسطة جُرمهم ، فإن بالجرم يسلك الكفر في القلوب كما يسلك الإيمان بالعمل الصالح في القلوب .نظيره { بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا بِكفْرِهِم فلا يُؤْمِنونَ إِلاَّ قلِيلاً} [النساء :١٥٥]. (١)

{فِي قُلوبِ الْمُجرِمِينَ } أي أهل مكة أو جنس المجرمين ، فيدخلون فيه دخولا أوليًا. ومعنى المثلية كونه مقرونًا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة ، وحاصله أنه تعالى يلقي القرآن في قلوب المجرمين مستهزأً به غير مقبول ، لأنهم من أهل الخذلان ، ليس لهم استحقاق لقبول الحق ، كما ألقى سبحانه كتب الرسل عليهم السلام في قلوب شيَعهم مستهزَأ بها غير مقبولة كذلك ، وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدمًا في الوجود ، وهو السلك الواقع في شِيَعِ الأولين .(٢)

١-تفسير روح البيان .

٢ -تفسير الألوسي .

قال البيضاوي رحمه الله : { كذلِكَ نَسْلكهُ } ندخِله ، والسلك : إدخال الشيء في الشيء ، كالخيطِ في المِخيط ، والرمحِ في المطعون ، والضميرُ للاستهزاء .وفيه دليل على أن الله يوجد الباطل في قلوبهم .[1]

أقول :لا يقال :مادام الله قد جعل الباطل في قلوبهم فلِمَ يعذبهم؟ لأن الله أمر عباده بالأخذ بالمعروف والانتهاء عن المنكر والتمسك بالشريعة ، فمَن خالف الشريعة والأمر الإلهي فإن هذا الكسب منه يستحق العقاب .ليس للعبد عِلمٌ هل هو في الأزَل سعيد أم شقي ، ولكن الله تعالى قال :{ إنَّا هَدَيناهُ السَّبيلَ إمَّا شاكِرًا وَإمَّا كُفورًا} [الإنسان :٣]، وقال جلَّ وعلا :{ إنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شيئًا وَلكِنَّ النَّاسَ أنْفسَهُم يَظْلِمُونَ} [يونس :٤٤] ، مع هذا فإن عقيدتنا أن الإيمان والكفر والخير والشر كله بخلقِ الله :{ وَاللَّهُ خَلَقكم وَمَا تَعملونَ } [الصافّات :٩٦].

فما قاله المفسر – رحمه الله – في الحقيقة حقٌّ، ولكن إظهاره يضر بعض الناس ، لأنه من الخفيات التي امتنع الأنبياء والصادقون عن ذكرها ، ولذلك مَنَعَ أهلُ العلم من إفشاء سر القدر ، لأن أكثر الخلق تَقصُرُ أفهامُهم عن إدراكه.

ولأن القدَر خفيٌّ علينا وعلى الناس جميعًا فلا بد لنا من التمسك بالتكاليف الشرعية، أما في الحقيقة فكل التصرفات بيد الله جلَّ وعلا : { وَاللَّهُ خَلَقكم وَمَا تعملونَ } ، والبعض يميل بهذا إلى الجبر ، لكن أهل السنَّة والجماعة بريئون من هذا الفكر.

اللهمَّ سلِّمنا وسلِّم ديننا وإيماننا ، بفضلك وكرمك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير البيضاوي.

اللفظ الثاني و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَنزَعَنا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلٍّ إِخْوَانًا عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ (٤٧) [الحجر :٤٧]

روى سعيد في تفسيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري.

وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار .فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا ، أذن لهم في دخول الجنة».[١]

نتزاع الغل إما أن يكون في الدنيا وذلك بتزكية النفس عن الأوصاف القبيحة ، وتخلية القلب عن سفساف الأخلاق ، وهو للكاملين ، وإما أن يكون في الآخرة ، وهو للناقصين .جعلنا الله وإياكم من المتصافين .[٢]

١- تفسير ابن كثير .

٢- تفسير روح البيان .

أقول : الأوامر والنواهي كلُّها متعلِّقة بالقلب لأن القلب محل المعرفة ، والعلماء جميعًا يشتغلون بهذه الحقيقة ، لكن علماء الظاهر يقولون : اترك المعاصي(الزنا ، شرب الخمر...) لأنها حرام ، ولا يقولون :أثر المعاصي ينزل إلى القلب ويكون منه الرَّين.

إذا حصل الصفاء بالقلب فإيمانه يقتضي أن يعمل العمل الصالح وأن يجتنب المعاصي وأن يحب الصالحين وأن ينظر إلى أن جميع المؤمنين على أنهم إخوة ، كل هذه التزكية والمشرب والمسلك متعلق بالقلب ، فإذا فرغ القلب عن هذه الخبائث والرذائل مُلئ مكانه بالمعاملة والمكاشفة ، والله ينظر إلى القلب وهو مملوء بهذه المنافع والفوائد ، فيعامله بما ثبت فيه .أما إذا كان القلب مؤمنًا لكنه فارغ من الفوائد معلق بالرذائل فالظاهر لا يستفيد ، وأمره مفوَّض إلى ربه.

إذا كان الرجل قلبه مملوء بالخبائث وعليه أفخر الثياب وصورته جيدة وجيبه مملوء بالفلوس هل ينفعه ذلك في الآخرة؟ لا ؛ لأن اللباس الجيد الفاخر يستر معايِبَنا عن رؤية الخلق ، أما معايب القلب فليس لها ستر ولا قشر يسترها عن نظر الله تعالى ، فعلينا أن نحاول تطهير قلوبنا لأنها موضع نظر معبودنا جلَّ وعلا.
وعلينا – جماعة المؤمنين – أن نتفكر فيما بعد الموت ، لأن هذه الآية الكريمة تتكلم وتبين ، والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بلَّغها إلينا ، فعلينا أن نترك الخبائث ونملأ قلوبنا بالمنافع.

نرجو الله أن يطهر قلوبنا وينور عقولنا ويوجهنا إليه بفضله وكرمه.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَقد نعلَمُ أَنَّكَ يَضِيق صَدرُك بِمَا يَقوُلونَ (٩٧) فَسَبح بِحَمدِ رَبكَ وَكن مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعبُد رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ(٩٩)[الحجر :٩٧-٩٩]

{وَلَقد نعلَمُ أَنَّكَ يَضِيق صَدرُك بِمَا يَقوُلونَ } أي : وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدر وانقباض ، فلا يَهيدَنَّكَ ذلك ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم ، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة ، ولهذا قال :{فَسَبح بِحَمدِ رَبكَ وَكن مِنَ السَّاجِدِينَ}.[١]

اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهون عليه ولاسيما أولئك المقتسمون وأولئك المستهزؤون قال له : { وَلَقد نعلَمُ أَنَّكَ يَضِيق صَدرُك بِمَا يَقوُلونَ } لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك ، فعند هذا قال له : { فَسَبح بِحَمدِ رَبكَ } ، فأمره بأربعة أشياء : بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة .واختلف الناس في أنه كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سببًا لزوال ضيق القلب والحزن؟ فقال العارفون المحققون : إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية ، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة ، وإذا صارت حقيرة خف على

---

١ -تفسير ابن كثير .

القلب فقدانها ووجدانها ، فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها ، وعند ذلك يزول الحزن والغم .[١]

وفي التأويلات النجمية :{ وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدرُكَ } من ضيق البشرية وغاية الشفقة وكمال الغيرة{ بِمَا يَقُولُونَ } من أقوال الأخيار ويعملون عمل الأشرار{ فَسَبح بِحَمدِ رَبكَ } أنك لست منهم { وَكن مِنَ السَّاجِدِينَ } لله سجدة الشكر { وَاعبُد رَبَّكَ } بالإخلاص { حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } أي إلى الأبد ، وذلك أن حقيقة اليقين المعرفة ، ولا نهاية لمقامات المعرفة .فكما أن الواصل إلى مقام من مقامات المعرفة يأتيه يقين بذلك المقام في المعرفة ، كذلك يأتيه شك بمعرفة مقام آخر في المعرفة ، فيحتاج إلى يقين آخر في إزالة هذا الشك إلى ما لا يتناهى ، فثبت أن اليقين ههنا إشارة إلى الأبد (انتهى كلامه).

أقول :حُزن الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام كان لحرصه على دخول عباد الله في دين الله ، فكان يحزن على عدم إجابتهم له وعدم دخولهم في دين الله ، وهذا الحزن لايذهب بالعبادات الظاهرة ، بل بانكشاف الحقيقة التي عبَّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى :{ وَهَدَيْنَاهُ النَّجدَينِ } [البلد : ١٠] ، أي أن الهداية بيد الله.

فإذا تفكَّر بذلك عليه الصلاة والسلام يذهب عنه الهم والحزن والغم على عدم دخولهم في دين الله ، ولا تحصل هذه الحقيقة إ ّلا لمقام النبوة .أما أمثالنا فإذا حصل

١– تفسير الرازي.

لنا الغم والحزن على شيء ما علينا أن نقتدي برسولنا عليه الصلاة والسلام ، الذي قال له ربه تسلية { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس :٩٩] ، معناه: حزنه عليه الصلاة والسلام على عدم دخولهم في الدين من لوازم الرسالة ، لكنه إذا تفكر في أفعال الخالق جلَّ وعلا يذهب عنه الحزن بالكليَّة .لا بالصلاة والصوم بل بما سلاه به ربُّه عزَّ وجل ، كما قال في آية أخرى :{ لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم }
[البقرة :٢٧٢] ، ففي ضمن هذه الآية دلالة على هذا المعنى .فإذا دخلوا الإسلام هذا من فضل الله ، وإذا لم يدخلوه وبقوا على الكفر فهذا من عدل الله وبما كسبت أيديهم.

فعلينا أن نتمسك برسولنا عليه الصلاة والسلام ، فإذا حصل لنا الحزن بالطبيعة البشرية لمرض أو مصيبة ، علينا أن نفوض الأمر كله إلى الله تعالى لأنه أرحم بنا منَّا.

نرجو الله تعالى أن يثبتنا على اعتقاد أهل السنَّة والجماعة ، حتى نلتقي بالمؤمنين الصادقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عالم البرزخ ، ولا تحصل لنا الندامة.

ونرجوه جلَّ وعلا بفضله وكرمه أن يقدم ديننا أمامنا ، وأن لا يخرجنا في أمور دنيانا عن الحدود الشرعية إنه خير مسؤول.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِلَهُكم إِلَهٌ وَاحِدٌ فالَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ قُلوبُهُم مُنكِرَة وَهُم مُستكبِرُونَ (٢٢) لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُستكبِرينَ (٢٣)[النحل:٢٢ –٢٣]

يقول تعالى ذِكره : معبودُكم الذي يستحق عليكم العبادة وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء معبود واحد ، لأنه لا تصلح العبادة إلا له ، فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة ولا تجعلوا معه شريكًا سواه .{ فالَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ قُلوبُهُم مُنْكِرَةَ }.

يقول تعالى جلَّ جلاله : مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته وجميل نعمته عليهم ، وأن العبادة لا تصلح إلا له ، والألوهية ليست لشيء غيره ، يقول:

{وَهُم مُستَكبِرُونَ } عن إفراد الله بالألوهية ، والإقرار له بالوحدانية ، إتباعًا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم .[1]

قوله تعالى :{ فالَّذِينَ لا يُؤمِنونَ بِالآخِرَةِ } وأحوالها من البعث والجزاء وغير ذلك.

والإيمانُ في اللغة : التصديق بالقلب ، وفي الشريعة : هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان .قال السهيلي في كتاب الأمالي : الفرق بين التصديق والإيمان : أن التصديق لابد أن يكون في مقابلة خبر ، والإيمان قد يكون في مقابلة خبر صادق وقد يكون عن

---

١ –تفسير الطبري .

فكر ونظر ، فإذا نظرت في الصنعة وعرفت بها الصانع آمنت ولم تكن مصدقًا بخبر، إذ لا خبر هناك ، فإذا جاء الخبر بما آمنت به وأقررت صدقت الخبر .وأيضًا إن التصديق قد يكون بالقلب وأنت ساكت ، تقول : سمعت الحديث فصدقته .والإيمان لا بد من اجتماع اللفظ مع العقد فيه لغة وشرعًا (انتهى) { **قُلوبُهُم مُنْكِرَة** } للوحدانية متصفة بالنكارة لا بالمعرفة ، { **وَهُم مُستَكبِرُونَ** } أي وهم قوم لا يزال الاستكبارُ عن اعتراف الوحدانية والتعظيمُ عن قبول الحق دأبَهم ، كما أن الإنكار سجيتهم .{**لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ** } من إنكار قلوبهم { **وَمَا يُعلِنونَ** } من استكبارهم .{**لَا جَرَمَ** } للتحقيق والتأكيد، بمنزلة حقًا.

وفي العوارف : الكِبْرُ : ظن الإنسان أنه أكبر من غيره .والتكبر : إظهاره ذلك .وفي الحديث: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبْر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»[١] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال الله تعالى :يا بني آدم خلقتكم من التراب ومصيركم إلى التراب فلا تتكبروا على عبادي في حسب ولا مال فتكونوا علي أهون من الذر، وإنما تجزون يوم القيامة بأعمالكم لا بأحسابكم، وإن المتكبرين في الدنيا أجعلهم يوم القيامة مثل الذر يطؤهم الناس كما كانت البهائم تطؤه في الدنيا».[٢]

---

١ –أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأبو داود والترمذي .

٢ –تفسير روح البيان.

أقول : التكبُّر عامٌّ ، يكون للكافر ويكون للمؤمن ، والمؤمن لا يدخل بالتكبر في الكفر ، بل يأخذ بصفة من أوصاف الكفر ، لأن المؤمن ليس كل فعله فعل المؤمن ، ولو أنه صدر من المؤمن .والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تذم التكبر على الناس، مع أن المتكبرين قد يكونون من أهل الإيمان ويصلون ويحجون ، فعلينا – جماعة المؤمنين – أن نغير الأوصاف الذميمة العارضة على القلب.

ومن تكبر على الناس ورأى أنه أفضل من غيره فإن صاحب الإيمان من العوام لا يقبل منه الوعظ والنصيحة ، ويَنفر من وعظه ونصيحته ، ويقول في نفسه : هذا الوعظ والنصيحة جيد لكن صاحبه متكبر ، يعرف ذلك بإيمانه.

وإذا تكلَّم واحد بكلمة موافقة فحصل في نفسه الفرح بها فهذا يدل على شائبة من الكبر .نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عنه.

علينا أن نعرف ضعفنا وعجزنا، ونتضرع إلى الله تعالى حتى لا يعاقبنا بهذه الأوصاف الذميمة العارضة على القلب ، ونرجوه تعالى أن يعفو عنا.

ربَّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكم مِن بُطونِ أُمَّهَاتِكم لا تَعلَمُونَ شيئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لعَلّكم تَشْكُرُونَ)(٧٨) [النحل :٧٨]

{ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ }أداة تتعلمون بها ، فتحسون بمشاعر جزئيات الأشياء فتدركونها ، ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس ، حتى تتحصل لكم العلوم البديهية ، وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها.{ لعَلّكم تشْكُرُونَ } كي تعرفوا ما أنعم عليكم طورًا بعد طور فتشكروه .[١]

أقول : القلب حاكم في بدن الإنسان الظاهر – من الجوارح : مثل السمع والبصر واللسان – وكذلك الباطن – من الشهوة والغضب والأنوار والعلوم الباطنية – ، فإذا كان القلب منوَّرًا بنور معرفة الله جلّ وعلا ينوَّر الدماغ ، فيكون حفظه وخياله وتفكره كله موافقًا ، وينوَّر كذلك العقل ؛ وإذا تلوث القلب يكون أسيرًا تحت أمر النفس الأمارة والشيطان ، فيغلب عليه الغضب والشهوات وحب الدنيا وما يشابهها ، حينذاك يكون صاحبه مؤمنًا لكنه غافل عن محل نظر المعبود ، لا يتفكر فيه وفي عتابه وفي عذابه.

---

١ –تفسير البيضاوي .

إذا أراد القلب أن لا تفتح العين للنظر إلى الأجنبيات ، وتفكَّرَ بأن خالقه يراه ، هل يمكن للعين أن تفتح وَتنظر؟ وهل يمكن كذلك للسان أن يتكلم ، وللرجل أن تمشي بدون إرادة القلب؟ كل هذا متعلق بالقلب ، فلا بد أن يحافظ المؤمن على قلبه باتجاه الله جلَّ وعلا ، لأنه ليس هناك ساتر للقلب عن الله تعالى ، فهو مطَّلع عليه.

فيا أيها المؤمن ، يامَن تعلم أن الله خلقك من العدم ، وأوجدك إلى الوجود ، وجاء بك إلى جماعة المؤمنين ، وجعلك من أمة سيّد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام، ورزقك أن تقول : لا اله إلا الله محمَّد رسول الله ، وأعطى الشفقة لوالديك حتى يُربيانك ، ولم يؤاخذك على فعل المعاصي ولا على ترك الفضائل حتى بلغت الخامسة عشرة ، وبعدُ كلفك بالشريعة المحمَّدية على وفق الكتاب والسنة ؛ أَمامَ هذه النعم الجسيمة استحيِ من الله ، ولا تتكبَّر ، ولا تكفر النعم التي أنعم الله تعالى بها عليك ، واشكره عليها ، وطهر قلبك لخالقك.

اللهمَّ أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ولا تجعلنا عنك من الغافلين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان السادس والثمانون و السابع و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(مَن كَفرَ بِاللَّهِ مِن بَعدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ وَلكِن مَن شَرَحَ بِألْكفرِ صَدرًا فعَليهِم غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١٠٦) [النحل : ١٠٦]

أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر ، وشرَحَ صدره بالكفر واطمأن به ، أنه قد غضب عليه ، لعِلمِهم بالإيمان ثم عُدولِهم عنه ، وأن لهم عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة .وأما قوله : { إلاَّ مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ } فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرَهًا ، لِما ناله من ضرب وأذى ، وقلبُه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله .وقد روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه ، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فوافقهم على ذلك مكرَهًا ، وجاء معتذرًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله هذه الآية .[١]

فقوله تعالى : { وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ } أي:لم تتغير عقيدته .وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، { وَلكِن مَن شَرَحَ بِألْكفرِ صَدرًا } اعتقده وطاب به نفسًا { فعَليهِم غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ } إذ لا أعظم من جرمه .رُوي أن قريشًا أكرهوا عمارًا وأبويه ياسرًا وسمية على الارتداد ، فربطوا سمية رضي الله عنها بين

---

١ –تفسير ابن كثير .

بعيرين وجيء بحربة في ُقبُلها ، وقالوا : إنك أسلمت من أجل الرجال ، فُقتِلت ، وَقتلوا ياسرًا رضي الله عنه ، وهما أول قتيلين في الإسلام ، وأعطاهم عمار رضي الله عنه بلسانه ما أرادوا مكرَهًا ، فقيل : يا رسول الله إن عمارًا كفر، فقال صلى الله عليه وسلم : « كلا ، إن عمارًا مُلئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه »[١]

أقول :ويُعرف من هذه الآية الكريمة – إضافة إلى ما قاله المفسرون رحمهم الله– أن الإيمان والكفر والصلاح والشقاوة كلها من أوصاف القلب ، ولا سلطان للإكراه عليه.

والمؤمن في هذا العصر لا يُجبَر على الكفر كما أنه لا يُجبَر على الإيمان ، لكنه باختياره إما أن يميل إلى الأعمال الصالحة ، وينور قلبه بذكر ربه وتلاوة القرآن وطاعة الله تعالى وإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيكون عاملا بمقتضى إيمانه، وإما أن يتبع هواه وشيطانه ويكون غافلا عن الله جلَّ وعلا ، فيكون عاصيًا ؛ فإذا حصل العصيان علينا أن نتوب ونستغفر ونرجع إلى الله جلَّ وعلا ، والله برحمته يعفو عنا ، لأنه تعالى قال :{ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَة عَن عِبَادِهِ وَيَعْفو عَنِ السَّيئَاتِ } [الشورى :٢٥] ، وقال أيضًا :{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتطهرِينَ} [البقرة: ٢٢٢] ، من الأوساخ والأوصاف الذميمة.

نرجو الله تعالى أن يوفِّقنا إلى ما يوافق رضاه.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير البيضاوي.

اللفظ الثامن و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(أُوَلئِكَ الَّذِينَ طبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم وَسَمعِهِم وَأَبصَارِهِم وَأُوَلئِك هُمُ الْغافِلون) (١٠٨) [النحل :١٠٨]

قوله تعالى :{ أُوَلئِكَ الَّذِينَ طبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم وَسَمعِهِم وَأَبصَارِهِم } أي :فطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئًا ينفعهم ، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئًا ، فهم غافلون عما يراد بهم .[١]

قال في التأويلات النجمية :يعني :أهلُ الغفلة في الدنيا هم أهل الخسارة في الآخرة. وفيه إشارة أخرى :وهي أن التغافل بالأعضاء عن العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية.

قال بعض الأكابر :ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها ، فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها. قال وهب بن منبه :خلق ابن آدم ذا غفلة، ولولا ذلك ما هنئ عيشه .[٢]

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –تفسير روح البيان.

قال القاضي :الطبع ليس يمنع من الإيمان، ويدل عليه وجوه :**الأول** :أنه تعالى ذكر ذلك في معرض الذم لهم ، ولو كانوا عاجزين عن الإيمان به لما استحقوا الذم بتركه. و**الثاني** :أنه تعال أشرك بين السمع والبصر وبين القلب في هذا الطبع ومعلوم من حال السمع والبصر أن من فقدهما قد يصح أن يكون مؤمنًا فضلا عن طبع يلحقهما في القلب .**والثالث** :وصفهم بالغفلة ، ومن منع من الشيء لا يوصف بأنه غافل عنه ، فثبت أن المراد بهذا الطبع السمة والعلامة التي يخلقها في القلب .(١)

أقول :العبد هو الذي يستعمل الأوصاف التي تستلزم الطبع على القلب ولا يستعمل الأسباب التي تنور القلب ، فكما أن القلب قابل للطبع على الكفر كذلك هو قابل للفتح على مقتضى الإيمان ، هذا بأسبابه وهذا بأسبابه ، لا يوجد فعل بدون داعٍ ، إما هذا وإما ذاك .والأسباب مبيّنة في كتاب الله تعالى ، كقوله جلَّ جلاله :{ وَلكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنهُ فِي قُلوبِكم } [الحجرات :٧]، بعد تمسككم بمقتضى الإيمان ، {وَكرَّهَ إِلَيكُمُ ألكفرَ وَالْفسُوقَ وَالْعِصيَانَ } ، وهو لا يرضى لعباده الكفر والفسوق والعصيان ، وكلُّ ذلك من كسبنا ، ولذا نؤاخذ عليه ، فعلينا أن نستغفر الله ونتوب إليه بعد الوقوع في المعصية ؛ وما دام الله يقبل الإيمان بعد الكفر فقبوله للتوبة بعد العصيان من باب أولى.

اللهمَّ تب علينا وعلى جميع المسلمين ، واغفر ذنوبنا برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- تفسير الرازي.

اللفظ التاسع و الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلا تَقْفُ مَاليسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمعَ وَالْبَصَرَ وَالْفؤَادَ كلُّ أُوَلئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسئُولا) (٣٦) [الإسراء : ٣٦]

قوله تعالى :{ وَلا تَقْفُ مَا ليسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ } قال علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول :لا تقل .وقال العوفي عنه :لا ترمِ أحدًا بما ليس لك به علم. وقال محمد بن الحنفية :يعني شهادة الزور .وقال قتادة :لا تقل رأيت ولم ترَ، سمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله .ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى :{ اجْتَنِبُوا كثِيرًا مِنَ الظَّنِ إنَّ بَعضَ الظَّنِ إثْمٌ } [الحجرات : ١٢] ، وفي الحديث « : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[١].[٢]

{ إنَّ السَّمعَ وَالْبَصرَ وَالْفؤَادَ كلُّ أُوَلئِكَ } أي كل واحد من هذه الجوارح ، فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها ، { كَانَ عَنْهُ} عن نفسه وعما فعل به صاحبه { مَسئُولا} .قال في بحر العلوم :اعلم أن المراد النهيُ عن إتباع كل ما فيه جهل مما يتعلق بالسمع والبصر والقلب ، كأنه تعالى قال:

١-متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه .
٢- تفسير ابن كثير.

لا تسمع كل ما لا يجوز سماعه ، ولا تبصر كل ما لا يجوز إبصاره ، ولا تعزم على كل ما لا يجوز لك العزم عليه ، لأن كل واحد منها يسأله الله تعالى ويجازيه.

ولم يذكر اللسان مع أنه من أعظمها لأن السمع يدل عليه ، لأنه ما يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ، وتلك الحصائد من قِبل المسموعات اللازمة للسمع .وفي الآية دلالة على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية ، كما قال تعالى :{ وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم } [البقرة :٢٢٥] ، أي بما كسبت مما يدخل تحت الاختيار من خبائث أعمال القلب ، من حب الدنيا ومن الرياء والعجب والحسد والكبر والنفاق مثلا ، وأما ما لا يدخل تحت الاختيار فلا يؤاخذ به ، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « عُفي عن أمتي ما حدثت بها نفوسها »[١]. قال في الأشباه والنظائر :حديث النفس لا يؤاخذ به ما لم يتكلَّم أو يعمل به ، كما في حديث مسلم .وحاصل ما قالوه أن الذي يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب :**الهاجس** :وهو ما يلقى فيها ، ثم جريانه فيها وهو الخاطر ، ثم حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا ، ثم الهم وهو ترجيح قصد العمل ، ثم العزم وهو قوة ذلك القصد والجزم به .فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعًا ، لأنه ليس من فعله ، وإنما هو شيء أُورد عليه لا قدرة له على رده ولا صنعه ، والخاطر الذي بعده كان قادرًا على دفعه بصرف الهاجس أول وروده ، ولكن هو وما بعده من

١- أخرجه البخاري ومسلم.

حديث النفس مرفوعان بالحديث الصحيح ، وإذا ارتفع حديث النفس ارتفع ما قبله بالأَولى .وقال بعض الكبار :جميع الخواطر معفوة إلا بمكة المكرمة .[1]

أقول :جزى الله المفسرين خيرًا بما فسَّروا ، نرجو الله جلَّ وعلا أن لا يؤاخذنا بشيء من ذلك ، سواء الخطرات والوساوس والعزم والهم وغير ذلك من الأوصاف التي تعرض بواسطة الشيطان والنفس على قلوبنا ، لأن هذا من ضعفنا وعجزنا ، ونتضرع إلى الله جلَّ وعلا أن يسترنا ، وأن يُخمر الإيمان بلحومنا ودمائنا وسويداء قلوبنا ، ويجعلنا من المتطهرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ (تفسير روح البيان.

اللفظ التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَجَعَلَنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهوهُ وَفي ءاذانِهِم وَقرًا وَإِذا ذكرت رَبَّكَ فِي ٱلْقرءَانِ وَحدَهُ وَلَّوا عَلى أَدبارِهِم نُفورًا)(٤٦)[الإسراء : ٤٦]

قوله تعالى :{ وَجَعَلَنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً } وهي جمع كنان :الذي يغشى القلب ، { أَن يَفقَهوهُ } أي لئلا يفهموا القرآن ، { وَفِي ءَاذَانِهِم وقرًا } وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعًا ينفعهم ويهتدون به .[١]

وذلك التجافي والنبو إنما هو من تراكم الحجب المعنوية على القلب ، والفطرُة الأصلية وإن كانت مقتضية للفقه – يعني فقه القلب – والإدراك والخروج إلى نور العلم لكن ظلمة تلك الحجب مانعة عن ذلك ، فالكلام وإن كان واردًا في صورة التمثيل لكنه على حقيقته في نفس الأمر ، { وَفِي ءاذَانِهِم وَقرًا } صممًا وثقلا مانعًا عن سماعه اللائق به، وهو تمثيل لمج أسماعهم للحقِّ ونبوها عن الإصغاء إليه ، كأن بها صممًا يمنع عن سماعه .ولما كان القرآن معجزًا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى حق فهمه وإدراك اللفظ حق إدراكه .[٢]

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –تفسير روح البيان.

أقول :النفس الأمارة والشيطان عدو الله – عليه اللعنة – مصيبتان خلقهما الله جلَّ وعلا لوصول العبد إلى رضا الخالق سبحانه وتعالى ، وذلك بامتحانه بهما ، وإلا فإن الله جلَّ وعلا قادر على إبعاد هذا اللعين وإسكات النفس الأمارة وتغليب القلب عليها ، وجعلِ الإنسان بشرًا ظاهرًا وملَكًا باطنًا ، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت الامتحان ، حتى يَظهر للعبد خطؤه وصوابه ، فيُسأل عنهما يوم القيامة .هذه حكمة إلهية مكتوبة ومقرَّرة على العبد :{ وَكلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنقِهِ وَنخْرِجُ لَهُ يَومَ الْقِيَامَةِ كِتابًا يَلَقَاهُ مَنشورًا (١٣) اقرَأْ كِتَابَكَ كَفى بِنفْسِكَ الْيَومَ عَليكَ حَسِيبًا } [الإسراء :١٣-١٤]،

فهذا حُكْمٌ أزليٌّ مقرَّرٌ عنده تعالى ، ونحن مكلَّفون بالتمسك بالكتاب والسنة.

يقيُننا أننا سنقرأ كتبنا هناك ونحن واقفون بين يدي الله جلَّ وعلا ، وهو يسألنا ويقول لكلِّ واحد منَّا :{ ا قرَأْ كِتَابَكَ} ، فهل يحب المؤمن أن يقرأ سيئَ أعماله أم يحب أن يقرأ ما عمل بتوفيق الله من الأعمال الصالحة في ذلك المحشر العظيم على مشهد الناس أجمعين وعلى رأسهم سيد المرسلين وبين يدي رب العالمين الأحسن أن تقرأ حسناتك بدلا من قبائحك ، هذا هو الامتحان.

نرجو الله جلَّ جلاله أن يرزقنا التوبة والإنابة ، والتمسك بالكتاب والسنة ، إلى أن نخرج من الدنيا.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

**(وقالوا أءِذا كنا عظامًا ورفاتًا أءِنا لمبعوثون خلقًا جديدًا (٤٩) قل كونوا حجارة أو حديدًا (٥٠) أَو خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكم فسَيَقُولونَ مَن يُعِيدُنا قلِ الَّذِي فطرَكم أَوَّلَ مَرَّةٍ فسَيُنْغِضُونَ إليكَ رُءُوسَهُم وَيَقُولونَ مَتى هُوَ قلْ عَسَى أَن يَكونَ قرِيبًا (٥١)
[الإسراء :٤٩-٥١]**

أي : وقال السفهاء المنكرون للبعث والجزاء :هل إذا أصبحنا عظامًا بالية وذرات متفتتة مختلطة بتراب الأرض ، هل سُنخلق خلقًا جديدًا بعد أن نفنى ونبلى؟ قل لهم يا محمد :لو كنتم من حجارة صماء أو حديد صلد أو من مادة أقسى من الحديد لأعادكم الله إلى الحياة مرة أخرى .[١]

قوله تعالى :{ **أَو خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكم** } يعظم عندكم من قبول الحياة ، لكونه أبعد شيء منها ، فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة ، أي فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم ، لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض ، فكيف إذا كنتم عظامًا مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل ، والشيء أقبلُ لما عُهد فيه مما لم يُعهد ، والأمر وارد على التمثيل يعني في المثل، كما في تفسير الكاشفي .وقال في

١- التفسير الواضح الميسر.

الكواشي :هو أمر تعجيز وتوبيخ لا أمر إلزام .وقال في بحر العلوم :ليس الأمر ههنا على حقيقته بل على المجاز ، لأن المقصود إهانتهم وقلة المبالاة بهم ، لا طلب كونهم حجارة أو حديدًا ، لعدم قدرتهم على ذلك ؛ وما يكبر في صدورهم السموات والجبال ، والجمهور على أنه الموت ، إذ ليس في النفس شيء أكبر من الموت .أي لو كنتم الموت بعينه لأميتكم ولأبعثكم.

فلا بد من الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة والاجتناب عن المعاصي ، فإنه عما قريب يصير العلم عينًا .واعلم أنك إذا مت فقد قامت قيامتك ، لأن الإنسان إذا مات فقد عاين أمر القيامة ، لأنه يرى الجنة والنار والملائكة ، ولا يقدر على عمل من الأعمال ، فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة فختم على عمله بالموت ، فيقوم يوم القيامة على ما مات عليه ، فطوبى لمن كان خاتمته بخير.

قال في التأويلات النجمية :فيه إشارة إلى أن اختصاص بعض العباد بتشريف الإضافة إلى نفسه يؤدي إلى تأثير نظر العناية فيهم ، فيخرج منهم القول الأحسن والفعل الأحسن وال ُ ٍ خُلق الأحسن .أما القول الأحسن فهو الدعاء إلى الله بلا إله إلا الله مخلصًا ، وأما الفعل الأحسن فهو ما كان على قانون الشريعة وآداب الطريقة متوجهًا إلى عالم الحقيقة ، وأما الخُلق الأحسن فهو مع الله بأن يُسْلم وجهه لله محسنًا في طلبه، ومع الخلق بأن يحسن إليهم بلا طمع في الإحسان والشكر منهم ، ويتجاوز

عن إساءتهم إليه، ويعيش فيهم بالنصيحة ، يأمرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة .[١]

اعلم أنه تعالى لما تكلم أولا في الإلهيات ثم أتبعه بذكر شبهاتهم في النبوات ، ذكر في هذه الآية شبهات القوم في إنكار المعاد والبعث والقيامة ، وقد ذكرنا كثيرًا أن مدار القرآن على المسائل الأربعة وهي :الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، وأيضًا أن القوم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه مسحورًا فاسد العقل ، فذكروا من جملة ما يدل على فساد عقله أنه يدعي أن الإنسان بعدما يصير عظامًا ورفاتًا فإنه يعود حيًا عاقلا كما كان ، فذكروا هذا الكلام رواية عنه لتقرير كونه مختل العقل.

أما تقرير شبهة القوم :فهي أن الإنسان إذا مات جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت في حوالي العالم ، فاختلط بتلك الأجزاء سائر أجزاء العالم .أما الأجزاء المائية في البدن فتختلط بمياه العالم ، وأما الأجزاء الترابية فتختلط بتراب العالم ، وأما الأجزاء الهوائية فتختلط بهواء العالم ، وأما الأجزاء النارية فتختلط بنار العالم .وإذا صار الأمر كذلك فكيف يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى؟ وكيف يعقل عود الحياة إليها بأعيانها مرة أخرى؟ فهذا هو تقرير الشبهة.

والجواب عنها :أن هذا الإشكال لا يتم إلا بالقدح في كمال علم الله وفي كمال قدرته .أما إذا سلَّمنا كوَنه تعالى عالمًا بجميع الجزيئات فحينئذ هذه الأجزاء وإن

١- تفسير روح البيان.

اختلطت بأجزاء العالم إلا أنها متمايزة في علم الله تعالى ، ولما سلَّمنا كوَنه تعالى قادرًا على كل الممكنات كان قادرًا على إعادة التأليف والتركيب والحياة والعقل إلى تلك الأجزاء بأعيانها ، فثبت أنَّا متى سلمنا كمال علم الله وكمال قدرته زالت هذه الشبهة بالكلِّية .[١]

أقول :الذي جَمع في وجود الإنسان الماء والهواء والنار والتراب بدون مثال كيف يُعَقل عدم إمكانية إعادته هذه الأجسام ثانية؟ هذه الشكوك عند الكافرين – كما قال المفسرون رحمهم الله – ليست إلا من تعلق قلوبهم وأفئدتهم بلذائذ الدنيا ، فتراكمت على قلوبهم اللذائذ الدنيوية التي أنعم الله عليهم بها في مدة معينة ، ثم هم يتركونها ، وتكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة.

سلَّمَنا الله تعالى والمسلمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير الرازي.

اللفظ الثاني و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَرَبَطْنَا عَلَى قُلوبِهِم إِ ذ قامُوا فَقَالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لن ندعُوَ مِن دُونِهِ إِلهًا لَقَد قُلْنَا إِذًا شططا) (١٤) [الكهف : ١٤]

{ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلوبِهِم } قويناها بالصبر ، فلم تزحزحها عواصف فراق الأوطان وترك الأهل والنعيم والإخوان ، ولم يزعجها الخوف من مَلِكهم الجبار ، ولم يُرْعِها كثرة الكفار . وأصل الربطِ الشد المعروف ، واستعماله فيما ذُكر مَجاز ، كما قال غير واحد .وفي الأساس :ربطت الدابة شددتها برباط ، والمربط الحبل .ومن المجاز :ربَط الله تعالى على قلبه :صبره .[١]

وفي التأويلات النجمية { وَرَبَطْنَا عَلَى قُلوبِهِم إِ ذ قامُوا فَقَالُوا } يعني لئلا يلتفتوا إلى الدنيا وزخارفها ، وينقطعوا إلى الله بالكلّية ، ولذلك ما اختاروا بعد البعث الحياَة في الدنيا ، ورغبوا في أن يرجعوا إلى جوار الحق تعالى .[٢]

أقول :كما أن أصحاب الكهف رضي الله تعالى عنهم بعد ثلاثمائة سنة أو أكثر قاموا في هذه الحياة فرغبوا عن زخارف الدنيا وما فيها ، فلا بد للمؤمن – بحسب مقتضى إيمانه – أن يخلي قلبه من التعلق إلا بالله واليوم الآخر .وقد جعل لنا ربنا

---

١ –تفسير الألوسي .

٢ –تفسير روح البيان.

لذلك واسطة هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهدَّد وزجر من خالفه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بلَّغ وبالغ في التبليغ حتى وصل ذلك إلينا ، والمئات بل الآلاف من علمائنا وأوليائنا وَقبَلهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم يوجهوننا إلى الآخرة ، لكن أيّ آخرة؟ كل واحد يقول آخرة ، حقيقة الآخرة البقاء مع رب العالمين ، ومع من تحب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، والنظر إلى وجه الله الكريم.

المهم أن تثبت في قلوبنا ثمرة الآخرة ، وهي رضا الله والاجتماع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تفكَّر أيها الأخ المؤمن القارئ الكريم ، لو عشت في هذه الدنيا مائة سنة ، النتيجة الوفاة ، ثم انتقالٌ إلى الآخرة .وهل إذا كان قبرك روضة من رياض الجنة أحسن ، أم حفرة من حفر النار؟

لا تغترَّ برحمة الله ، ولا بما أنعم الله على عباده ، لأن الله أنعم في الدنيا على من يحب وعلى من لا يحب وعلى من ينكره كذلك ، علينا أن نتفكر في هذه الأمور ، فلا نترك التمسك بالأوامر ونقع في المخالفات .فالمؤمن يفعل الأوامر بقدر الإمكان، ويعتمد على خالقه بالتوفيق والقبول ، والفاسق لا يعمل بالأوامر ولا يترك المناهي ويقول " :الله غفور رحيم."

علينا أن نتفكر أن هذا الخالق العظيم الغني عن العالمين تكلم وأوحى إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم / ١٩٠ / موضعًا في القرآن المبين متعلقًا بالقلب ، معنى ذلك أن القلب مهمٌّ عنده تعالى ، ولذا يوجهنا إلى تطهيره ، وذلك بما جاء من عند الله تعالى ومن عند رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ فالذي يخالف ما وجَّه إليه رب القلب فيما يتعلق بالقلب إما كافر وإما منافق وإما مؤمن فاسق أو غافل.

فعلينا أن نتمسك بشرع الله وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأن لا نترك ذكر الله – فلا يترك الذكر إلا من اختل قلبه وعقله – ، وأن نُخلص في العبادة ، حينئذ نكون في الجنة قبل الموت.

اعملوا بذلك ولا تقولوا :فلان قال هكذا وفلان قال هكذا ، لأن النتيجة في الثمرة. فكيف نرغب بالدنيا ونترك ثمرة الآخرة؟ هذا لا يليق بنا جميعًا.

نلتجئ إليك يا ربَّ العالمين بفضلك وكرمك أن تخلصنا من سيطرة النفس الأمَّارة ، حتى نترك نواهيك ونتمسك بأوامرك، وأن ترضى عنَّا يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاصبِر نفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغدَاةِ وَٱلْعَشِي يُرِيدُونَ وَجهَهُ وَلا تَعدُ عَينَاك عَنهُم ترِيدُ زِينَة ٱلْحَيَاةِ الدُّ نيَا وَلا تطِع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمرُهُ فُرُطا) (٢٨) [الكهف :٢٨]

قوله :{ وَلا تطِع مَن أَغفَلَنا قَلبَهُ عَن ذِ كرِنا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } يدل على أن شر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خاليًا عن ذكر الحق ، ويكون مملوءًا من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق .وتحقيق القول أن ذكر الله نور وذكرَ غيره ظلمة ، فالقلب إذا أشرق فيه ذكر الله فقد حصل فيه النور والضوء والإشراق ، وإذا توجه القلب إلى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات ، فلهذا السبب إذا أعرض القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة ، فالإعراض عن الحق هو المراد بقوله : { أَغفَلنَا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا } ، والإقبال على الخلق هو المراد بقوله :{ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ }.(١)

١- تفسير الرازي.

أقول :كثرة المخالفين ليست مَمسَكًا ولا دليلا للمؤمن لتبرير مخالفته ، وقلة الموافقين يجب أن لا توحشه فُتبعده عن كلام ربه سبحانه وتعالى وسنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم وأخلاق أسيادنا الصالحين إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لأن إيماننا ليس متعلقًا بكثرة المؤمنين ولا بقلتهم ، ولا باتباعهم للأوامر ولا بتركهم لها ، فعلينا بالتمسك بالكتاب والسنة ، لأن من شروط العبدية التمسكُ بشرع الله تعالى وبسنة نبي الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، والإخلاصُ في العبادة ، مع كثرة ذكر الله عزَّ وجل ، واللهُ تعالى يرضى عن العبد المتصف بهذه الصفات ، وهذه هي بغية المؤمن .وقد قال جلَّ وعلا : { قلْ إن كُنْتم تحِبُّونَ اللّهَ فاتَّبِعُوني يُحبِبكمُ اللّهُ} [آل عمران : ٣١] ، فبإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصل رضا الله ومحبته للعبد.

اللهمَّ وفِّقنا والمؤمنين جميعًا لما تحب وترضى.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذكِّرَ بِآيَاتِ رَبهِ فأَعرَضَ عَنهَا وَنسِيَ مَا قدَّمَت يَدَاهُ إِنَّا جَعَلَنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقهُوهُ وَفِي ءاذَانِهِم وَقرًا وَإِن تَدعُهُم إِلى ٱلهُدَى فَلن يَهتَدُوا إِذا أَبَدًا) (٥٧) [الكهف: ٥٧]

{ إِنَّا جَعَلَنا عَلى قُلوبِهِم } أي قلوب هؤلاء { أَكِنَّة } أي أغطية وغشاوة { أَن يَفقهُوهُ } أي لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان .[1]

وفي الآيات إشارات :منها أن أسباب الهداية وإن اجتمعت بالكلية لا يهتدي بها الناس ولا يؤمنون إلا بجذبات العنايات ، كما قال عليه الصلاة والسلام: « لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلَّينا »[2] ومنها أن أهل الباطل يرون الحق باطلا والباطل حقًا ، وذلك من عمى قلوبهم وسخافة عقولهم ، فيجادلون الأنبياء والأولياء جهلا منهم وضلالة ، ويسعون في إبطال الحق ، وأما أهل الحق فينقادون للأنبياء والأولياء ويستسلمون لهم من غير عناد وجدال ، وذلك لأنهم ينظرون بنور الله فيرون الحق حقًا ويتبعونه ويرون الباطل باطلا ويجتنبونه .لا جرم أنهم يتخذون آيات الله جدًا لا هزوًا ، فيأتمرون بما أُمروا به وينتهون عما نهوا عنه. ومنها أن

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –أخرجه البخاري عن البراء رضي الله عنه.

رحمة الله تعالى في الدنيا تعم المؤمن والكافر ، لأنه لا يؤاخذهم بما كسبوا في الدنيا بقطع الرزق ونحوه ، وتخص يوم القيامة المؤمن، والعذاب يخص الكافر.[1]

أقول :هناك فرق كبير بين الأولياء الذين يصلون بجذبات العناية الإلهية وبين غيرهم من الأولياء ، فهؤلاء مشيُهم مع شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه هي الولاية الكبرى.

الجذبة الواحدة توازي عمل الثقلين ، وهذه العناية من الله جلَّ جلاله مخصوصة بمن أراد أن يصلحه وأن ينور قلبه .وهؤلاء يكونون قدوة للمسلمين في حياتهم ، وكذلك بعد وفاتهم بكتبهم وأخلاقهم وسيرتهم – رحمهم الله – ؛ وذلك الفضل من الله جلَّ وعلا ، فهو يعطي لمن يشاء ، وهو أعلم بالمصلحين ، فيعطيهم أسباب الإصلاح .اللهمَّ اجعلنا من المصلحين.

ومحبَّتنا لهؤلاء الكمَّل – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – تكون سببًا لنجاتنا يوم القيامة وعند سكرات الموت إن شاء الله ، لأن هذه المحبة دخلت في سويداء قلوبنا ، وصارت كأنها جزء من لحمنا ودمنا، فلا يمكن وصول الشيطان إلى قلوبنا في حال ضعفنا عند سكرات الموت .اللهمَّ احفظنا ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

1 –تفسير روح البيان.

اللفظ الخامس و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالَ رَب اشرَح لِي صَدرِي (٢٥) وَيَسر لِي أَمرِي (٢٦) [طه :٢٥-٢٦]

قال تعالى حاكيًا عن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام :{ قَالَ رَب اشرَح لِي صَدرِي * وَيَسر لِي أَمرِي } لما أمَره الله بخطب عظيم وأمرٍ جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه ، لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه ، والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الأمر له بإحداث الأسباب ورفع الموانع .(١)

والمراد بالصدر هنا القلب لا العضو الذي فيه القلب ، أي وسع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ، ولا يخاف من شوكتهم وكثرتهم.

واعلم أن شرح الصدر من نعم الله تعالى على الأنبياء وكمل الأولياء ، وقد أخذ منه نبينا عليه الصلاة والسلام الحظ الأوفى ، لأنه حصل له بصورته ومعناه ، إذ شقَّ صدره في صباوته ، وألقي عنه العلقة التي هي حظ الشيطان ومغمزه ، و غسل في طست من الذهب ؛ وأيضًا في البلوغ إلى الأربعين ، لينشرح لتحمل أثقال الرسالة؛ وفي المعراج ، ليتسع لأسرار الحق تعالى ؛ فجاء حاملا للأوصاف الجليلة

---

1 – تفسير البيضاوي.

التي لا توصف ، من الحلم والعفو والصبر والكف واللطف والدعاء والنصيحة إلى غير ذلك .[1]

أقول :انشراح القلب يحصل – بعد الإيمان – بالموافقة والمتابعة والذكر والشفقة وترك المناهي والأخذ بالأوامر الإلهية .كل هذه الأمور موجودة في الطريق ، فالذي يتمسك بآداب الطريق مع تمسكه بالشريعة وبسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ويذكر الله كثيرًا ويعبد الله مخلصًا في عبادته ويضع في قلبه أهمية الآخرة ويُخرج من قلبه – بفضل الله وبتوفيقه – حب الدنيا وحب الرياسة يصل إلى انشراح القلب ووسعته .هذا هو طريق الوصول إلى هذه الحقيقة ، فإن عملت ترَ ثمرة عملك، وإن لم تعمل وذهبت إلى الآخرة بدون عمل بمقتضى الإيمان فإنك – وإن كنت مؤمنًا – تجد هناك خسارتك وحسرتك ، وتجد أنك ضيعت ما أنعم الله عليك من السمع والبصر واللطائف المهمة في جسدك ، وضيعت حياتك القوية الشبابية ، فتجد هناك خسارتك حين يقال لك :{ ا قرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنفْسِكَ الْيَومَ عَليكَ حَسِيبًا } [الإسراء : ١٤].

لا إله إلا الله محمَّد رسول الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١ – تفسير روح البيان.

فاسمع كلام ربك وأطعه وأطع رسوله ، فإن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ، ولا تكن من المحبين للدنيا ، حتى لا يكون قَطْعُ روحك من الدنيا – عند سكرات الموت – كَقطع الصوف أو الحرير المتعلق بالأشواك إذا أردت تخليصه.

تفكَّر !فإن هذا أمامَنا جميعًا .نعوذ بالله من الخروج من الدنيا بدون إيمان.

في هذه الآية الكريمة سيدُنا موسى عليه الصلاة والسلام يلتجئ ويتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدره في خطابه لمن يدعي الألوهية .فهذا شأن أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأما أمثالُنا الضعفاء العاجزون فإن النفوس الأمارة في هذا العصر قد تفرعنت على أصحاب الإيمان بأنواع الإفسادات والمخالفات، فعلينا أن نلتجئ ونتضرع إلى الله جلَّ وعلا أن يحفظنا والمسلمين جميعًا من شرور النفوس الأمارة ومن فتنة النساء ومن بلاء النساء ومن شر المنافقين والفسَّاق والكافرين جميعًا.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَبِهِم مُحدَثٍ إلا استَمَعُوهُ وَهُم يَلْعَبُون (٢) لاهِيَة قُلوبُهُم وَأَسَرُّوا النَّجوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذا إلا بَشَرٌ مِثْلكم أَفَتَأْتونَ السحرَ وَأَنُتم تبصِرُونَ) [الأنبياء : ٢-٣]

المعنى : ما يأتيهم ذكر من ربهم من الوحي والقرآن من عند الله محدَث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه متشاغلين عن التأمل فيه ، لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب .قدم اللعب على اللهو تنبيهًا على أنهم إنما َقدِموا على اللعب لذهولهم عن الحق؛ فاللعبُ الذي هو السخرية والاستهزاء نتيجة اللهو الذي هو الغفلة عن الحق والذهول عن التفكر.

قال في التأويلات النجمية :والآية وإن نزلت في منكري البعث من الكفار فهي تعم أكثر مدعي الإسلام في زماننا هذا ، فإنه لا يحدث الله في عالِم ربّاني من أهل الذكر – وهم أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته – سرًا من أسرار القرآن وحقيقة من حقائق العلوم اللدنّية إلا أسمعه أهلَ العزة بالله ، وهم – أي مدعوا الإسلام – يستهزئون به وينكرونه وينكرون عليه ، لاهية قلوبهم بمتابعة الهوى ، متعلقة بشهوات الدنيا، ساهية عن ذكر الله ، غافلة عن طلبه ، وتناجوا في السر – الذين

ظلموا أنفسهم بالإنكار على الأسرار – يقولون فيه :ما يأتيكم به من الكلام المموه وأنتم تبصرون أنه مموه كالسحر ، قل :أمرُهم إلى الله ، فإنه يعلم قول أهل السماء ، سماء القلوب ، وقول أهل الأرض ، أرض النفوس ، وهو السميعُ لأقوال أهل القلوب وأقوال أهل النفوس وإنكارهم ، العليمُ بما في ضمائرهم وبأفعالهم وأوصافهم وأوصاف سرائرهم . بل قالوا :كلام المحققين خيالات فاسدة .وقال بعض المنكرين : بل اختلقه من نفسه وادعى أنه من مواهب الحق.[1]

أقول :قلوب أكثر الناس لاهية بالدنيا، فإنهم مع وجود الإسلام والإيمان والاعتقاد عندهم لا يشتغلون للآخرة كما يشتغلون للدنيا .ترى الواحد منهم يشتغل في الدنيا من الصباح إلى المساء ، وفي المساء يتفكر ماذا ربح وماذا خسر ، وهذا لَهوٌ.

علينا أن نحافظ على محل النظر الإلهي وهو القلب ، وأن لا نملأه بحب الدنيا والنساء والمال والمنال .يقول الإنسان :مالي مالي ، وأحيانًا يخرج المال من يده وهو حيٌّ فيُفلس ، ويقول ابني ابني ، وأحيانًا يخرج ابنه من يده وهو حيٌّ ، أو يموت هو ولا يحصل له من ابنه فائدة .ولذا قال تعالى : { لا تُلهِكم أَموَالُكم وَلا أَولادُكم عَن ذِكْرِ اللَّهِ } [المنافقون : ٩]، لأن للإنسان قلبًا واحدًا ، إذا مُلئ بشيء لا يدخل فيه شيء آخر ، كالإناء إذا مُلئ بالماء ثم وُضع فيه لبن هل يَسَعُ فيه ذلك؟

١– تفسير روح البيان.

فالقلب إذا ملئ بحب الجاه والرياسة وحب الدنيا والمال لا يَسَعُ فيه حب الله والتهيؤ لما بعد الموت من الحشر والنشر ثم الجنة أو النار.

أليس القبر أمامَنا؟ إذا ارتكب أحد جرمًا كبيرًا فإنه يوضع في السجن الانفرادي ، وكذلك القبر حجرة انفرادية ، ماذا يقول هناك؟ لا يحصل له إلا ما حصله في الدنيا من القرآن وذكر الله والإخلاص في العبادة.

كلما ازداد المال يزداد الحرص ، وكلما ازداد الحرص يزداد البخل ، وكلما ازداد البخل يزداد البعد عن الله جلَّ وعلا ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « البخيل بعيدمن الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار». [1]

نرجو الله تعالى السلامة لنا وللمسلمين جميعًا.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، والبيهقي عن جابر رضي الله عنه، والطبراني عن عائشة رضي الله عنها.

اللفظ السابع و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّم شعائر الله فإِنَّهَا مِن تقْوَى ٱلْقُلوبِ) (٣٢)[الحج :٣٢]

{ ذلِكَ وَمَن يُعَظِّم شَعَائِرَ ٱللَّهِ } دينَ الله ، أو فرائض الحج ومواضع نسُكِه ، أو الهدايا ، لأنها من معالم الحج ، وهو أوفق لظاهر ما بعده ، وتعظيمُها أن تختارها حِسانًا سِمانًا غالية الأثمان .رُوي أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة ، فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب ، وأن عمر رضي الله تعالى عنه أهدى نجيبة
طلبت منه بثلاثمائة دينار. { فَإِنَّهَا مِن تقوَى ٱلْقُلوبِ } فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من ، وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما. [١]

قال الجنيد – رحمه الله :– من تعظيم شعائر الله التوكل والتفويض والتسليم ، فإنها من شعائر الحق في أسرار أوليائه ، فإذا عظَّمه وعظَّم حرمته زين الله ظاهره بفنون الآداب، {فإِنَّهَا } أي فإن تعظيمها ناشئ {مِن تقوَى ٱلْقُلوبِ }، وتخصيصُها بالإضافة لأنها مركز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء. [٢]

---

١ –تفسير البيضاوي .

٢ –تفسير روح البيان .

أقول :شعائر الله جلَّ وعلا ليست منحصرة في الحج والعمرة والهدي ، بل من شعائرِ الله أيضًا فعلُ أوامرِهِ والشفقة على خلقه واجتناب المعاصي كلها ، لأن كل ذلك عظيم عند الله جلَّ وعلا وعند المؤمنين ، ومنها حفظ القلب من المخالفات كالحقد والحسد وغيرها من الأخلاق الذميمة ؛ فإذا اتصف المؤمن بما وصف الله المؤمنين به ، وَفعَلَ ما أمَرَهم بالأخذ به يكون قلبه متَّقيًا.

وقد مدح الله تعالى عباده المتقين في القرآن الكريم ، وعلَّق بالتقوى الكثير من الخيرات ، ووعد عليها الكثير من الثواب والأجر ، وقد عدَّ علماؤنا من جملة ذلك اثنتي عشرة خصلة:

الأولى :المدحة والثناء ، قال جلَّ وعلا : { وَإن تصبِرُوا وَ تتَّقوا فَإنَّ ذلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ } [آل عمران :١٨٦] .

الثانية :الحفظ والحراسة من الأعداء ، قال الله تعالى : { وَإن تصبِرُوا وَتتَّقوا لا يَضُرُّكم كَيدُهُم شيئًا } [آل عمران : ١٢٠].

الثالثة :التأييد والنصرة ، قال الله تعالى : { إنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقوا وَالَّذِينَ هُم مُحسِنونَ } [النحل :١٢٨] ، وقال أيضًا { : { وَاعَلمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِين } [البقرة :١٩٤].

الرابعة :النجاة من الشدائد ، والرزق من الحلال ، قال الله تعالى : { وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجًا (٢) وَيَرزُقْهُ مِن حَيث لا يَحتَسِبُ } [الطلاق : ٢-٣].

الخامسة : إصلاح العمل ، قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا اتَّقوا اللَّهَ وَ قوُلوا قولاً سَدِيدًا (٧٠) يُصلِحِ لكم أَعمَالَكم] ...} [الأحزاب :٧٠-٧١] .

السادسة: غفران الذنوب ، قال الله تعالى : { وَيَغْفِر لُكم ذُنوبكم...} [الأحزاب :٧١]

السابعة : محبة الله جلَّ جلاله ، قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ } [التوبة : ٧] .

الثامنة :القبول ، قال الله تعالى : { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ } [المائدة :٢٧].

التاسعة :الإكرام والإعزاز، قال الله تعالى } : { إِنَّ أَكْرَمَكم عِنْدَ اللَّهِ أَتَقاكم } [الحجرات : ١٣] .

العاشرة :البشارة عند الموت ، قال الله جلَّ وعلا } : { الَّذِينَ ءَامَنوا وَكانُوا يَتَّقونَ لَهُمُ (٦٣) ٱلْبُشرَى فِي ٱلْحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ} [يونس :٦٣-٦٤].

الحادية عشرة :النجاة من النار ، قال الله عزَّ وجل : { ثمَّ نَنجي الَّذِينَ اتَّقوا } [مريم : ٧٢] ، وقال أيضًا : { وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتَقى } [الليل :١٧].

الثانية عشرة :الخلود في الجنة ، قال الله تعالى : { وَسَارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبكم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّمَاوَات وَالأَرضُ أُعِدَّت لِلمُتَّقِينَ } [آل عمران :١٣٣].

ففي هذا بيان أن كل خير وسعادة في الدارين إنما يندرج تحت التقوى ، فلا تنس نصيبك أيها المؤمن منها.

اللهمَّ اجعلنا من المتقين واحشرنا مع المتقين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن و التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ إِذا ذكِرَ اللَّهُ وَجِلتْ قُلوبُهُم وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْناهُم يُنفِقونَ) (٣٥) [الحج : ٣٥]

قوله تعالى :{ **الَّذِينَ إِذا ذكِرَ اللَّهُ وَجِلتْ قُلوبُهُم** } هَيبة منه ، لإشراق أشعة جلاله عليها[١] وصَفهم الله تعالى بقوله :{ **الَّذِينَ إِذا ذكِرَ اللَّهُ وَجِلت قُلُوبُهُم** } فيظهر عليهم الخوف من عقاب الله تعالى ، والخشوعُ والتواضع لله ، ثم لذلك الوجَل أثران: أحدهما :الصبر على المكاره ، وذلك هو المراد بقوله :{ **وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا أَصَابَهُم** } ، وعلى ما يكون من قِبَل الله تعالى ، لأنه الذي يجب الصبرُ عليه ، كالأمراض والمحن والمصائب ، فأما ما يصيبهم من قِبَل الظَّلمة فالصبرُ عليه غير واجب ، بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة .والثاني :الاشتغال بالخدمة ، وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله ؛ أما الخدمة بالنفس فهي الصلاة ، وهو المراد

١- تفسير البيضاوي.

بقوله : { وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ } ، وأما الخدمة بالمال فهو المراد من قوله : { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقونَ } .[1]

أقول :الوجل والخوف الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية الكريمة لا يحصل بدون تهيُّؤ ، بحيث إذا قال العبد" :الله أكبر "يحصل في قلبه الوجل ، ولكن لا بد له من تطهير القلب بذكر الله تعالى ، وإخراج الأخلاق الذميمة منه ، حتى يكون حاضرًا مهيَّئًا لنظر المعبود جلَّ وعلا ؛ هذا التهيُّؤ لا يحصل مع الغفلة ولا مع حب الدنيا ولا مع المخالفات ، إنما يحصل بالتمسك بشرع الله تعالى ، والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإخلاص في العبادة، وكثرة ذكر الله عزَّ وجل.

قال الله تعالى لرسوله الأعظم عليه الصلاة والسلام: { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيتُ رَبي عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ } [الأنعام : ١٥] ، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُمر بالخوف فكيف أنت يا فقير؟ عليك أن تفزع إلى الله وترجع وتتوب إليه حتى يحصل لك هذا الوجل .لكنك تأكل باشتهاء نفسك ، وتفعل ما تشاء باشتهاء نفسك، وتترك الفضائل والورع والخشوع في الصلاة فكيف يحصل الوجل؟

إني أقول لك :يا أخي المسلم !انظر إلى صلاتك ، هل تخشع في أربع ركعات أو ثلاث ركعات أو ركعتين أم تصلي وأنت غافل؟

١- تفسير الرازي.

كيف يحصل الوجل في قلبك وأنت لا تكثر من ذكر الله تعالى؟ الذكر ليس خاصًا بأهل الطريق ، بل هو للمؤمنين جميعًا، لقول الله جلَّ وعلا :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا اذكرُوا اللَّهَ ذِكرًا كثِيرًا } [الأحزاب :٤١].

ولكن إذا اشتغل العبد دومًا في تحصيل الدنيا وهمومها من أين يحصل له الوجل من الله؟ وكيف يحصل الصبر؟ لا بد من الصبر على الطاعة ، والصبرِ عن المعصية، والصبرِ على المصائب ، سواء كانت من الخلق أو من الخالق.

فإذا أردت أن تكون من الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم عليك أن تذكر الله كثيرًا وتقرأ القرآن كثيرًا وتصلي صلاة الخاشعين ، فليس هناك عبادة – بعد الإيمان– أفضل من صلاة مع الخشوع ، حينذاك تقف على ما يفوتك من الخشوع وتطلع على ما يحصل لك منه ، والله جلَّ وعلا يعينك.

اللهمَّ أعِنّا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك.

وصلّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظان التاسع و التسعون والمئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَتَكونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعقِلونَ بِهَا أَو ءَاذَانٌ يَسمَعُونَ بِهَا فإِنَّهَا لا تعمَى الأَبصَارُ وَلكِن تعمَى ٱلْقُلوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (٤٦) [الحج :٤٦]

أما قوله تعالى :{ أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَتَكونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعقِلونَ بِهَا أَو ءَاذَانٌ يَسمَعُونَ بِهَا } فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار ، لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار ، وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل ، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب ، لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع البتة ، ولو تفكر فيما سمع لانتفع ، فلهذا قال : { فإِنَّهَا لا تعمَى الأَبصَارُ وَلكِن تعمَى ٱلْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } كأنه قال لا عمى في أبصارهم فإنهم يرون بها ، لكن العمى في قلوبهم حيث لم ينتفعوا بما أبصروه.[١]

أي ليس الخلل في مشاعرهم ، وإنما هو في عقولهم، بإتباع الهوى والانهماك في الغفلة . ولا يُعتمد بعمى الأبصار ، فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب ؛ والعمى يقال في افتقاد البصر وافتقاد البصيرة .وذكر الصدور للتأكيدِ ونفي توهم التجوز قصدًا للتنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر ،

١– تفسير الرازي.

وفي الحديث : « ما من عبد إلا وله أربع أعين :عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه » [١] ، وأكثر الناس عميان بصر القلب ، لا يبصرون به أمر دينهم.

قال في حقائق البقلي قدس سره :الجهال يرون الأشياء بأبصار الظاهر ، وقلوبُهم محجوبة عن رؤية حقائق الأشياء ، التي هي تابعة أنوار الذات والصفات ، أعماهم الله بغشاوة الغفلة وغطاء الشهوة .قال سهل : اليسيرُ من نور بصر القلب يغلب الهوى والشهوة ، فإذا عمي بصر القلب عما فيه غلبت الشهوة وتواترت الغفلة ، فعند ذلك يصير البدن متخبطًا في المعاصي غير منقاد للحق بحال.

وفي التأويلات النجمية :في الآية إشارة إلى أن العقل الحقيقي إنما يكون من نتائج صفاء القلب بعد تصفية حواسه عن العمى والصمم ، فإذا صح وصف القلوب بنور اليقين تدرك نسيم الإقبال بمشام السر ، قال تعالى خبرًا عن يعقوب عليه السلام : { **إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ** } [يوسف :٩٤] ، وما كان ذلك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح في الظاهر فعلى العاقل أن يجتهد في تصفية الباطن وتجلية القلب وكشف الغطاء عنه بكثرة ذكر الله تعالى .وعن مالك بن أنس رضي الله عنه : بلغني أن عيسى بن مريم عليهما السلام قال : لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم ، والقلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون .وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قلَّ عمله وعمي قلبه وضاع عمره .

١- أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

وفي الحديث : « لكل شيء صقالة، وصقالة القلب ذكر الله » [١] . وقال أبو عبد الله الأنطاكي : دواء القلب خمسة أشياء :مجالسة الصالحين ، وقراءة القرآن ، وإخلاء البطن، وقيام الليل ، والتضرع عند الصبح .كذا في تنبيه الغافلين. [٢]

أقول : ولكن إذا جلس مع الصالحين ولم يسمع كلامهم فأية فائدة في تلك المجالسة؟ لا يُطلق اسم الصلاح على العلم بدون عمل ، بل على من نوّر قلبه بالمعرفة وترك المعاصي وكثرة ذكر الله تعالى ، كما قال المفسر رحمه الله تعالى.

النفس الأمارة لا تحب سماع الوعظ والنصيحة المتعلقة بما يوجد فيها ، وتنفر عن هذا ، وقد شاهدنا ذلك في بعض المؤمنين ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذا مصيبة.

إذا كنا نعيش أربعين أو خمسين أو ستين سنة ونحن مع أنفسنا لا مع الحق فما معنى مجالسة الصالحين أو أهل الدين؟

على المؤمن إذا سمع عن شيء من عيوب نفسه أن يجاهد نفسه حتى يذهب ذلك العيب عنه ، ولذا قال ربنا جلَّ وعلا : { وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت :٦].

---

١ –أخرجه ابن أبي الدنيا عن البيهقي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

٢ –تفسير روح البيان.

عليك يا أخي المؤمن أن تجاهد نفسك الأمارة – بتركها ومخالفتها ومحاربة الشيطان – حتى نكون من الذين مدحهم الله تعالى ، فإن هذا ليس شيئًا رخيصًا ، خالق السموات والأرض يمدحك في كتابه العزيز الذي نزل على سيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، والله كلُّ أموال الدنيا لا توازيه.

اللهمَّ وفِّقنا لمجاهدة النفس ومخالفة الشيطان ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان الأول و الثاني بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته و الله عليم حكيم) (٥٢) لِيَجعَلَ مَا يُلقِي الشَّيطَانُ فِتْنةً لِلَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لفِي شِقَاقٍ بَعِيد) [الحج :٥٢-٥٣]

قوله تعالى :{ لِيَجعَلَ مَا يُلقِي الشَّيطَانُ } علة لتمكين الشيطان منه ، وذلك يدل على أن المُلقى أمر ظاهر عَرَفه المحق والمبطل ، [٢] { فِتْنةً لِلَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } أي: شك ونفاق ، لأنه مرض قلبي مؤد إلى الهلاك الروحاني، كما أن المرض القلبي) ٢ (مؤد إلى الهلاك الجسماني ، { وَالْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم} أي المشركين .والقسوُة غلظ القلب ، وأصله من حجر قاس .والمقاساة معالجة ذلك.[٣]

أقول :الذي لا يؤثِّر فيه وعظ الواعظين ولا قراءة القرآن ولا ذكر الموت فقد حصل له مرض القلب ، وعلاجُه :أن يرجع إلى الله ويستغفر ويتوب توبة صحيحة ويجاهد نفسه حتى يطهر قلبه من الأخلاق الذميمة ، لكي تؤثِّر فيه قراءةُ القرآنِ والأحاديثِ

---

١ –تفسير البيضاوي .

٢ –هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : الجسمي .

٣ –تفسير روح البيان.

النبوية ووعظ الواعظين وذكرُ الموت ، حينذاك تحصل له السعادة إن شاء الله ، لأن الله تعالى قال : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَة عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيئَاتِ} [الشورى :٢٥]، فعلى المؤمن أن لا يقنط من رحمة الله ولو زنا ولو سرق ولو فعل ما فعل ، لأن هذا وعد الله ، فلا تكونوا ممن خسر الآخرة.

من خسر في الدنيا بأن اشترى بمئة وباع بخمسين يمتنع عنه النوم ، فكيف تهون عليكم خسارة الآخرة ولا تبالون بها؟ والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهمَّ لا تجعلنا من الخاسرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبك فيُؤْمِنوا بِهِ فَتُخْبِت لَهُ قُلُوبُهُم وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنوا إِلى صِرَاطٍ مُسَتقِيمٍ) (٥٤) [الحج : ٥٤]

قوله تعالى: { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلوبُهُم } أي تخضع وتذل له قلوبهم.[١] وفي التأويلات النجمية :إن الله ليبتلي المؤمن المخلص بفتنة وبلاء ، ويرزقه حسن بصيرة يميز بها بين الحق والباطل ، فلا يظله غمام الريب ، وينجلي عنه غطاء الغفلة ، فلا يؤثر فيه دخان الفتنة والبلاء ، كما لا تأثير للضباب الغداة في شعاع الشمس عند متوع النهار– أي ارتفاعه –، وإن الهداية من الله ومن تأييده لا من الإنسان وطبعه ، وإن من وَكَله الله إلى نفسه وخذله بطبعه لا يزول عنه الشك والكفر والضلالة إلى الأبد ، ولو عالجه الصالحون. فعلى العاقل أن يستسلم لأمر القرآن المبين ويجتهد في إصلاح النفس الأمارة إلى أن يأتي اليقين ، فإن النفس سحارة ومكارة ومحتالة وغدارة. [٢]

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –تفسير روح البيان.

أقول :الذي يؤمن بالقرآن عليه أن يتصف بالأوصاف التي وصف الله بها عباده في القرآن ، من التواضع والانقياد لأوامر الله تعالى وعدم الاعتراض عليها والعيش بها ، حتى تصير أخلاقه أخلاق القرآن، وذلك بعد المجاهدة والسعي الكبير.

فكما أن الإنسان إذا أراد أن يكون غنيًا لا يقعد في البيت ، بل يسعى حتى يصل إلى ذلك ، كذلك هؤلاء عليهم أن يجاهدوا النفس ويخالفوا الشيطان .قال الله جلَّ وعلا : {وَأَنَّ هَذا صِرَاطِي مُسَتقِيمًا فاتَّبِعُوهُ} [الأنعام :١٥٣] ، ما هو هذا الصراط؟ صراط الله هو القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام .ولما قال{ : فاتَّبِعُوهُ } عُرف الضد بالضد، أي ولا تتبعوا ضده ، وضدُّ الصراط المستقيم الانغماسُ في الدنيا والرياءُ والكبرُ وغيرُ ذلك من الأخلاق الذميمة، وبذلك يحصل الإخبات.

اللهمَّ اجعلنا من المخبتين يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالَّذِينَ يُؤْتونَ مَا ءَاَتوا وَقُلوبُهُم وَجِلَة أَنَّهُم إِلى رَبِهِم رَاجِعُونَ) (٦٠) [المؤمنون ٦٠]

قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْتونَ مَا ءَاَتوا } أي يعطون ما أعطوه من الزكوات والصدقات وتوسلوا به إلى الله تعالى من الخيرات والمبرات .وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ، والماضي على التحقق ، {وَقُلوبُهُم وَجِلة }حالٌ من فاعلِ يؤتون ، أي والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف .قال الراغب :الوجل استشعار الخوف .{ أَنَّهُم إِلى رَبِهِم رَاجِعُونَ }أي من أن رجوعهم إليه تعالى ، على أن مناط الوجل أن لا يُقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ ، لا مجرد رجوعهم إليه تعالى.

قال بعض الكبار :وَجَلُ العارف من طاعته أكثر من وجله من مخالفته ، لأن المخالفة تمحى بالتوبة ، والطاعة تطلب بتصحيحها والإخلاص والصدق فيها .فإذا كان فاعل الطاعات خائفًا مضطربًا فكيف لا يخاف غيره؟[١]

فقوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْتونَ مَا ءَاَتوا وَقُلوبُهُم وَجِلَة أَنَّهُم إِلى رَبِهِم رَاجِعُونَ } أي يعطون العطاء وهم خائفون وَجِلون أن لا يتقبل منهم ، لخوفهم أن يكونوا قد

١– تفسير روح البيان.

قصروا في القيام بشروط الإعطاء ، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط ، كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ! { وَالَّذِينَ يُؤْتونَ مَا ءَاَتوا وَقُلوبُهُم وَجِلة} والذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل قال : «لا يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلِّي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجلّ »[1]

أقول : شرط قبول الطاعة الإخلاصُ والموافقة للشريعة ، فإذا اجتمع هذان الشرطان في شخص فإنه – إن شاء الله – يكون من المحسنين .فعلى المؤمن أن يتفكر في عبادته ، فإذا وجد فيها بعض التقصير عليه أن يستغفر ويرجع إلى الله ، لأننا – لضعفنا وعجزنا – لا يمكن لنا أن نثبت قلوبنا على الحضور في كل العبادة، فنرى أن عبادتنا لا تليق بربنا جلَّ وعلا ، وإذا حصل هذا الاستشعار يحصل عندنا الوجل والخوف من أنَّ عمَلنا هل قبل منا أم لا؟ فنتضرع إلى الله تعالى ، ونهتم بالإخلاص في عبادتنا.

اللهمَّ اجعلنا من المخلصين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير ابن كثير.

اللفظ الخامس بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِن هَذا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) (٦٣)[المؤمنون: ٦٢-٦٣]

قوله تعالى : { وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا و لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ }

أي: ولا نكلف أحدًا من العباد ما لا يطيق ، تفضلا منّا وإحسانًا ، فإن جميع التكاليف الشرعية في مقدور الإنسان وطاقته ، وعندنا كتاب أعمال العباد ، يشهد عليهم بما عملوا ، دون زيادة ولا نقصان ، ولا يُظلم أحد من عمله شيئًا ، { بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِن هَذا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ } الغمرة :الغفلة والجهالة ، أي قلوب هؤلاء الكفار في غفلة وجهالة غامرة وساترة لهم عن فهم كلام الله ، لا يفهمون آيات القرآن ولا يتدبرون مواعظه ، ولهم أعمال خبيثة كثيرة غير الكفر والإشراك ، هم مقيمون عليها لا ينفكون عنها ، كالسخرية والاستهزاء ، وفعل أنواع الموبقات والمعاصي. (١)

أقول :الآية تهديد وتأمين من الخوف والظلم ؛ تهديد للكفار لعدم إصغائهم لكتاب الله جلَّ جلاله ، وتأمين لمن يعمل عملا صالحًا بأنه لا يُظلم .والكتاب الذي ينطق

١- التفسير الواضح الميسر.

بالحق هو علم الله الأزلي المكتوب في اللوح المحفوظ – كما قال أكثر المفسرين– ولكن هذا العلم بالنسبة إلينا مجهول ، وكذلك فإن الكافر إذا آمن يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وإذا لم يؤمن فإنه يقينًا يُعذَّب ، لكن إيمان الكافر أو عدمه بالنسبة إلينا أيضًا مجهول ، فنحول أمره إلى الله جلَّ وعلا ، وهو الآن مكلَّف بالتكاليف الشرعية ومسؤول عنها ، وإلا فما هو معنى التكليف؟ وما هو دور الجزء الاختياري؟ وما هو حكم قول الله تعالى : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسئُوُلون} [الصافّات : ٢٤] ومن نفى ذلك فإنه ينسب الظلم إلى الله تعالى ، حاشاه من ذلك.

اللهمَّ أعنَّا على القيام بما كلَّفتنا به يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَهُوَ الَّذِي أَنْشأَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تشْكرُونَ) (٧٨) [المؤمنون :٧٨]

قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي أَنْشأَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ} ذكرَ تعالى نعمه على عباده أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، وهي العقول والفهوم التي يذكرون بها الأشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله ، وأنه الفاعل المختار لما يشاء ، وقوله :{ قَلِيلا مَا تشْكرُونَ } أي :ما أقلَّ شكركم لله على ما أنعم به عليكم.[١]

وفي الآية إشارة إلى معانٍ ثلاثة :أحدها :إظهار إنعامه العظيم وإفضاله الجسيم بهذه النعم الجليلة من السمع والأبصار والأفئدة .وثانيها :مطالبة العباد بالشكر على هذه النعم . وثالثها :الشكاية من العباد إذ الشاكر منهم قليل ، كما قال تعالى : { وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكور} [سبأ :١٣] وشكرُ هذه النعم استعمالها في طاعة المنعم وعبوديته ، فشكر السمع حفظه عن استماع المنهيات وأن لا يسمع إلا لله وبالله وعن الله ، وشكر البصر حفظه عن النظر إلى المحرمات وأن ينظر بنظر العبرة لله وبالله وعن الله ،

١- تفسير ابن كثير.

وشكر القلب تصفيته عن رين الأخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين فلا يشهد غير الله ولا يحب إلا الله . (١)

أقول : طلب رضا الله جلَّ جلاله ليس مقيدًا بمقابلة النعم ، لأن العبد عليه أن يعمل بعبوديته ، سواء أنعم الله عليه بما يوافق نفسه أم لا ، لأنه خالقه ، ولكن لله أن يمنَّ على عباده بالنعم لأنه خالقهم ، وهذا أكبر النعم ، ومع هذا فقد أنعم عليهم بالسمع والبصر والفؤاد ، فعلى العبد أن يستعمل ما أنعم الله به عليه فيما خلق له ، لأن عدم استعمال النعم فيما خلقت له كفرانٌ للنعمة .إذا أنعم عبد على عبد آخر فلم يشكره يُعَدُّ ذلك كفرانًا للنعمة ، فشكر العبد للعبد مشروع مع أن أصل الإنعام من الله ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس » (٢)

فكيف شكر العبد لله ، ووجودُه به وحيأته به وإيمأنه به وحفظه به؟ عليه أن يستعمل ما أنعم الله به عليه فيما ۥ خلق له ، وخاصة القلب ، لأن القلب ليس له إلا جهتان :جهة موافقة الشيطان والنفس ، التي إذا أَخذ بها يُسكَّر باب رحمة الله على العبد ، وجهة استعمال النعم فيما خلقت له مِن فعل أوامر الله واجتناب نواهيه ، التي إذا أخذ بها يتمسك بالفضائل ، وإن لم يكن شكرُه وافيًا لما أنعم الله به عليه فعلى الأقل لا يستعمل النعم فيما لا يرضى الله تعالى به .هذه وظيفة العبد التي يطلبها الرب منه.

اللهمَّ اجعلنا من الشاكرين واحشرنا مع الشاكرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –تفسير روح البيان .

٢ –أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد وابن حبان والبخاري في الأدب المفرد.

اللفظ السابع بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(رِجَالٌ لا تُلهيهم تِجَارَة وَلا بَيعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلوبُ وَالأَبصَارُ) (٣٧) [النور :٣٧]

قوله تعالى : { رِجَالٌ لا تلهيهم تِجَارَة وَلا بَيعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ } لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذُّ بيعها وربحها عن ذكر ربهم ، الذي هو خالقهم ورازقهم ، والذي يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم ، لأن ما عندهم ينفذ وما عند الله باق ، ولهذا قال تعالى : { لا تُلهِيهِم تِجَارَة وَلا بَيعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ} أي: يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم ، وقوْله تعالى : { يَخافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلوبُ وَالأَبصَارُ } أي : يوم القيامة ، الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أي : من شدة الفزع وعظمة الأهوال.[١]

فإنه سبحانه بين أن هؤلاء الرجال وإن تعبدوا بذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك موصوفون بالوجل والخوف ، فقال : { يَخافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلوبُ وَالأَبصَارُ } وذلك الخوف إنما كان لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته .واختلفوا في المراد بتقلُّب القلوب والأبصار على أقوال : فالقول الأول :أن القلوب تضطرب من الهول

١- تفسير ابن كثير.

والفزع وتشخص الأبصار لقوله : { وَإِذْ زَاغتِ الأَبصَارُ وَبَلَغتِ الْقُلوبُ الْحَناجِرَ } [الأحزاب : ١٠] ، الثاني :أنها تتغير أحوالها فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعًا عليها لا تفقه ، وتبصر الأبصار بعد أن كانت لا تبصر ، فكأنهم انقلبوا من الشك إلى الظن ، ومن الظن إلى اليقين ، ومن اليقين إلى المعاينة ، لقوله : { وَبَدَا لَهُم مِنَ اللَّهِ ما لم يَكوُنوا يَحتَسِبُونَ } [الزمر : ٤٧] ، وقوله : { لَقد كنْت فِي غفْلةٍ مِن هَذا فكشفَنا عَنْك غِطَاءَك } [ق : ٢٢] ، الثالث : أن القلوب تتقلب في ذلك اليوم طمعًا في النجاة وحذرًا من الهلاك ، والأبصار تتقلب من أي ناحية يؤمر بهم ، أَمِنْ ناحية اليمين أم من ناحية الشمال؟ ومن أي ناحية يُعطون كتابهم ، أَمِنْ قِبَل الأيمان أم من قبل الشمائل؟ الرابع :أن القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر.(١)

أقول :إذا أراد الله تعالى جلَّ جلاله أن يهيئ قلب العبد للتوجه إلى الإيمان اليقيني وإلى حق اليقين يفتح له باب النظر – بإيمانه – لما بعد الموت ، فكأنه الآن يعيش في المحشر ، ويلتقي بتلك الأهوال ، من تقلب القلوب والأبصار وغيرها ، فينظر إلى إيمانه هل يصدق ذلك أم لا؟ وينظر إلى من مضى من المرسلين والأنبياء والصالحين ، هل ماتوا وانتقلوا من هذه الدنيا أم بقوا فيها؟ ويخطر بقلبه قوله تعالى : { إِنَّكَ مَيت وَإِنَّهُم مَيِّتونَ } [الزمر :٣٠] ، فيتحقق عنده بهذا الإيمان أنه سيمر بهذا الحشر ويحاسَب ويلتقي بهذه الأهوال ، فإذا ثبت عنده ذلك لا يغتر بهذه الدنيا وما فيها من الأموال والأولاد ، بل يكتفي منها بقدر حاجة الطبيعة

١– تفسير الرازي.

البشرية ، فإذا أرادت نفسه أن يشتغل بها ويترك ما ثبت عنده من الالتقاء بالأهوال فإنه ينزل إلى منزلة الصبيان الذين يلعبون بالجوز والبندق وغيرها.

لو أنك وصفت رجلا بأوصاف الصبيان فقلت له :أنت طفل ، فإنه لا يقبل ذلك– مع أن الأطفال لا يؤاخذون – فكيف يقبل الاشتغال بالدنيا مع إيمانه بذلك الهول العظيم؟ نرجو الله تعالى أن ينبهنا من نوم الغفلة ، وأن يُرجعنا إلى القرآن العظيم والعمل به ، وأن لا يجعلنا فتنة للذين كفروا ولا لأنفسنا كذلك.

فمعنى قوله تعالى : { رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ } أن قلوبهم معمورة أي منوَّرة ، وعقولهم منوَّرة ، يعرفون أن الرزَّاق هو الله ، لا يتركون الأسباب لأن تركها تعطيل ، لكن يأخذون بها بأمر الله ، لأن الأخذ بالأسباب دعاء فعليٌّ ، وفي أثناء البيع يرون ربَّهم في قلوبهم ، فلا يغشُّون أحدًا ، وتكون معاملتهم كلها موافقة لظاهر الشريعة ، وقلوبهم متطهرة من الأخلاق الذميمة وحب الدنيا، وقد أزالوا الأغيار منها ، فإذا جاء وقت الصلاة يدخلون فيها، فيقيمونها، أي يقيمون روح الصلاة [١] ؛ فإذا قالوا : {بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ } أرادوا بذلك التبرك ، وفهموا أن معناها أن الأمور كلها بيد الله جلَّ وعلا ، كما ذكر ذلك الإمام الغزالي في الإحياء في الباب الثالث (في الشروط الباطنة من أعمال القلب)

١– من الخشوع والتذلل والحضور مع الله جلَّ وعلا.

ويتفكرون بذلك ويوجهون قلوبهم إلى الله ، فإذا قالوا : { إِيَّاكَ نَعبُدُ } [الفاتحة : ٤] أي نخصك بالعبادة ، { وَإِيَّاكَ نستَعِينُ} يعني يارب نطلب الاستعانة منك على أن تهدينا الصراط المستقيم.

وكذلك فإنهم يؤتون الزكاة ، فيدفعونها بأمر الله من مال الذي أعطاهم ، مع هذا يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار .إيمان هؤلاء التجار كأنهم ذهبوا قبل أن يذهبوا ، وكأنهم واقفون في ذلك اليوم ؛ ومادامت نيتهم لله وقلوبهم متعلقة بالله فإن الله يجزيهم أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله { أُوَلئِكَ هُمُ الْوَارِثونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثونَ الْفِردَوسَ هُم فِيهَا خالِدُونَ } [المؤمنون : ١٠-١١]

اللهمَّ احشرنا معهم واجعلنا من المحبين لهم يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ لَّقد أنزلنا آيَاتٍ مبَيِّنات وَاللَّهُ يَهدِي من يشاء إلى صِرَاطٍ مستقيم (٤٦) وَيقوُلونَ آمَنَّا باللَّهِ وَبِالرَّسُول وَأَطعْنا ثم يَتوَلَّى فريق منهم من بَعدِ ذلِكَ وما أولئك بالمؤمنين (٤٧) وَإِذا دُعوُا إلى اللَّهِ ورسولِهِ ليحكم بينهم إذا فريق منهم مُعرِضُونَ (٤٨) وإن يكن لَّهُمُ الحق يأتوا إليه مذعنين (٤٩) أَفِي قُلوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارَتابُوا أَم يَخأُفونَ أَن يَحِيف اللَّهُ عَليهِم وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ (٥٠) } [النور:٤٦-٥٠]

قوله تعالى : { أَفِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } يعني :لا يخرجُ أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها ، أو قد عَرَضَ لها شك في الدين ، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم ؛ وأيًا ما كان فهو كفر محض ، والله عليم بكلٍّ منهم وما هو منطوٍ عليه من هذه الصفات.(١)

أقول : قوله تعالى : { أَفِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } في هذه الآية مخصوصٌ بالذين ذهبوا ليحكم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بينهم فأعرضوا ، فحَكَمَ الله تعالى بكفرهم بقوله : {أوَلئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ } ؛ أما أهل الإيمان فإذا وُجد في قلوبهم مرض لا يُحكم بكفرهم ، ولكن تطلب منهم التوبة والإنابة والاستغفار ، حتى يطهروا قلوبهم عن ذلك المرض.

اللهمَّ اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- تفسير ابن كثير.

اللفظ التاسع بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقالَ الَّذِينَ كَفرُوا لولا نزل عَليهِ الْقرءَانُ جُمَلَةً وَاحِدَة كذلِكَ لِنَثبت بِهِ فؤَادَكَ وَرَتَّلَنَاهُ تَرتِيلا) (٣٢) [الفرقان:٣٢]

قوله تعالى : { كذلِكَ لِنَثبت بِهِ فؤَادَكَ } إشارةٌ إلى ما يُفهم من كلامهم ، أي :مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه نزلناه ، لا تنزيلا مغايرًا له ، لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك ، أي :قلبك ، فإن فيه تيسيرًا لحفظ النظم وفهم المعنى وضبط الأحكام والعمل بها ، ألا ترى أن التوراة أُنزلت دفعة فشقَّ العمل على بني إسرائيل؟ ولأنه كلما نزل عليه وحي جديد في كل أمر وحادثة ازداد هو قوة قلب وبصيرة ؛ وبالجملة : إنزالُ القرآن مُنجمًا فضيلة خص بها نبينا عليه السلام من بين سائر النبيين ، فإن المقصود من إنزاله أن يتخلَّق قلبه المنير بأخلاق القرآن ، ويتقوى بنوره ويتغذى بحقائقه وعلومه ، وهذه الفوائد إنما تكمل بإنزاله مفرقًا ، ألا يُرى أن الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها إذا نزل مفرقًا إلى أن يستوي الزرع؟[١] فقوله تعالى : {كذلِكَ لِنَثبت بِهِ فؤَادَكَ } أي: كذلك أنزلناه مفرقًا فَتقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه ، لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى ، حيث كان عليه الصلاة والسلام أميًا وكانوا يكتبون ، فلو ألقي عليه جملة لعيل – أي :عجز – بحفظه ، ولعله لم يستتب له ، فإن التلقف لا

١– تفسير روح البيان.

يتأتى إلا شيئًا فشيئًا ، ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ، ولأنه إذا نزل منجمًا وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ، ولأنه إذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده، ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ، ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية ، فإنه يعين على البلاغة.[١]

أقول :ومن فوائد تنزيل القرآن منجّمًا أيضًا أنه لو نزل به الوحي دفعة واحدة– كالتوراة والإنجيل – يُقطع أمل الموحى إليه عن مجيء جبرائيل في المستقبل ، أما إذا نزل متفرقًا فإنه – عليه الصلاة والسلام – كلما جاء الوحي يفرح بمجيئه ويأخذ عنه ويحكم به وينتظر مع الاشتياق المجيء التالي .هذه هي الطبيعة البشرية بالنسبة إلى من ينتظر واحدًا من أحبابه يأتي من الغربة ، فإنه ينتظر لقاءه باشتياق، فإذا جاء يُقطع هذا الاشتياق ؛ هذه حكمة إلهية ، وهو العالِم بمراده جلَّ وعلا، فعلينا التسليم والقبول على الرأس والعين بالقلب والروح.

اللهمَّ ارزقنا التسليم التَّام لك ياربَّ العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

١– تفسير البيضاوي

اللفظ العاشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذ نادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائت ٱلْقومَ الظَّالِمِينَ (١٠) قومَ فِرعَونَ أَلا يَتَّقون (١١) قالَ رَب إِني أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيق صَدرِي وَ لا يَنْطَلِق لِسَانِي فأَرسِلْ إِلى هَارُونَ (١٣)) [الشعراء: ١٠-١٣]

اعلم أن التكذيب سبب لضيق القلب ، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على مَن يكون في لسانه حبسة ، لأنه عند ضيق القلب ينقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب ، وإذا انقبضا إلى الداخل ازدادت الحبسة في اللسان ، فلهذا بدأ عليه السلام بخوف التكذيب ثم ثنَّى بضيق الصدر ثم ثلَّث بعدم انطلاق اللسان ، وسأل تشريك أخيه هارون ، فإنه لو لم يشرك به في الأمر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى .وسببُ عقدة لسانه عليه السلام احتراقه من الجمرة عند امتحان فرعون. [١]

أقول : إذا حصل للإنسان بعض المعاني فإنها تأتي إلى القلب ، فإذا جاءت إلى القلب ولم يمكن له أن يعبر عنها بعبارة شافية أو بلسان فصيح يحصل معه حبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب.

١- تفسير روح البيان.

وهذا الأمر نلاحظه عند الطفل إذا فهم شيئًا وحاول النطق به فلم يقدر ولم يفهم أبواه ما يريد ، فإنه في النهاية يبكي لعدم استطاعته التعبير عما يريد.

قال أخونا الدكتور بشير حفظه الله تعالى :وهذا الأمر مُلاحظ كذلك عند المرضى المصابين بمرض دماغي يمنعهم عن الكلام مع الاحتفاظ بالقدرة على الفهم ، فإننا نراهم يُعذَّبون بمحاولة التعبير ولا يستطيعون فيبقى المعنى دفينًا في قلوبهم.

وكذلك إني رأيت شخصًا عند الاحتضار يريد أن يتكلَّم فلم يقدر ، كرَّر كرَّر فلم يمكن له التبيين ، حينذاك قطع أمله وسكت.

اللهمَّ احفظنا والمسلمين من كلِّ مكروه يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنونَ (٨٨) إلاَّ مَن أَتى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) [الشعراء : ٨٨-٨٩]

قوله تعالى : { يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ } أي :لا يقي المرءَ من عذاب الله مأله ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا ، { وَلا بَنونَ } أي :ولو افتدى بمن على الأرض جميعًا ، ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبري من الشرك وأهله ؛ ولهذا قال : {إلاَّ مَن أَتى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } أي :سالم من الدنس والشرك .قال ابن سيرين: القلب السليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .وقال ابن عباس رضي الله عنهما : { إلاَّ مَن أَتى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } حَيِيَ أن يشهد أن لا إله إلا الله .وقال مجاهد والحسن وغيرهما : { بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } يعني من الشرك .وقال سعيد بن المسيب :القلب السليم هو القلب الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله تعالى : { فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } [البقرة : ١٠] . قال أبو عثمان النيسابوري :هو القلب الخالي من البدعة ، المطمئن على السنة.(١)

١- تفسير ابن كثير.

قال الإمام الرازي : { إِلاَّ مَن أَتى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } أن يكون خاليًا عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذَّاتها.[1]

وفي البحر : { يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنونَ } للوصول إلى الحضرة لقبول الفيض الإلهي { إِلاَّ مَن أَتى اللَّهَ } عند المراقبة { بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فإنه ۛ خلق مرآة قابلة لتجلِّي صفات جمال الله وجلاله ، كما كان لآدم عليه السلام أول فطرته ، فتجلَّى فيه قبل أن يصدأ بتعلُّقات الكونين ، أشار بقوله : { إِلاَّ مَن } إلى التخلق بخلق الله والاتصاف بصفته ، إذ لم يكن القلب سليمًا بلا عيب إلا إذا كان متصفًا بطهارة قدس الحق عن النظر إلى الخلق .قال ابن عطاء: السليم الذي لا يشوشه شيء من آفات الكون .وسُئل بعضهم :بمَ تنال سلامة الصدر؟ قال :بالوقوف على حد اليقين وتركِ الإرادة في التلوين والتمكين.[2]

أقول :إذا كان القلب سالمًا من العُجب والكِبر والرياء وحب الدنيا ، وكان صافيًا مهيَّأً لنزول النور الإلهي فيه بواسطة إتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، حينذاك يرضى الله تعالى عنه لإتباعه لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويتجلى فيه عندما يطلع عليه فيراه خاليًا عن هذه الأخلاق الذميمة.

---

١ –تفسير الرازي .

٢ –تفسير روح البيان.

قال الله جلَّ وعلا : { وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف : ١٩٦] ، فإن كنت من الصالحين يتولاك الله ويدبر أمورك ، بشرط أن تتعلق به وبرسوله ظاهرًا وباطنًا ، فتتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاق القرآن الكريم.

صاحب القلب إما أن يكون كافرًا أو منافقًا – نعوذ بالله من الكفر والنفاق – أو مؤمنًا فاسقًا أو مؤمنًا صادقًا صافي القلب ، فمن كان قلبه سالمًا يكون عمله سالمًا ويكون من أهل السعادة في الآخرة بفضل الله وكرمه.

نرجو الله تعالى أن نكون منهم ، وأن تكون قلوبنا مثل قلوبهم ، وأن يقبل أعمالنا كما قبل أعمالهم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلى قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]

نزل به جبريل كما هو على قلب محمد عليه الصلاة والسلام ، كما قال : {عَلى قَلْبِكَ } أي : تلاه عليك يا محمد حتى وَعَيْتَهُ بقلبك ، فخص القلب بالذكر لأنه محل الوعي والتثبيت ، ومعدن الوحي والإلهام ، وليس شيء في وجود الإنسان يليق بالخطاب والفيض غيره ، وهو عليه الصلاة السلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من بين سائر الأنبياء ، فإن كتبهم منزلة في الألواح والصحائف جملة واحدًة على صورتهم لا على قلوبهم ، كما في التأويلات النجمية .[١]

وفي قوله تعالى : { عَلى قَلْبِكَ } قولان: **الأول** :أنه إنما قال :{ عَلى قَلْبِكَ } وإن كان إنما أنزله عليه ليؤكد به أن ذلك المنزل محفوظ للرسول متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير ، فيوثق بالإنذار الواقع منه الذي بين الله تعالى أنه هو المقصود ، ولذلك قال :{ لِتَكونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ }

١- تفسير روح البيان.

الثاني :أن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختبار ، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له ، والدليل عليه القرآن والحديث والمعقول ؛ أما القرآن فآيات ، **إحداها** :قوله تعالى في سورة البقرة (٩٧) : { **فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ** } ، وقال ههنا : {**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلى قلْبِكَ** } ، وقال :{ **إِنَّ فِي ذلِكَ لذِكرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**} [ق :٣٧].

وثانيها :أنه ذكر أن استحقاق الجزاء ليس إلا على ما في القلب من المساعي، فقال :{**لا يُؤَاخِذكمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أيمَانِكم وَ لكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كَسَبَت قُلوبُكم** } [البقرة :٢٢٥] ، وقال: { **لن يَنالَ اللَّهَ لحُومُهَا وَلا دِماؤُهَا وَ لكِن يَنالُهُ التَّقوَى مِنكم** } [الحج : ٣٧] ، والتقوى في القلب، لأنه تعالى قال :{**أُولَئِكَ الَّذِينَ امتحَنَ اللَّهُ قُلوبَهُم لِلتَّقوَى**} [الحجرات : ٣] ، وقال تعالى : { **وَحُصلَ مَا فِي الصُّدُور** } [العاديات : ١٠] **وثالثها** :قوله تعالى حكاية عن أهل النار: { **لو كنَّا نَسمَعُ أَو نَعقِلُ مَا كنَّا فِي أَصحَابِ السَّعِير** } [الملك :١٠]، ومعلوم أن العقل في القلب، والسمع منفذ إليه ، وقال : { **إِنَّ السَّمعَ وَالْبَصَرَ وَالْفؤَادَ كلُّ أُوَلئِكَ كانَ عَنْهُ مَسئُولا** } [الإسراء : ٣٦] ، ومعلوم أن السمع والبصر لا يستفاد منهما إلا ما يؤديانه إلى القلب ، فكان السؤال عنهما في الحقيقة سؤالا عن القلب ، وقال تعالى : { **يَعلَمُ خَائِنةَ الأَعيُنِ وَمَا تخفِي الصُّدُورُ** } [غافر : ١٩]،ولم تخفِ الأعين إلا بما تضمر القلوب عند التحديق بها . **ورابعها** :قوله تعالى{ } : **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تشْكُرُونَ** } [السجدة :٩] ، فخَص هذه الثلاثة بإلزام الحجة منها واستدعاء الشكر عليها ، وقد قلنا :لا طائل في السمع والأبصار إلا بما يؤديان إلى القلب ، ليكون القلب هو القاضي فيه والمتحكم عليه ، وقال تعالى:

{ وَلَقد مَكَّنَّاهُم فِيمَا إن مَكَّنَّاكم فِيهِ وَجَعَلنا لهُم سَمعًا وَأَبصَارًا وَأَفْئِدَةً فمَا أَغنَى عَنهُم سَمعُهُم وَلا أَبصَارُهُم وَلا أَفْئِدَتهُم مِن شيءٍ } [الأحقاف : ٢٦] ، فجعل هذه الثلاثة تمام ما ألزمهم من حجته، والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي فيما يؤدي إليه السمع والبصر.

وخامسها : قوله تعالى: { خَتمَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم وَعَلى سَمعِهِم وَعَلى أَبصَارِهِم } [البقرة : ٧] فجعل العذاب لازمًا على هذه الثلاثة ، وقال تعالى : { لهُم قُلُوبٌ لا يَفْقهُونَ بِهَا وَلهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِهَا وَلهُم ءَاذَانٌ لا يَسمَعُونَ بِهَا } [الأعراف :١٧٩] ، وَجْهُ الدلالة أنه قصَدَ إلى نفي العلم عنهم رأسًا ، فلو ثبت العلم في غير القلب كثباته في القلب لم يتم الغرض ، فهذه الآيات ومُشاكلها ناطقة بأجمعها أن القلب هو المقصود بإلزام الحجة ، وقد بينا أن ما قرن بذكره من ذكر السمع والبصر فذلك لأنهما آلتان للقلب في تأدية صور المحسوسات والمسموعات. وأما الحديث فما روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعته عليه الصلاة والسلام يقول :« ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه ألا وهي القلب».

وأما المعقول فوجوه :**أحدها** :أن القلب إذا غشي عليه فلو قطع سائر الأعضاء لم يحصل الشعور به ، وإذا أفاق القلب فإنه يشعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات، فدل ذلك على أن سائر الأعضاء تبع للقلب ، ولذلك فإن القلب إذا فرح أو حزن فإنه يتغير حال الأعضاء عند ذلك ، وكذا القول في سائر الأعراض النفسانية .**وثانيها** :أن القلب منبع المشاقِّ الباعثة على الأفعال الصادرة من سائر الأعضاء ، وإذا كانت

المشاقُّ مبادئ للأفعال ومنبعها هو القلب كان الآمر المطلق هو القلب .**وثالثها** :أن معدن العقل هو القلب ، وإذا كان كذلك كان الآمر المطلق هو القلب.[1]

أقول : ما قاله المفسر رحمه الله تعالى – مستدلا بالآية الكريمة – قطعيٌّ ، فقد ثبت عند أهل الدين أن الاعتبار بالقلب ، لأنه الرئيس في الجسد ، والجوارحُ خدمه ؛ فعلينا أن نرجع إلى الرئيس حتى نستفيد بواسطته من الجوارح ، وهذا لا يحصل إلا بعد تطهير القلب ، وهذا التطهير لا يحصل إلا بإرادة الله جلَّ وعلا ، كما قال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَم يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطهرَ قُلوبَهُم لَهُم فِي الدُّنيَا خِزيٌ وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة :٤١] ، ولكن لابدَّ من المجاهدة، لقوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لمَعَ الْمُحسِنِينَ } [العنكبوت :٦٩].

علينا أن نطِّهر قلوبنا من الأخلاق الذميمة والمعاصي ، ونزينها بالإخلاص وقراءة القرآن والأمور الخيرية بقدر الإمكان : { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نفسًا إلا وُسعَهَا لهَا مَا كسَبَتْ وَعَليهَا مَا اكْتسَبَتْ} [البقرة : ٢٨٦].

علينا أن نتفكَّر بهذا التطهير حتى لا تحصل الندامة بعد الموت.

اللهمَّ طهر قلوبنا من كل وصف يبعدنا عن مشاهدتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير الرازي

اللفظ الثالث عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلو نزَّلْنَاهُ عَلى بَعضِ الأَعجَمِينَ (١٩٧) فَقرَأَهُ عَليهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٨) كذلِكَ سَلَكناهُ فِي قُلوبِ الْمُجرِمِينَ (١٩٩) لا يُؤْمِنونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمِ (٢٠٠) [الشعراء: ١٩٧-٢٠٠]

قوله تعالى : { كذلِكَ سَلَكناهُ فِي قُلوبِ الْمُجرِمِينَ } أي : مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم ، وهكذا مكَّناه وقررناه فيها .وكيفما فعل بهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الجحود والإنكار .وهذا أيضًا مما يفيد تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه إذا عرف رسول الله إصرارهم على الكفر ، وأنه قد جرى القضاء الأزلي بذلك حصل اليأس ، وفي المَثلِ :اليأس إحدى الراحتين. [١]

أقول :هذا بين الله تعالى وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم ، فقد أخبره بما جرى به القلم في الأزل من أنهم لا يؤمنون ، وأما بالنسبة إلى غيره عليه الصلاة والسلام فإنهم لا يعلمون من كتب في الأزل كافرًا أو منافقًا أو فاسقًا حتى يقولوا: مادام الله كتب علينا الشقاوة فإننا لا نؤمن أو لا نعبد ، لأن هذا بالنسبة إلى الإنسان مجهول.

١-تفسير الرازي.

ما دام عِلْمُ الله الأزلي مجهولا والقرآنُ قد بيَّن أن من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى فإن الله سيحييه حياة طيبة في الدنيا ، وسيجزيه أجره في الآخرة ، فإن المنكِر إذا حوَّل كفره أو فسقه على القضاء الأزلي ولم يعمل بالشريعة والسنَّة يخسر عمره ، وذلك بسبب كفره إذا كان كافرًا أو بسبب نفاقه إذا كان منافقًا أو بسبب فسقه إذا كان مؤمنًا لكن لا يعمل بالشريعة ويبقى على فسقه ، فهؤلاء يوم القيامة قطعًا يُسألون؟ { كذلِكَ أَتتْكَ ءَايَاتُنا فَنسِيتَهَا وَ كذلِكَ الْيَومَ تُنسَى } [طه :١٢٦].

اللهمَّ اجعلنا من المؤمنين المتمسكين بكتابك وبسنَّة نبيك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنونَ) (٧٤) [النمل : ٧٤]

قوله تعالى : { وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعَلَمُ مَا تكِنُّ صُدُورُهُم } أي :ما تخفيه من الأسرار التي من جملتها عداوتك ،{ وَمَا يُعلِنونَ } أي : وما يظهرونه من الأقوال والأفعال التي من جملتها ما حكى عنهم ؛ فليس تأخير عقوبتهم لخفاء حالهم عليه سبحانه ، أو فيجازيهم على ذلك . وفعلُ القلب – إذا كان مثل الحُب والبغض والتصديق والتكذيب والعزم المصمم على طاعة أو معصية – فهو مما يجازى عليه .وفي الآية إيذان بأن لهم قبائح غير ما حكى عنهم . وتقديم الاكتنان ليظهر المراد من استواء الخفي والظاهر في علمه جلَّ وعلا ، أو لأن مضمرات الصدور سبب لما يظهر على الجوارح ، وإلى الرمز إلى فساد صدورهم التي هي المبدأ لسائر أفعالهم أُوثِرَ ما) عليه النظم الكريم على أن يقال :وإن ربك ليعلم ما يكنون وما يعلنون[١] وههنا بحث عقلي ، وهو أنه قدم ما تُكِنُّه صدورهم على ما يعلنون من العلم ، والسبب أن ما تكنه صدورهم هو الدواعي والُقصود ، وهي أسباب لما يعلنون ، وهي أفعال الجوارح ، والعلم بالعلة علة للعلم بالمعلول ، فهذا هو السبب في ذلك التقديم.

١- تفسير الألوسي.

قرئ{ **تكِنُّ**} يقال : كننت الشيء و أكننته إذا سترته وأخفيته ، يعني أنه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكايدهم.[1]

قال في بحر الحقائق :هذا يدل على أنه ما غاب عن علمه شيء من المغيبات الموجود منها والمعدوم ، واستوى في علمه وجودها وعدمها على ما هي به بعد إيجادها ، فلا تغير في علمه تعالى عند تغيرها بالإيجاد، فيتغير المعلوم ولا يتغير العلم بجميع حالاته على ما هو به .انتهى. فعلى الإنسان ترك النسيان والعصيان ، فإن الله تعالى مطلع عليه وعلى أفعاله وإن اجتهد في الإخفاء. ثم إنه ينبغي للمؤمن أن يكون سليم الصدر ولا يكن في نفسه حقدًا وحسدًا وعداوة لأحد ، وفي الحديث: « إن أول مَن يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك ، وقالوا : لو أخبرتنا بأوثق عملك ترجو به ، فقال :إني ضعيف ، وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وتركُ مالا يعنيني.[2] ففي هذا الخبر شيئان .**أحدهما** : إخباره عليه السلام عن الغيب ، ولكن بواسطة الوحي وتعليم الله تعالى، فإن علم الغيب بالذات مختص بالله تعالى .**والثاني** :أن سلامة الصدر من أسباب الجنَّة .وفي

١- تفسير الرازي .

٢- ذكره المنذري في الترغيب والترهيب بلفظ :كنَّا جلوسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ليطلُعنَّ عليكم رجلٌ من هذا الباب من أهل الجنة ، فجاء سعد بن مالك فدخل منه)

الحديث : «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» [1] ، وذلك أن المرء ما دام لم يسمع عن أخيه إلا مناقبه يكون سليم الصدر في حقه ، فإذا سمع شيئًا من مساوية واقعًا أو غير واقع يتغير له خاطره.

والنصيحة في هذا للعقلاء أن لا يصيخوا إلى الواشي والنمام والغياب والعياب ، فإن عِرْضَ المؤمن كدَمِهِ ، ولا ينبغي إساءة الظن في حق المؤمن بأدنى سبب ، وقد ورد: « الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها[2] » [3]

أقول :على المؤمن – بعد هذه النصوص القاطعة وما فسَّره المفسرون – أن يتجنب عن النميمة والوشاية .مادام رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بعدم نقل الكلام بين الناس حتى لا يؤثر على سلامة الصدر – أي القلب – علينا أن نتمسك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فالطبيعة البشرية لها أثر عظيم في إصلاح الإنسان وإصلاح قلبه ، وكذلك في إفساد الإنسان وإفساد قلبه، وإذا تغيرت سلامة القلب فإن أثر ذلك يبقى فيه ولو لم يتكلم به، إلا إذا تاب وأصلح ، فإنه حينئذ يمكن أن يزول الأثر من القلب.
الطبيعة البشرية هكذا ، لكن الإنسان لا يؤاخذ بالطبيعة الداخلية ، فقد يحب أحدًا ولا يحب آخر ، لأنه لا يحب فعله ، هذا لا يضره إذا لم يبغض ذاته التي تحمل

---

١ –أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
٢ –رواه الرافعي عن أنس رضي الله عنه ، كما جاء في تنوير الأذهان للصابوني ، عن الفتح الكبير .
٣– تفسير روح البيان.

الإيمان ، لأن الفعل غير الإيمان ، فعدم محبته لفعله المخالف لا يدل على أنه لا يحب إيمانه.

اللهمَّ ارزقنا حبَّك وحبَّ من يحبُّك وحبَّ عمل يقربنا إلى حبك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان الخامس عشر و السادس عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَصبَحَ فؤَادُ أُم مُوسَى فارِغا إِن كادَت لُتبدِي بِهِ لولا أَ ن رَبَطنَا عَلى قُلبِهَا لِتَكونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين) (١٠) [القصص : ١٠]

يقول تعالى مخبرًا عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغًا ، أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى .قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والضحاك والحسن البصري وقتادة وغيرهم.[١]

قوله تعالى : { وَأَصبَحَ فؤَادُ أُم مُوسَى } أصبح بمعنى صار ، والفؤاد :القلب ، لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤُّد أي :التحرق والتوقُّد ، كما في المفردات والقاموس . فالفؤاد من القلب كالقلب من الصدر ، يعني :الفؤاد وسط القلب وباطنه الذي يحترق بسبب المحبة ونحوها .قال بعضهم :الصدر معدن نور الإسلام ، والقلب معدن نور الإيقان ، والفؤاد معدن نور البرهان ، والنفس معدن القهر والامتحان ، والروح معدن الكشف والعيان ، والسر معدن لطائف البيان ، { فَارِغا } الفراغ خلاف الشغل ، أي صفرًا من العقل وخاليًا من الفهم ، لِما غشيها من الخوف والحيرة

١- تفسير ابن كثير.

حين سمعت بوقوع موسى في يد فرعون ، دلَّ عليه الربط الآتي ، فإنه تعالى قال في وقعة بدر : { وَلِيَربِطَ عَلى قُلوبِكم } [الأنفال : ١١] إشارة إلى نحو قوله : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلوبِ الْمُؤْمِنِينَ } [الفتح : ٤] فإنه لم تكن أفئدتهم هواء ، أي خالية فارغة عن العقل والفهم لفرط الحيرة ، { إن } أي إنها { كادَت } قاربت من ضعف البشرية وفرط الاضطراب { لَتبدِي بِهِ} لتظهر بموسى وأنه ابنها وتفشي سرها وأنها ألقته في النيل . قال في عرائس البيان :وقع على أم موسى ما وقع على آسية من أنها رأت أنوار الحق من وجه موسى ، فشفِقت عليه ، ولم يبق في فؤادها صبر من الشوق إلى وجه موسى ؛ وذلك الشوق من شوق لقاء الله تعالى ، فغلب عليها شوقه ، وكادت تبدي سِرها { لولا أَن رَبَطْنا عَلى قَلبِهَا } شدَدْنا عليه بالصبر والثبات بتذكير ما سبق من الوعد ، وهو رَده إليها وجعْله من المرسلين .والربط :الشد ، وهو العقد القوي ، { لِتَكونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } أي :من المصدقين بما وعدها الله بقوله { إِنَّا رَادُّوهُ إِليكِ } [القصص : ٧] ، ولم يقل من المؤمنات تغليبًا للذكور. [١]

أقول : سبب نسيانها وعدَ الله جلّ وعلا السابق بأن يردَّ ابنها إليها هو فرط محبتها لابنها ، ولأنها ليست نبيَّة حتى يوحى إليها بالوحي المَلكي ، بل أوحي إليها بالإلهام.

١- تفسير روح البيان

وإذا أراد الله شيئًا فلا يمكن لجميع الخلق أن يمنعوه ، فعلينا أن نكتفي بعلم ربنا ونفرح به ونحمده ونشكره على خلقه لنا ، مع ضعفنا وعجزنا وتقصيرنا.

اللهمَّ اجعلنا كذلك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السابع عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَرَبُّكَ يَعلَمُ مَا تكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنونَ) (٦٩) [القصص :٦٩]

قوله تعالى : { وَرَبُّكَ يَعلَمُ مَا تكِنُّ صُدُورُهُم } أي ما يُكِنُّون ويخفون في صدورهم من الاعتقادات الباطلة ومن عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ، { وَمَا يُعلِنونَ } وما يظهرونه من الأفعال الشنيعة والطعن فيه عليه الصلاة والسلام وغير ذلك ، ولعله للمبالغة في خباثة باطنهم – لأن ما فيه مبدأ لما يكون في الظاهر من القبائح – لم يقل :ما يُكِنُّون كما قال :ما يعلنون. [(١)]

أقول :ما دام خالقنا جلَّ وعلا يخبرنا أن علمه نافذ في باطننا مع ظاهرنا فلا بد أن ستحيي منه ، ولا نتكلم بما يخالف باطننا.

إذا قرأنا أو كتبنا أو أملينا على أحد هذه الآية الكريمة وأمثالها فإننا قطعيًا نستحيي من الله جلَّ جلاله من أفعالنا الظاهرة ، لأننا نرى فينا وفي غيرنا أن الظاهر مخالف للباطن .

فإن قلتم :كيف يُعرَف ذلك؟ نقول :الإناء ينضح بما فيه ويرشح منه مما فيه ؛ فكما أن الإنسان إذا دخل بيتًا يتحسس ريح الطعام الذي فيه،

١– تفسير الألوسي.

كذلك إذا تكلم الإنسان بما يخالف باطنه تفوح منه ريح المخالفة ، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». [١]

فعلينا أن لا نتكلَّم ظاهرًا بما يخالف الباطن ، وإذا كنا لا نعلم الباطن – وكلنا لا نعلم – فعلينا أن نكتفي بعلم الله الذي لا تخفى عليه خافية ، وإذا لم نكتفِ بعلمه تعالى ولم نستحيِ منه فإننا في الآجلة نُسأل عن هذا وُنعذَّب عليه ، فعلينا أن نتدارك الأمر هنا قبل أن نذهب.

نرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بالصدق الذي يرضى ربنا به ، لقوله تعالى: { قالَ اللَّهُ هَذا يَومُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدُقهُم لهُم جَنَّات تجرِي مِن تحتِهَا الأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ اَلْفوزُ الْعَظِيمُ } [المائدة : ١١٩]. فربُّنا يرضى عنا بالصدق ، ونحن نرضى عنه بلطفه وكرمه ورحمته وبأن يعاملنا بالفضل لا بالعدل.

فقوله تعالى :{ وَرَبُّكَ يَعلَمُ مَاتكِنُّ صُدُورُهُم } وإن كان المرادُ منه الكفارَ لكنه يشمل المؤمنين ، فإنه ولو كان سبب النزول خاصًا لكن الأمر عام ، وكلنا مسؤولون عن هذا العلم.

١– أخرجه الطبراني والترمذي من حديث أبي أُمامة رضي الله عنه.

فإن قلتم : كلنا صادقون مع الله تعالى ، نقول :أفعالنا – من معاملتنا وأمور معيشتنا – تدل على عدم صدقنا، وعلى الأقل عدم تستر أهلنا وبناتنا يدل على ذلك.

اللهمَّ اجعلنا من الصادقين واحشرنا مع الصادقين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقولُ ءامَنَّا بِاللَّهِ فإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كعَذَابِ اللَّهِ وَ لئِن جَاءَ نَصرٌ مِن رَبكَ لَيَقُوْلنَّ إنَّا كنَّا مَعَكم أَوَ ليسَ اللَّهُ بِأَعَلمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلعَالَمِينَ) (١٠)[العنكبوت : ١٠]

قوله تعالى : { أَوَ ليسَ اللَّهُ بِأَعلمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلعَالَمِينَ } أي بأعلم منهم بما في صدورهم ، من الإخلاص والنفاق ، حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والإخفاء وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة. (١)

فقد بين الله تعالى أنهم أرادوا التلبيس ، ولا يصح ذلك لهم ، لأن التلبيس إنما يكون عندما يخالف القول القلب ، فالسامع يبني الأمر على قوله ولا يدري ما في قلبه ، فيلتبس الأمر عليه ؛ وأما الله تعالى فهو عليم بذات الصدور ، وهو أعلم بما في صدر الإنسان من الإنسان ، فلا يلتبس عليه الأمر .وهذا إشارة إلى أن الاعتبار بما في القلب ، فالمنافق الذي يُظهر الإيمان ويُضمر الكفر كافر ، والمؤمن المكرَه الذي يُظهر الكفر ويُضمر الإيمان مؤمن .والله أعلم بما في صدور العالمين. (٢)

١ –تفسير روح البيان .

٢– تفسير الرازي.

أقول : من يُظهر الصدق ويُبطن خلاَفه فإن ذلك لا يلتبس على الله تعالى الذي يعلم الظاهر والباطن ، بل يلتبس على من يسمع منه ، وهذا القول منه يضر إيمانه ، كما يضر اعتقاد السامع في هذا الموضوع ، لأنه يعتمد على ظاهر المتكلم ولا يعلم ما في ضميره. الخروج من هذه الأخلاق الذميمة لا يكون إلا بالمجاهدة ، والمجاهدة لا تكون إلا بالتمسك بقول من تمسك بمن قبله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل في الحلقة التي رئيسها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، والصادقون جاؤوا بعد ذلك من كل مكان ، ويبقون إلى آخر الدنيا؛ فلا يقال :لا يوجد أحد منهم في هذا الزمان ، بل الحلقة موجودة والباب مفتوح ، لكن الذي يريد أن يدخل فيها عليه أن يطهر باطنه من الخبائث ، حتى يكون ظاهرُه إنسانًا وباطُنه مَلَكًا { وَلَقد كرَّمنا بَنِي ءَادَمَ} [الإسراء : ٧٠].

باب التوبة مفتوح كما أن باب الحلقة مفتوح ؛ باب التوبة مفتوح بنص قول الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَة عَن عِبَادِهِ} [الشورى : ٢٥] ، وباب الحلقة النورانية مفتوح بقول الله كذلك : { وَالسَّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنْهُ[التوبة : ١٠٠] ، وبقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**». [١]

نرجو الله تعالى أن نكون ملحَقين بهم ، لا نجترئ أن نقول منه م، لكن نرجو الله تعالى أن يحشرنا معهم ويُلحقنا بهم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع عشر بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(بَلْ هُوَ ءَايَات بَيِّنَات فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ وَمَا يَجحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ (٤٩)[العنكبوت :٤٩]

قوله تعالى :{ بَلْ هُوَ } أي القرآن { ءَايَات بَيِّنَات} واضحات ثابتات راسخات { فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ } من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه ، بحيث لا يقدر أحد على تحريفه .يعني كونه محفوظًا في الصدور من خصائص القرآن ، لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظرًا ، فإذا أطبقوها لم يعرفوا منها شيئًا سوى الأنبياء. وما نقل عن قارون من أنه كان يقرأ التوراة عن ظهر القلب فغير ثابت.

وفي بعض الآثار :ما حسدَتكم اليهود والنصارى على شيء كحفظ القرآن. قال أبو أمامة : إن الله لا يعذب بالنار قلبًا وعى القرآن .وقال عليه الصلاة والسلام: « القلب الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخراب» [١] ، وفي الحديث : « تعاهدوا القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلُّتًا من الإبل من عُقلها» [٢] أي :من الإبل المعقلة إذا أطلقها صاحبها ، والتعاهد والتعهد :التحفظ ، أي :المحافظة

١- أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ :(إن الذي ليس في جوفه شيء من . القرآن كالبيت الخرب)

٢ -أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

وتجديد الأمر به ، والمراد هنا الأمر بالمواظبة على تلاوته والمداومة على تكراره ، فمن سنة القارئ أن يقرأ القرآن كل يوم وليلة كيلا ينساه ، وعن النبي عليه الصلاة والسلام :

« عُرضت علي ذنوب أمتي فلم أرَ ذنبًا أكبر من آية أو سورة أُوتيها الرجل ثم نسيها[١] »

والنسيان أن لا يمكنه القراءة من المصحف ، كذا في القنية .وكان ابن عيينة يذهب إلى أن النسيان الذي يستحق صاحبه اللوم ويضاف إليه الإثم تركُ العمل به .والنسيان في لسان العرب التَّركُ . قال تعالى { :**فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ** } [الأعراف : ١٦٥] أي : تركوا .وقال تعالى : { **نَسُوا اللَّهَ** } [التوبة : ٦٧] ، أي: تركوا طاعته ، { **فَنَسِيَهُمْ** } أي : فترك رحمتهم .قال شارح الجزرية :وقراءة القرآن من المصحف أفضل من قراءة القرآن من حفظه ؛ هذا هو المشهور عن السلف ، ولكن ليس هذا على إطلاقه ، بل إن كان القارئ مِن حِفظه يحصل له التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن تساويا فمن المصحف أفضل ، لأن النظر في المصحف عبادة.

واستماعُ القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن.

قال في كشف الأسرار : قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب ، فيها براهين حقه وبينات سره ودلائل توحيده وشواهد ربوبيته ، فقانون الحقائق قلوبهم ، وكل شيء يُطلب من موطنه ومحله. [٢]

١- أخرجه أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه .

٢- تفسير روح البيان

أقول :الله يعلم ما في السرائر ، فلا بد لنا كلنا أن نكون صادقين .عدم الصدق في المعاملة الدنيوية ولو لم يكن مقبولا عند الله جلَّ وعلا لكنهم يقولون :يدبر شغله ، أما في الدين فلا يَصُلح أبدًا ، لأن الدين معاملة لله تعالى ، فلا بدَّ أن لا نخالف.

اللهمَّ اجعلنا من الصادقين ، وألحقنا بالصادقين ، يا رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَقد ضَرَبَنا لِلنَّاسِ فِي هَذا الْقرآنِ مِن كلِّ مَثلٍ وَلئِن جِئْتهُم بِآيَةٍ لَّيَقولَنَّ الَّذِينَ كَفرُوْا إِن أَنْتم إِلاَّ مُبطِلونَ (٥٨) كذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلوبِ الَّذِينَ لا يَعلمُونَ) (٥٩)
[الروم:٥٨–٥٩]

قوله تعالى : { وَلئِن جِئْتهُم بِآيَةٍ لَّيَقولَنَّ الَّذِينَ كَفرُوْا إِن أَنْتم إِلاَّ مُبطِلونَ } أي :إذا جئتهم بآية من آيات القرآن ، قالوا :جئتنا بزور وباطل، ثم قال : { كذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلوبِ الَّذِينَ لا يَعلمُونَ} أي : مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة.

ومعنى طبع الله :منع الألطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق ، وإنما يمنعها مَنْ عَلِمَ أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه ، كما يمنع الواعظ الموعظة عمن يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه ؛ فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين إياها ، فكأنه قال :كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة، حتى يُسَموا المحقّين مبطِلين، وهم أعرف خلق الله في تلك الصفة. (١)

١– تفسير الكشَّاف.

أقول :إن هذه الآيات وإن كانت في حق الكافرين لكنها تجرُّ ذيلها على المؤمنين إذا كانت فيهم هذه الصفات ، فلا يمكن لمؤمن أن يُخرج نفسه من تحت هذه التهديدات الإلهية.

لا بد للمؤمن أن يصبر على مخالفة النفس، وأن لا يتفكر أنه لا يمكنه أن يخالفها طول العمر ، فهذا التفكير يدل على أن إيمانه بيوم القيامة وبالحساب وبالحشر ضعيف .مهما طال عمر الإنسان في الدنيا فإنه في النهاية يموت ، ويجد في الآخرة لذة وسعادة مخالفته لنفسه ، ويجد رضا ربه جلَّ وعلا بذلك.

وإذا لم يصبر على مخالفة النفس فإن هذا العمر له انتهاء ، فكيف يصبر في الآخرة على عذاب الله تعالى الدائم أو المؤقت بقدر ذنبه ؟ وكيف يصبر على الاستحياء بحضور خالقه وبحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزنه على مخالفته ؟ أليس ذلك أشد من مخالفة النفس الأمارة : { فلا تَغرَّنَّكمُ الْحَيَاةُ الدُّنيَا وَلا يَغرَّنَّكم بِاللَّهِ الْغَرُور } [فاطر :٥].

اللهمَّ عامِلنا بفضلك يا أرحم الرَّاحمين ، ووجه قلوبنا إليك ، وخلِّصنا من النفوس الأمارة ومن شياطين الإنس والجن.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَن كَفرَ فلا يَحزُنكَ كُفْرُهُ إليَنا مَرجِعُهُم فَننَبئُهُم بِمَا عَمِلوا إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) [لقمان: ٢٣]

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } أي :لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم ، فينبئهم بما أضمرته صدورهم .وذات الصدور هي المهلك. [١]

أقول : لكل إنسان ظاهر وهو جوارحه ، وباطن وهو قلبه، فعلينا – معشر المؤمنين – كما أننا إذا أردنا أن نصلِّي نطهر أعضاءنا حتى تصح الصلاة ، علينا أولا أن نطهر قلوبنا حتى يصحّ إيماننا وصلاتنا واجتنابنا للمعاصي ويثبت في قلوبنا أن الله جل جلاله مطلع على قلوبنا ، كما قال جلّ وعلا : { وَلَقَد خَلقَنَا الإِنسَانَ وَ نعلَمُ مَا توَسوِسُ بِهِ نَفْسُهُ } [ق : ١٦] ، فهو سبحانه يعلم ما في الصدور ، لأنه يعلم السر وأخفى . والسرّ مثل قرص الكومبيوتر(CD) . إذا وضعت فيه أي علم عندما تشغله يظهر فيه ، فإذا طهر القلب لا يخرج في ظاهره ولا في باطنه إلا ما كان موافقًا لرضا ربه جلَّ وعلا.

---

١ –تفسير الرازي.

فسبيل السعادة والشقاوة في الدنيا ، كما قال تعالى : { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان :٣] ، وثمرة ذلك في الآخرة.

ما دمنا نعيش في الدنيا ولم نذهب إلى الآخرة ، فعلينا أن نتمسك بشرع الله تعالى وسّنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونترك الأخلاق الذميمة والمعاصي ، ونكثر من ذكر (لا إله إلا الله) ، ومن الصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، مع الإخلاص في العبادة ، حتى يُطهَّرَ القلبُ ، وُنعَدّ بفضل الله جلَّ وعلا وكرمه من أهل السعادة.

اللهمَّ اجعلنا من سعداء الدنيا والآخرة يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تشكرُونَ) (٩) [السجدة :٩]

قوله تعالى : { ثمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخ فِيهِ مِن رُوحِهِ } أي : ثم سوى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقًا سويًا معتدلا ، ونفخ فيه من روحه فصار حيًا ناطقًا[1] ، { وَجَعَلَ} وخلق { لَكُمُ } لمنافعكم يا بني آدم {السَّمعَ } لتسمعوا الآيات التنزيلية الناطقة بالبعث وبالتوحيد { وَالأَبصَارَ } لتبصروا الآيات التكوينية المشاهدة فيهما { وَالأَفْئِدَةَ } لَتعقلوا وتستدلوا بها على حقيقة الآيتين .جمعُ فؤاد ، بمعنى القلب ، لكن إنما يقال فؤاد إذا اعُتبر في القلب معنى التفؤُّد ، أي التوقد . { قَلِيلا مَا تشكُرُونَ } أي تشكرون رب هذه النعم شكرًا قليلا ، على أن القلة بمعنى النفي والعدم ، فهو بيان لكفرهم بتلك النعم وربها .وفيه إشارة إلى أن قليلا من الإنسان يعرف نفسه بالمرآتية ليعرف ربه بالمحسنية المتجلي فيها ، وقد خلقه الله تعالى لمعرفة ذاته وصفاته ، كما قال : { وَمَا خَلقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعبُدُونِ } [الذاريات :٥٦] ، أي ليعرفون .وإنما يصل الإنسان إلى مرتبة المعرفة الحقيقية بدلالة الرسول ووراثه. [2]

---

١ –تفسير الطبري .

٢ –تفسير روح البيان.

الترتيب في السمع والأبصار والأفئدة على مقتضى الحكمة ، وذلك لأن الإنسان يسمع أولاً من الأبوين أو الناس أمورًا فيفهمها ، ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرة فيبصر الأمور ويجربها ، ثم يحصل له بسبب ذلك إدراك تام وذهن كامل ، فيستخرج الأشياء من قِبَلِهِ . ومثاله شخص يسمع من أستاذ شيئًا ثم يصير له أهلية مطالعة الكتب وفهم معانيها ، ثم يصير له أهلية التصنيف فيكتب من قلبه كتابًا ، فكذلك الإنسان يسمع ثم يطالع صحائف الموجودات ثم يعلم الأمور الخفية.[1]

أقول : في قوله تعالى : { وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ } أضاف الله جلَّ وعلا الروح إليه تشريفًا وتكريمًا للإنسان ، وهي إضافة مُلكٍ إلى مالكٍ ومخلوق إلى خالق ، فلا بد للإنسان أن يعرف ما تكرَّم الله به عليه بهذا التشريف والتكريم ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ } [الإسراء : ٧٠] ، ولكن شرط تكريم الإنسان إتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فبالإتباع يكون الإنسان مُكرَّمًا ومشرَّفًا ومحبوبًا عند خالقه جلَّ وعلا ، ومن رحمته بعباده قال جلَّ وعلا : { قُلْ إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران : ٣١] ، فقد رتَّب محبته الأبدية الباقية على اتباع عباده لرسوله صلى الله عليه وسلم .هذا التوجيه من رحمته وكرمه سبحانه وتعالى على عباده ، وإلا فإنه عزّ وجل غني عن العالمين، وليس محتاجًا لأن نتبع رسوله عليه الصلاة والسلام حتى يحبنا.

١- تفسير الرازي

لو تفكرت في هذه الفائدة العظيمة الجسيمة فإنك – إذا لم تؤثر الذنوب على عقلك ولم يخرب وجدانك – تحاول بقدر ما تستطيع أن لا تترك إتباع رسولك صلى الله عليه وسلم ، حتى تكون محبوبًا عند الله تعالى.

سيدنا محمَّد المصطفى عليه الصلاة والسلام بشر ، ونحن كذلك بشر ، فوجَّهَنا سبحانه وتعالى إلى إتباع البشر ، لأن ذلك ليس فيه مشقة ولا تعب ، وليس خارجًا عن الاستطاعة ، وثمرته المحبوبية من الله تعالى ، ومرتبة المحبوبين فوق مرتبة المحبين.

اللهمَّ اجعلنا من الذين اتبعوا رسولك عليه الصلاة والسلام.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكم وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكم أَبْنَاءَكم ذلِكم قَوْلكم بِأَفوَاهِكم وَاللَّهُ يَقولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ) (٤) [الأحزاب :٤]

قوله تعالى : {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } أي : ما جمع قلبين في جوفٍ ، لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني أولاً ، ومنبع القوى بأسرها ، وذلك يمنع التعدد. [١]

قال بعضهم :هذا رد على ما كانت العرب تزعم من أن للعاقل المجرب للأمور قلبين . ولذلك قيل لأبي معمر : ذي القلبين ، وكان من أحفظ العرب وأدراهم وأهدى الناس إلى طريق البلدان ، وكان مبغضًا للنبي عليه الصلاة والسلام ، وكان هو أو جميل بن أسد يقول : في صدري قلبان أعقل بهما أفضل مما يعقل محمد بقلبه ، وكان الناس يظنون أنه صادق في دعواه ، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم فيهم وهو يعدو في الرمضاء ، وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله ، فلقيه أبو سفيان وهو يقول :أين نعلي أين نعلي؟ ولا يعقل أنها في يده ، فقال له :إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده .وفي

١- تفسير البيضاوي.

الآية إشارة إلى أن القلب خلق للمحبة فقط ، فالقلب واحد والمحبة واحدة ، فلا تصلح إلا لمحبوب واحد لا شريك له ، فمن اشتغل بالدنيا قالبًا وقلبًا ثم ادعى حب الآخرةبل حب الله فهو كاذب في دعواه.[1]

أقول :لفظ القلب يُطلق لمعنيين :المعنى الأول :القلب الصنوبري ، وهو ليس محل المعرفة والعلوم ، ويوجد في الحيوان كذلك .أما المعنى الثاني للقلب فهو لطيفة ربانيَّة روحانية لها علاقة بالقلب الجسماني ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهذا القلب هو المخاطب والمعاَقب والمعاَتب والمطاَلب .وقد تحيَّرت عقول أكثر الخلق في إدراك حقيقة تعلقه بالقلب الجسماني ، فإن تعلُّقه به يُضاهي تعلُّق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات ، كما ذكر ذلك الإمام الغزالي في الإحياء في كتاب شرح عجائب القلب .نقول :وهذا التعلُّق معنوي ، وهو كتعلق المغناطيس بالحديد ، بحيث يجذبه قبل أن يصل إليه.

اللهمَّ اصرف عن قلوبنا كل ما يشغلها عنك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- تفسير روح البيان

اللفظ الرابع و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(ادعُوهُم لآبَائِهِم هُوَ أَقْسَط عِنْدَ اللَّهِ فإن لم تعلَمُوا ءَابَاءَهُم فَإِخْوَانُكم فِي الدينِ وَمَوَالِيكم وَ ليسَ عَليكم جُنَاحٌ فِيمَا أَخطأْتم بِهِ وَلكِن مَا تعَمَّدَتْ قُلوبُكم وَكَانَ اللَّهُ غُفورًا رَحيمًا) (٥) [الأحزاب :٥]

قوله تعالى : { **ادعُوهُم لآبَائِهِم هُوَ أَقْسَط عِنْدَ اللَّهِ فإن لم تعلَمُوا ءَابَاءَهُم فَإِخْوَانُكم فِي الدينِ وَمَوَالِيكم** } أي : ردوا نسب هؤلاء الذين جعلتموهم لكم أبناء إلى آبائهم الأصلاء ، فهذا هو العدل والقسط والصدق في النسب ، فإن لم تعرفوا آباءهم الحقيقيين فهم إخوانكم في الإسلام وأولياؤكم في الدين ، فليقل أحدكم : يا أخي ، و يا مولاي ، يقصد بذلك أخوة الدين وولايته ، { **وَ ليسَ عَليكم جُنَاحٌ فِيمَا أَخطأْتم بِهِ وَلكِن مَا تعَمَّدَتْ قُلوبُكم وَكَانَ اللَّهُ غُفورًا رَحيمًا** } أي : ليس عليكم إثم ولا ذنب فيمن نسبتموهم إلى غير آبائهم مخطئين ، بالسهو أو النسيان أو بطريق الشفقة والحنان ، كقول القائل :يا ابني أو يا بني أو يا أبي بطريق الاحترام والتعظيم، ولكن الإثم فيما تعمدته قلوبكم بعد النهي ، وكان الله واسع المغفرة عظيم الرحمة بالعباد .روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (إن زيد بن حارثة مولى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنَّا ندعوه إلا" زيدَ بن محمد "، حتى نزل القرآن:
{ ادعُوهُم لآبَائِهِم هُوَ أَقْسَط عِنْدَ اللَّهِ } ، فصرنا نقول بعد ذلك :زيد بن حارثة). (١)

أقول :الوقوع في المنهي عنه لا يؤاخذ العبد عليه مادام لم يثبت به العزم ولا الهمُّ ولم يعقد عليه قلبه ، بل وقع فيه بالخطأ أو بعدم العلم بأنه منهي عنه ، فإذا لم يعقد عليه قلبه { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نفسًا إلاَّ وُسعَهَا} [البقرة : ٢٨٦] ، وإذا انتبه إلى الخطأ عليه أن يستغفر ويرجع إلى الله تعالى جلَّ جلاله { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ ٱليُسرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسر } [البقرة :١٨٥].

وعلامة الخطأ وعدمِ العلم بالمنهي عنه اللجوءُ والتضرع إلى الخالق جلَّ وعلا بعد العلم ، وهو أرحم الرَّاحمين بعباده . نرجو الله تعالى أن يعفو عنَّا : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيئَاتِ } [الشورى :٢٥] ، فإذا وقع العبد في المنهي عنه خطأ بدون عمد ولا قصد يُرفع عنه إن شاء الله تعالى ، لأن الله جلَّ وعلا قال : { وَ ليسَ عَليكم جُنَاحٌ فِيمَا أَخطأْتم بِهِ } فقد قيّد عدم المؤاخذة بالخطأ ، لكن إذا وقع الإنسان بالمنهي عنه عمدًا فلا شك أنه مؤاخذ ، لقوله تعالى: { وَلَكِن مَا تعَمَّدَتْ قُلوبُكم }، والعفو عند الله .وفي نهاية الآية الكريمة يقول الله جلَّ وعلا : { وَكَانَ اللَّهُ غُفورًا رَحِيمًا } هذا يدل على عدم مؤاخذة العبد بالوقوع في المنهي عنه إذا وقع خطأً أو نسيانًا ثم رجع وتاب إلى الله تعالى.

١- التفسير الواضح الميسر.

ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربَّنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربَّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنَّا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ الخامس و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذ جَاءُوكم مِن فوقِكم وَمِن أَسَفلَ مِنكم وَإِذْ زَاغتِ الأَبصَارُ وَبَلَغتِ الْقُلوبُ الْحَناجِرَ وَ تظنُّونَ باللَّه الظُّنونَا) (١٠) [الأحزاب : ١٠]

قوله تعالى : { مِن فوقِكم } أي من جانب الشرق { وَمِن أَسَفلَ مِنكم } من جانب الغرب، وهم أهل مكة. [١] {وَإِذْ زَاغتِ الأَبصَارُ} مالت عن مستوى نظرها حَيرة وشخوصًا. [٢] { وَبَلَغتِ الْقُلوبُ الْحَنَاجِرَ } جمع حنجرة وهي الحلقوم ، مدخل الطعام والشراب ، أي بلغت رأس الغلصمة من خارج رعبًا وغمًا ، لأن الرئة تنتفخ من شدة الفزع والغم ، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ، وهو مشاهد في مرض الخفقان من غلبة السوداء . قال قتادة :شخصت عن أماكنها ، فلولا أنه ضاق الحلقوم بها عن أن تخرج لخرجت .وقال بعضهم :كادت تبلغ ، فإن القلب إذا بلغ الحنجرة مات الإنسان . فعلى هذا يكون الكلام تمثيلا لاضطراب القلوب من شدة الخوف وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة .واعلم أنهم وقعوا في الخوف من وجهين ، الأول :خافوا على أنفسهم من الأحزاب ، لأن الأحزاب كانوا أضعافهم ، والثاني :خافوا على ذراريهم في المدينة بسبب أنْ نَقضَ بنو قريظة العهد ، وقد قاسوا شدائد البرد

---

١ –تفسير الرازي .

٢ –تفسير البيضاوي.

والجوع ، كما قال بعض الصحابة :لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادًا ، وربط عليه الصلاة والسلام الحجر على بطنه من الجوع ، وهو لا ينافي قوله : « إني لست مثلكم إني أبيت عند ربي يطعمني ربي ويسقين» (١) ، فإنه قد يحصل الابتلاء في بعض الأحيان تعظيمًا للثواب. (٢)

أقول :الذي يحصل له الخوف على أولاده أو على نفسه عليه أن يتوكل على الله جلَّ وعلا الذي خلقه من العدم وأوجده إلى الوجود ، وهو أرحم به من نفسه ، لكن الشدة وتلك الحالة التي ذكرها المفسرون – رحمهم الله تعالى – تحصل بالطبيعة البشرية ، لكن في هذا الزمان ليس هناك مثل تلك الشدة ولا تلك الحروب.

علينا أن لا ننزل من الاعتقاد الصحيح إلى مستوى النفس الأمَّارة والشيطان حتى يضيق صدرنا ، فنكون بذلك من الذين يظنون بالله ظن السوء.

نرجو من الله تعالى جلّ جلاله أن يوفِّقنا ويعطينا الثبات والاعتماد عليه ، ولو كان مع التمسك بالأسباب ، لأن الأسباب سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتوكل على الله أقوى { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنونَ } [التوبة : ٥١] ، هذا كلام رب العالمين ليس كلام المفسرين.

---

١ –أخرجه البخاري ومسلم بلفظ :قالوا نراك تواصل يا رسول الله ، قال : « لست كأحدكم أَبيت عند ربي يطعمني ويسقين»
٢ –تفسير روح البيان.

علينا أن نستحيي من أن هذه الشدائد كلها وقعت بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وبرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقول الكفار" :لا إله إلا الله محمَّد رسول الله "أو يعطوا الجزية ونحن نتساهل في أمور الدين ، فنأكل ونشرب ولا نتفكَّر في ذلك الضيق الذي وقع بهم ، كأننا لسنا منهم – نعوذ بالله – أَخذنا بالطبيعة البشرية وبَعُدنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مقتضى الإسلام بسهولة ، نقول :أهل أوربَّا هكذا يقولون وهكذا يعيشون ، ونساؤهم هكذا يدرُسنَ مع الاختلاط ، ولا نتفكر بأن هذه الحياة لها نهاية ، وأننا سنموت كما تموت الدنيا ، كيف نجيب الله تعالى إذا سألنا عن إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وإتباع الصحابة رضي الله عنهم؟ علينا أن نرجع إلى كتابنا وإلى رسولنا ، فهذا ديننا.

نحن من أمَّة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، فلا بد أن نكون ممن قال الله فيهم :{ كُنْتم خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتؤْمِنونَ بِاللَّهِ } [آل عمران : ١١٠] ، هذه الخيريَّة لها شرطان :الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان .لا نشك في إيمان أحد ، ولكنكم تعيشون في الدنيا بين الناس وتقرؤون سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام فالحُكم لكم ، أنتم تحكمون على أنفسكم.

نرجو الله تعالى أن ينفعنا بكتابنا وبسنة رسولنا عليه الصلاة والسلام ، وأن لا يخرجنا من الدنيا إلا مع الإيمان.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذْ يَقولُ الْمُنافِقونَ وَالَّذينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ مَا وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غرُورًا) (١٢) [الأحزاب :١٢]

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } ضعف اعتقاد .فإن قلت : ما الفرق بين المنافق والمريض؟ قلت :المنافق من كذَّب الشيء تكذيبًا لا يعتريه فيه شك ، والمريض من قال الله تعالى في حقه : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعبُدُ اللَّهَ عَلى حَرفٍ فإِن أَصابَهُ خَيرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِن أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلبَ عَلى وَجهِهِ } [الحج :١١] ، كذا في الأسئلة المقحمة .قال الراغب :المرض :الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان ، وهو ضربان : جسمي ونفسي، كالجهل والجبن والنفاق ونحوها من الرذائل الخُلقية، وشبهَ النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل ، كالمرض المانع عن التصرف الكامل ، وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله :{ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لهِيَ الْحَيَوَانُ } [العنكبوت: ٦٤] ، وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل بدن المريض إلى الأشياء المضرة .

١– تفسير روح البيان.

أقول :ميَّز الله تعالى في هذه الآية الكريمة بين المنافقين وبين الذين في قلوبهم مرض لأن المنافقين خارجون من الدين باعتقادهم، أما المرض الذي هو الأخلاق الذميمة في قلب المؤمن فإنه يجعله فاسقا ً، لأنه إذا رأى عملا صالحًا لا يضر دنياه ولا جسده يتبعه ويستقيم عليه ، أما إذا كان العمل يضر دنياه أو جسده فإنه ينحرف عن تلك الاستقامة ؛ وذلك من ضعف اعتقاده وضعف إيمانه .أما المؤمن القوي فإنه يخالف هذه الطبيعة المذمومة ويبقى على اعتقاده وإيمانه الصحيح ، سواء أضر بدنياه أو بجسمه أو لا ؛ وأما المنافق فإنه لا يوصف بالإيمان إلا ظاهرًا، وهو خارج عن هذا الموضوع ، فهو ليس مريضًا فقط ، بل لا يُقِرُّ بالإيمان بالحشر بعد الموت وغير ذلك من الأمور الغيبية ، فهو كافر ، لكنه يحفظ عنَقه من السيف وأموآله من السلب بإظهاره للإيمان.

قد يعبَّر عن قلوب الكفار والمنافقين بأن فيها مرض وعن قلوب الفسَّاق من المؤمنين بأنَّ فيها مرض ، ولكن هذا المرض ليس مثل ذلك المرض ؛ المرض الذي في قلب المنافق والكافر يُخرجه عن الإيمان ، أما المرض الذي في قلب الفاسق من المؤمنين فلا يُخرجه عن الإيمان.

اللهمَّ سلِّم قلوبنا من الأمراض يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السابع و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِن أَهلِ ٱلكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِم وَقذف فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ فرِيقًا تَقْتُلونَ وَتَأْسِرُونَ فرِيقًا) (٢٦) [الأحزاب :٢٦]

قوله تعالى :{ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِن أَهلِ ٱلكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِم } أي : وأنزل تعالى يهود بني قريظة الذين أعانوا المشركين ونقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقلبوا على رسول الله وأصحابه أنزلهم من حصونهم وقلاعهم .[١]

{ وَقذف فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ} أي :الخوف والفزع ، بحيث سلَّموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر، حسبما ينطق به قوله تعالى :{ فرِيقًا تَقْتُلونَ } يعني رجالهم{ وَتَأْسِرُونَ فرِيقًا } يعني نساءهم و صبيانهم ، من غير أن يكون من جهتهم حركة فضلاً عن المخالفة .[٢]

أقول :يُفهم من هذه الآية الكريمة أن نقض العهد مع الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يليق بالمؤمنين ، لأن الله جلَّ وعلا قال :{ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذوهُ وَمَانهَاكم عَنْهُ فأنْتَهُوا} [الحشر :٧] ، هذا هو إتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فيجب على المؤمن أن لا ينحرف عن القرآن الكريم وعن السنَّة النبويَّة ؛

١ –التفسير الواضح الميسر .
٢ –تفسير روح البيان

ولذا قال تعالى: { قلْ إِن كَانَ ءابَاؤُكم وَأَبنَاؤُكم وَإِ خوَانُكم وَأَزوَاجُكم وَعَشِيرَتكم وَأَموَالٌ اقتَرَفْتمُوهَا وَتِجَارَة تخشونَ كسَادَهَا وَمَسَاكِنُ ترضَونَهَا أَحَبَّ إِليكم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَترَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمرِهِ وَاللَّهُ لا يَهدِي الْقَومَ الْفاسِقِينَ } [التوبة : ٢٤] .

هذا العهد الذي عاهدناه لله بأن يكون أحبَّ إلينا من أنفسنا ، ووعدناه أن لا ننقض العهد معه وأن نتبع رسوله عليه الصلاة والسلام يجعل من غير اللائق بالمؤمن أن يخالف ، فإذا خالف خطأً أو نسيانًا عليه أن يرجع إلى الله بالتوبة الصحيحة لا توبة المصر على الذنب ، وعلماؤنا يقولون :توبة المصر على الذنب ليست مقبولة ، بل عليه أن يقطع ويترك المعاصي.

نرجو الله تعالى أن يقبل توبتنا ويوجهنا إليه ولا يغرَّنا بهذه الدنيا الفانية.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسُتنَّ كأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتنَّ فلا تخْضَعنَ بِألْقولِ فيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قلْنَ قولاً مَعرُوَفا) (٣٢) [الأحزاب :٣٢]

قوله تعالى : { يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسُتنَّ كأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ } المعنى : لسُتن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف بسبب صحبة النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن المضاف إلى الشريف شريف[١] ، { إِنِ اتَّقيُتنَّ } مخالفة حكم الله ورضا رسوله ، وهو استئناف ، والكلام تام على أحد من النساء ، ويحتمل أن يكون شرطًا لِخيْرِيتِهن وبيانًا أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي عليه الصلاة والسلام ، { فلا تخْضَعنَ بِألْقولِ } عند مخاطبة الناس، أي لا تجِبْنَ بقولكن خاضعًا لينًا مثل قول المطمعات ، والخضوع : التطامن والتواضع والسكون .والمرأة

١- وعلى هذا فالمؤمنون والمؤمنات كلُّهم شرفاء لأنهم منسوبون إلى الإيمان، لأن الله يرضى لعباده الإيمان ولا يرضى الكفر والفسوق والعصيان.

ما دمنا نحن وأزواجنا وبناتنا منسوبون إلى الإيمان بالله ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلينا أن نحفظ هذا الشرف، وأن لا نقع في الريبة كما شاع في زماننا هذا من اختلاط النساء بالرجال.

الله تعالى أنعم على البنت بالجمال والحُسن والعقل لتستعمل هذا العقل في آخرتها، فإذا خالفت أمر الله وإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها إذا ماتت – وهي بالضرورة تموت – عندئذ تنقلب تلك النعمة الجسيمة عليها عذابًا ونقمة في القبر .هذا ليس شأن المؤمن .الذي يتفكَّر في إيمانه وفي اعتقاده الصحيح لا يعمل هكذا.هذه الآية الكريمة وإن كانت في حق نساء النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا الحكم عام، لذلك نحن مسئولون عن هذه المخالفات.

والله ولي التوفيق .نسأل الله تعالى السلامة لنا وللمؤمنين والمؤمنات جميعًا

مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع ، فإذا أتى الرجل باب إنسان وهو غائب فلا يجوز للمرأة أن تلين بالقول معه وترقق الكلام له ، فإنه يهيج الشهوة ويورث الطمع ، كما قال : { فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } أي : محبة فجور ،{ وَقُلْنَ قَولاً مَعرُوفا } بعيدًا من التهمة والأطماع ، بجد وخشونة لا بتكسر وتغنُّج كما يفعله المخنَّث ، فالزنا من أسباب الهلاك المعنوي ، كالمرض من أسباب الهلاك الصوري ، وسببه الملاينة والمطاوعة. [1]

اللهم احفظ المسلمين ونساءهم من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١–تفسير روح البيان .

اللفظ التاسع و العشرون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(تُرجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتؤْوِي إِليكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتغيت مِمَّن عَزَلْتَ فلا جُناحَ عَليكَ ذلِكَ أَدْنى أَن تَقرَّ أَعيُنهُنَّ وَ لا يحزَنَّ وَيَرضَين بِمَا ءَاتَيتَهُنَّ كلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا فِي قُلوبكم وَكانَ اللَّهُ عَليمًا حَليمًا) (٥١) [الأحزاب :٥١]

قوله تعالى : { وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا فِي قُلوبِكُم }خطاب له صلى الله عليه وسلم ولأزواجه المطهرات ، على سبيل التغليب .والمراد بما في القلوب عام ، ويدخل فيه ما يكون في قلوبهن من الرضا بما دبر الله تعالى في حقِّهن من تفويض الأمر إليه صلى الله عليه وسلم. [١]

{ وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا فِي قُلوبِكم } من الضمائر والخواطر ، فاجتهدوا في إحسانها، { وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا } مبالغًا في العلم ، فيعلم ما تبدونه وما تخفونه ، { حَلِيمًا } لا يعاجل بالعقوبة، فلا تغتروا بتأخيرها [٢] فإنه إمهال لا إهمال. [٣]

---

١ –تفسير الألوسي .

٢ –علينا أن لا نكون على هذا الوصف حتى لا نكون من فساق المؤمنين – كما قال المفسرون رحمهم الله

–علينا أن لانغَرَّ بعدم إهلاكنا في الدنيا، فإن مخالفتنا تضرنا في الآخرة.

٣ –تفسير روح البيان

أقول :سواء رضيت الزوجة عن زوجها أولم ترضَ فإنه نصيبُها وقسمُتها ، سواء كان ذا خُلق ، ذا دينٍ ، ذا مالٍ ، أو لم يكن ، فعليها أن تحفظ حدود ما أمرها الله جلَّ وعلا به ، لئلا تكون سببًا للخلافات والمناقشات التي قد توصل إلى ما يحصل لبعضهن.

على الأزواج أن يتحمَّلوا أقوال وأخلاق النساء التي تدخل في مجال التحمُّل ، بخلاف ما لا يدخل في التحمل من أمور الغيرة ، فإن تحمل أخلاق النساء من شؤون الرجال الكمَّل .علينا – إذا لم توجد المودة – أن نأخذ بالرحمة ، كما قال الله تعالى : { وَجَعَلَ بَيَنكم مَوَدَّة وَرَحمَة } [الروم : ٢١].

وعلى الزوجات أن يكنَّ صالحات قانتات حافظات للغيب وحافظات للمال وحافظات للعفَّة وحافظات للدين ، هذه وظيفة المرأة ، وتفوض أمرها بعد ذلك إلى الله تعالى.

فكما أنه للرجال على النساء حق ، كذلك للنساء على الرجال حق . حفظ هذه الحقوق واجب في الشريعة الغرّاء على المؤمنين ، ولا يجوز أن تكون العلاقة مبنيَّة على تكبر الرجال وترفعهم على النساء فيظلمونهن ، بل على أسس المعاملة الحسنة ، لأن الله تعالى قال : { إنَّ أكْرَمَكم عِنْدَ اللَّهِ أَتَقاكم} [الحجرات :١٣]. فيمكن أن تكون المرأة أتقى من الرجل.

اللهمَّ اجعلنا من المتقين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان الثلاثون والحادي والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا لا تَدخُلوا بُيُوت النَّبِي إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لكم إِلى طَعَامٍ غيرَ ناظِرِينَ إِنَاهُ وَلكِن إِذا دُعِيتُم فَادخُلوا فإِذا طعِمْتم فانْتَشِرُوا وَلا مُستَأْنِسِين لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكم كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فيَستحيِي مِنكم وَاللَّهُ لا يَستحيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذا سَأَلْتمُوهُنَّ مَتاعًا فاسألوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذلِكم أَطْهَرُ لِقُلوبِكم وَ قُلوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لكم أَن تؤْذوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكحُوا أَزوَاجَهُ من بَعدِه أَبَدًا إِنَّ ذلكم كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظيمًا) (٥٣) [الأحزاب :٥٣]

قوله تعالى : **{ ذلِكم }** أي : سؤال المتاع من وراء الحجاب **{ أَطْهَرُ لِقُلوبِكم وَقُلوبِهِنَّ}**

أي أكثر تطهيرًا من الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية ، فإن كل واحد من الرجل والمرأة إذا لم يرَ الآخر لم يقع في قلبه شيء.

قال في كشف الأسرار: نَقَلهم عن مألوف العادة إلى معروف الشريعة ومفروض العبادة ، وبين أن البشر بشر وإن كانوا من الصحابة وأزواج النبي عليه الصلاة والسلام ، فلا يأمن أحد على نفسه من الرجال والنساء ، ولهذا شدد الأمر في الشريعة بأن لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمية ، كما قال عليه الصلاة والسلام :« لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان[١] ».[٢]

١- أخرجه أحمد في مسنده وصححه الحاكم وابن حبان .

٢- تفسير روح البيان.

أقول :هذا الحكم لأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم جميعًا ، فكيف حال المسلمين في هذا العصر من الاختلاط بين الرجال والنساء وعدم الاهتمام بهذه الآية الكريمة؟ إذا قلنا :هذا متعلِّق بزمن الصحابة ولا يمكن أن يطبَّق ولا ينفَّذ الآن على المسلمين والمسلمات نكون قد أبطلنا أحكام الشريعة ، وإذا قلنا :الرجال والنساء في هذا العصر أطهر وأوثق منهم رضي الله تعالى عنهم فهذا لا يقبله الشيطان ، فكيف يقبله المؤمن؟ بقي شيء ثالث :وهو أن نقِرَّ ببُعدنا عن الشريعة المحمَّديَّة ، وبتخلُّقِنا بالأخلاق الغربيَّة .الغرب أخلاقهم كفريَّة ، أما أنت يامَن تصلِّي وتصوم وتحج كيف تسوق بنتك إلى الرجال؟ أين الإيمان؟ أين الاتِّباع؟ أين الاستحياء من الله؟ أين حفظ العفة والأدب؟ عليك أن تتفكر بهذا .ارجع إلى الله بالتوبة النصوح ، وامنع بناتك ونساءك من الاختلاط ، حتى لا تكون هذه اللذائذ الفانية والأخلاق المخالفة سبب فناء آخرتهن.

حفظنا الله وإياكم والمسلمين جميعًا، ولكن هذا ليس شأنَ المؤمنين ، ليس من شأن المسلمين هذه الشناعة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ الثاني والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَئِن لم يَنْتهِ الْمُنافِقونَ وَالَّذِين فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ وَالْمُرجِفُونَ فِي الْمَدِيَنةِ لُنغْرِيَنَّكَ بِهِم ثمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلا) (٦٠) [الأحزاب :٦٠]

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } ضعف إيمان وقلة ثبات عليه ، أو فجور من تزلزلهم في الدين وما يستتبعه مما لا خير فيه ، أو من فجورهم وميلهم إلى الزنى والفواحش. [١]

أقول :لا نحكم على أحد من المؤمنين والمؤمنات بالفسق ومرض القلب. والذي انتبهت روحه وخلصت من سيطرة النفس الأمارة عليه أن لا يبرئ نفسه من خبائثها ، كما قال سيدنا يوسف عليه السلام : { وَمَا أُبَرئُ نفسِي إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَة بِالسُّوءِ } [يوسف : ٥٣]، لأن النفس البشرية أمَّارة بالسوء { إلاَّ مَا رَحِمَ رَبي} هذا مستثنى.

الذي يقف على خباثة نفسه يعلم ما ينزل في زوايا قلبه من الشيطان وما يأتي من الرحمن بواسطة الملائكة ، فإذا وقف على هذا عليه أن يتجنَّب المخالفة قبل الوقوع .

لكن صاحب هذا الوصف هو بإيمانه يحكم على قلبه ، نحن لا نحكم على

١– تفسير روح البيان.

قلبه ولا نعرف ؛ المطّلِع هو الله ، والمتكلِّم هو الله : { وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ}. فصاحب الإيمان المطلع على زوايا قلبه هو يحكم على نفسه بنفسه ، عندئذ – إن شاء الله – يكون جيدًا ، والله يعينه . ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي رضي الله عنه : « يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الأخرى » [١] إذا لم يحصل تحرُّك الشهوة كيف يحصل النظر إلى النساء؟ ، فمحلُّ الكلِّ هو القلب.

الطريق والتقوى يأمران بالانتباه إلى هذه الأمور الخفية ، ولذا فإن مفتاح السير والسلوك القلبي ووسائل التحرُّك الروحي باتجاه الله تعالى والمنع عن الرذائل ما هي إلا ذكر الله .السلوك القلبي :بالمجاهدة ، والوسائل الروحية :بتوجيه الروح إلى موافقة الله ، والابتعاد عن مخالفته. المراد من دخول الطريق تزكية النفس الأمارة ، لأن مصدر الخبائث النفسُ الأمارة وأستاذها الشيطان الملعون ؛ والقلبُ المنوَّر بنور الإيمان ينكر عليها ، وإذا لم ينكر عليها يكون أسيرًا لها. إذا كان القلب خاليًا من محبة الله تعالى يُعدُّ ميتًا ، ونعني بالقلب هنا القلبَ الربَّاني، لا القلب الصنوبري الذي يوجد في الحيوان كذلك.

اللهمَّ أَحيِ قلوبنا بنور معرفتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن بُريدة رضي الله عنه.

اللفظ الثالث والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلا تَنْفعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فزعَ عَن قُلوبِهِم قالُوا مَاذا قالَ رَبُّكم قالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (٢٣) [سبأ: ٢٣]

قوله تعالى :{ حَتَّى إِذا فزعَ عَن قُلوبِهِم } التفزيع :إزالة الفزع .أي :حتى إذا زال الفزع والخوف عن قلوب الشفعاء ، من الملائكة والأنبياء[١] ، وظهرت لهم تباشير الإجابة {قالُوا }أي :المشفوع لهم ، إذ هم المحتاجون إلى الإذن والمهتمون بأمره : { مَاذا قالَ رَبُّكم } أي :في شأن الإذن{ قالُوا } أي :الشفعاء ، لأنهم المباشِرون للاستئذان بالذات ، المتوسطون بينهم وبينه تعالى بالشفاعة { الْحَقَّ } أي: قال ربنا القول الحق ، وهو الإذن في الشفاعة للمستحقين لها[٢] ، فقد أذن الله فيها للمؤمنين فقط، أما الكفار{ فمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةَ الشَّافِعِينَ } [المدثِّر : ٤٨] ، وهو جلَّ وعلا المنفرد بالعلو والكبرياء ، العظيم في سلطانه وجلاله. [٣]

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

٢– تفسير روح البيان .

٣– التفسير الواضح الميسر.

أقول : من كان في الدنيا من أهل الإحسان الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه: « الإحسان :أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » [١] ، وسلم بقوله وكان من الذين لا ينسون ربَّهم ، ويتمسكون بالشريعة والسنَّة النبويَّة والإخلاص في العبادة ، عليه أن لا يشتغل بأنه هل سيكون من أهل النجاة بحسن الخاتمة أم سيكون من أهل سوء الخاتمة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خلق له »[٢] ، مع هذا لا بدَّ له من الخوف ، وكذلك الرجاء . على المكلَّف أن يستوي خوفه ورجاؤه، وما دام يعتقد أنه عبدٌ لله تعالى فليس له أن يسأل سيده : ماذا تفعل بي؟ بل يفوض أمره إليه جلَّ وعلا ، فإذا كان من أهل الإحسان – بفضل الله – فإن الله يعامله بفضله وكرمه لا بِعدله ، فهو تعالى يقبل عبادة المؤمنين والمؤمنات بفضله وكرمه.

فالعبد يفوض أمره إلى الله تعالى ، ويرضى بما يحصل له من السعادة أو الشقاوة، لأن تغيير ذلك ليس بيده .ولكن عليه أن يُحسن المقدمات – كما أسلفنا– من التمسك بالشريعة والسنَّة النبويَّة والإخلاص في العبادة ، ثم يرجو رحمة الله تعالى.

اللهمَّ وفِّقنا لذلك بمنِّك وكرمك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –أخرجه الحاكم في المستخرَج، والإمام مسلم في صحيحه .

٢ –أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

اللفظ الرابع والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غيبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٣٨) [فاطر :٣٨]

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غيبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } أي :ما غاب فيهما عنكم ،{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } ، تعليل لما قبله ؛ لأنه إذا علم ما في الصدور ، وهي أخفى ما يكون ، فقد علم كل غيب في العالم .وذات الصدور : مضمَرَاُتها ووساوسها.[1]

أقول :الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين ، وتجعل صاحبها ينخرط في سلك الشياطين ، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجِنان وجوار الرَّحمن.

الأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس ، إلا أن هذه الأمراض تفوت حياة الأبد ، وأين منها المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد؟ ومهما اشتدت عناية

١- تفسير البحر المديد.

الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان فليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب التي في مرضها فوت الحياة الباقية أَولى .وهذا النوع من الطب واجبٌ تعلُّمه على كلِّ ذي لُبٍّ ، إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقامٍ ، لو أُهملت تراكمت، وشاهدُ ذلك قوله تعالى : { قد أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَ قد خَابَ مَن دَسَّاها } [الشمس :٩-١٠].

وبما أنه تعالى { عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } عليم بهذه الخفايا وعليم بهذه الأسقام ، فعلى العبد أن يعالج أسقام قلبه حتى لا يتراكم بعضها على بعض ، فيكون ممن قال الله فيهم : { كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهِم } [المطففين :١٤] ، فإذا عالجها بالمجاهدة يناله وعد الله : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحسِنِينَ } [العنكبوت :٦٩] فيكون من أهل الإحسان، عندئذ المحسن جلّ وعلا لا يعذب عبده المحسن.

اللهمَّ اجعلنا من المحسنين، ولا تعذبنا يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) [الصافات :٨٣-٨٤]

قوله تعالى : { بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } أي :سالم من العلائق الدنيوية ، بمعنى أنه ليس فيه شيء من محبتها والركون إليها وإلى أهلها. (١)

أو سليم من آفات القلوب ، أو من العلائق ، خالص لله أو مخلص له .وقيل: حزين ، من السليم بمعنى اللديغ. (٢)

فالقلب السليم يوحي بجميع صفات النقاء والكمال ، فهو قلب مؤمن نقي طاهر ، سالم من الحقد والغل والحسد والكبر والمكر والخبث ، لم تدنسه شهوات الحياة. (٣)

أقول :القلب الخالص لا توجد فيه هذه الأخلاق الذميمة التي عدّها المفسر- حفظه الله تعالى - والتي لا تنحصر بها ، بل أوصَلها بعضهم إلى اثنين وأربعين خُلقًا ذميمًا يضرُّ قلب المؤمن ، وعلى رأسها إتّباع الهوى مع الأنانية:

---

١ -تفسير الألوسي .

٢ -تفسير البيضاوي .

٣ -التفسير الواضح الميسر.

{ أَفرَأَيت مَنِ اتَّخذ إِلهَهُ هَوَاهُ } [الجاثية :٢٣] ، فهذا من الذنوب الكبائر ، ولذا هدَّد الله تعالى بقوله :{ أَفرَأَيت}.

اللهمَّ خلِّصنا من الأخلاق الذميمة يا أرحم الرَّاحمين ، واجعلنا من أهل خصوصيتك يا ربَّ العالمين .فإننا وإن كنا بعيدين عنهم بأعمالنا وأخلاقنا لكنَّ الله جلَّ وعلا من فضله وكرمه جعل محبتهم في قلوبنا ، وكلُّ شيء عند الله تعالى سهل ، لا مانع لما يعطي جلَّ علا.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إن تكفُروا فَإنَّ اللَّه غَنِيٌّ عَنكم وَلا يَرضَى لِعِبَادِهِ ٱلكفرَ وَإن تشكُرُوا يَرضَهُ لكم وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُ خرَى ثمَّ إ لى رَبكم مَرجِعُكم فَيُنَبئُكم بِمَا كُنتُم تَعمَلونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٧) [الزمر :٧]

قوله تعالى : { إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } يعني أنه يمكنه أن ينبئكم بأعمالكم ، لأنه عالم بجميع المعلومات ، فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي و الصوارف . وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أقوالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (١)

فقوله تعالى : { عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي : مبالغ في العلم بمضمَرات القلوب ، فكيف بالأعمال الظاهرة ؟ وفي الآية دليل على أن ضرر الكفر والطغيان يعود إلى نفس الكافر ، كما أن نفع الشكر والإيمان يعود إلى نفس الشاكر ، والله غني عن العالمين ، كما وقع في الكلمات القدسية : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد منكم ما نقص

١- تفسير الرازي.

ذلك من ملكي شيئًا» [1] ، وفي آخر الحديث : « فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَن إلا نفسه» . [2]

أقول :المؤمن – بعد الله تعالى – مطَّلِع على خفايا ضميره وقلبه ، وهذا لا بد منه حتى يخرج من الفسق ، لأن المؤمن إذا كان ظاهره خلاف باطنه لا يكون كافرًا بل يكون فاسقًا ، وهو حينذاك لا يكتفي بعلم الله بما في ضميره ، بل يحاول بلسانه أن يوضح خلاف ما في قلبه } { رَبُّكم أَعلَمُ بِمَا فِي نُفوسِكم } [الإسراء :٢٥] { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران :٣٠] ، { وَاللَّهُ يَعلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصلِحِ} [البقرة :٢٢٠]

من كان يؤمن بكلامه جلّ وعلا ويؤمن بوحدانيته ويؤمن بصفاته عليه أن لا يخالف ظاهرُه باطنَه ، وأن لا يتكلم إلا بالصدق ؛ لا يلزم أن يتكلَّم كلَّ الصدق ، لكن كلَّما تكلَّم عليه أن يتكلَّم بالصدق .علينا جميعًا أن نشكر الله جل جلاله على ما أنعم علينا ، من الإيمان وإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ودراسة القرآن الكريم ومفاهيمه ، وهو أرحم الرَّاحمين ، يعفو عنا جلّ وعلا بشرط أن نكون عبيدًا له لا عبيدًا للدنيا ولا لأنفسنا.

اللهمَّ اجعلنا عبيدًا خالصين لك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

٢ –تفسير روح البيان.

اللفظان السابع والثلاثون و الثامن والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ لِلإِسلامِ فهُوَ عَلى نورٍ مِن رَبهِ فَوَيلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم مِن ذِكْرِ اللَّه أُولَئَكَ فِي ضَلال مُبين) (٢٢) [الزمر :٢٢]

أي : هل من أنار بصيرته وشرح صدره للإسلام فاستضاء بنوره واهتدى ، وفي الآية محذوف تقديره :كمن هو أعمى القلب ، مطموس البصيرة؟ ودلَّ على هذا المحذوف ما بعده ، وهو قوله سبحانه : { فَوَيلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم مِن ذِكْرِ اللَّهِ } أي: فهلاك ودمار لهؤلاء القساة القلوب ، الذين لا تلين قلوبهم ولا تخشع عند سماع آي الذكر الحكيم ، أولئك في بعد عن الحق وضلال واضح بين .والنفس إذا كانت خبيثة لا يزيدها القرآن إلا قسوة وغلظة وشقاء وخسرانًا .[١]

قال في الإرشاد : شرحُ الصدر للإسلام عبارةٌ عن تكميل الاستعداد له ، فإن الصدر محل القلب ، الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام ، فانشراحه مستدعٍ لاتساع القلب واستضاءته بنوره ، فهذا شرح قبل الإسلام لا بعده ، { شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ } أي :خَلَقَه متسع الصدر مستعدًا للإسلام ، فبقي على الفطرة الأصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادمة فيها{ فَهُوَ } بموجب ذلك مستقر { عَلى نورٍ } عظيم { مِن رَبهِ }وهو اللطف الإلهي الفائض عليه عند مشاهدة

١- التفسير الواضح الميسر.

الآيات التكوينية والتنزيلية ، والتوفيق للاهتداء بها إلى الحق ، كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره ، واستولت عليه ظلمات الغي والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالكلِّية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها.

{ فَوَيلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم مِن ذِكْرِاللَّهِ } القسوة :غلظ القلب ، والمعنى : من أجل ذكره ، الذي حقُّه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب .أي :إذا ذكر الله تعالى عندهم وآياُته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة ، كقوله تعالى : { فَزَادَتْهُم رِجسًا } [التوبة : ١٢٥] ، وُقرِئ : "عن ذكر الله " أي : فويل للذين غلظت قلوبهم عن قبول ذكر الله.

وفي التأويلات النجمية : يشير إلى أن الإيمان نور ينور الله به مصباح قلوب عباده المؤمنين ، والإسلام ضوء نور الإيمان تستضيء به مشكاة صدورهم ، ففي الحقيقة من شرح الله صدره بضوء نور الإسلام فهو على نور من نظر عناية ربه .ومن أمارات ذلك النور محوُ آثار ظلمات الصفات الذميمة النفسانية من حب الدنيا وزينتها وشهواتها ، وإثبات حب الآخرة والأعمال الصالحة والتحلية بالأخلاق الكريمة الحميدة ، قال تعالى : { يَمحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِت } [الرعد :٣٩] ، ومن أماراته أن تلين قلوبهم لذكر الله ، فتزداد أشواقهم إلى لقاء الله تعالى وجواره ، فيسأمون من محن الدنيا وحمل أثقال أوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية ، فيفرون إلى الله ويتنورون بأنوار صفاته ، منها نور اللوائح بنور العلم ، ثم نور اللوامع ببيان الفهم ، ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين ، ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات ، ثم نور المشاهدة

بظهور الذات ، ثم أنوار جلال الصمدية بحقائق التوحيد ، فعند ذلك لا وَجْد ولا وجود ولا قصْد ولا مقصود ولا قرب ولا بُعد ولا وصال ولا هِجران ، إذ كلُّ شيء هالك إلا وجهَه ، كلا بل هو الله الواحد القهار . [١]

أقول :قسوة القلوب نوعان :قسوة للكفار والمنافقين – نعوذ بالله ، وننزه المؤمنين من ذلك – وقسوة للمؤمنين ، فهم أحيانًا بتلك القسوة يكونون فاسقين ؛ وذلك بإهمالهم لقراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه ، وعدم التمسك بسنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام ، مع عدم الاهتمام بالإخلاص في العبادة ، هذه كلها من أسباب قسوة القلب للمؤمنين . ومن قسا قلبه فإنه لا يحب شيئًا مخالفًا لطبيعته البشرية ، التي تَنْفِرُ من الفوائد الدينية بواسطة النفس .فعلى المؤمن أن لا يقع تحت التهديد الإلهي : { فَوَيلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم مِن ذِكْرِ اللَّهِ } ؛ ذكرُ الله ليس بقول : (لا إله إلاَّ الله) فقط ، لكنَّ التاجر في محلِّه إذا تفكَّر في بيعه وشرائه أن ربَّه يراه فكيف يخالف أوامره؟ فهو حينذاك ذاكر لله ، والذي يقرأ القرآن كذلك ، والذي يتمسك بالسنَّة النبويَّة كذلك.

بعض أهل التصوف يرجحون بعض الأذكار التي سمعوها من شيوخهم أو إخوانهم على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ هذا خطأ كبير ، يُؤخِّر عن الوصول إلى رضا الله وإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام .مسألة واحدة من التمسك بالشريعة والسنَّة النبويَّة توازي جميع الأوراد ، فلا بد للسالك أن يرجح التمسك بالشريعة

١– تفسير روح البيان.

والسنَّة النبويَّة على أوراده ، لأن الطرق الموصولة بالله – بسبب التمسك بالسنَّة النبويَّة– تضيء مثل الشمس في وسط النهار.

أوراد طريقتنا من السنَّة ، فقراءتها تمسُّكٌ بالسنَّة .ولكن ليس لأحد أن يقول: شيخي فعل هكذا فأنا أفعل مثله ، فربما لا يكون شيخه متمسكًا بالسنَّة في هذا الأمر؛ لكنه إذا تمسك بالسنَّة فإن شيخه يفرح به.

الأذواق والواردات لا يُسأل العبد عنها عند الله ، لكنها تعطى ولا يُغترُّ بها ، وبعض الكشوف قد تكون سبب الانقطاع عن التمسك بالشريعة والسنَّة النبويَّة ، وقد يحصل بسببها الغرور ، ثم قسوة القلب بالتدريج ، ويمكن أن لا يطَّلع الإنسان على ذلك إلى أن يخرج من الدنيا ، حينذاك يندم ولا ينفعه الندم.

على المؤمنين أن يكون بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، لقول الله تعالى : { وَتعَاوَنوا عَلى الْبِر وَالتَّقوَى } [المائدة :٢] ، وذلك بأن تقول لي : هذا الفعل غير موافق للشريعة ، وإذا كان كذلك فعليَّ أن أتركه.

اللهمَّ اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع والثلاثون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الْحَدِيثِ كِتابًا مُتشابِهًا مَثَانِيَ تقْشعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الَّذِينَ يَخشون رَبَّهُم ثمَّ تَلِينُ جُلودُهُم وَقُلوبُهُم إلى ذكر الله ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ من هَادٍ) (٢٣) [الزمر :٢٣]

قوله تعالى: { تقْشعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الَّذِينَ يَخشونَ رَبَّهُم ثمَّ تَلِينُ جُلودُهُم وَ قُلوبُهُم إلى ذِكْرِ اللَّهِ } أي :هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار ، لِما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف { ثمَّ تَلِينُ جُلودُهُم وَقُلوبُهُم إلى ذِكْرِ اللَّهِ } لِما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه .[١]

وفيه مسائل:

المسألة الأولى :معنى(تقشعر جلودهم) تأخذهم قشعريرة ، وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف ، قال المفسرون :والمعنى :أنهم عند سماع آيات الرحمة والإحسان يحصل لهم الفرح ، فتلين قلوبهم إلى ذكر الله ، وأقول :إن

١– تفسير ابن كثير.

المحققين من العارفين قالوا :السائرون في مبدأ إجلال الله إن نظروا إلى عالم الجلال طاشوا ، وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا.

يجب علينا أن نذكر في هذا الباب مزيد شرح وتقرير ، فنقول :الإنسان إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب تنزيه الله عن التحيز والجهة فهنا يقشعر جلده ، لأن إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم مما يصعب تصوره ، فههنا تقشعر الجلود ، أما إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب أن يكون فردًا أحدًا ، وثبت أن كل متحيز فهو منقسم ، فههنا يلين جلده وقلبه إلى ذكر الله.

المسألة الثانية :روى الواحدي في" البسيط "عن قتادة أنه قال :القرآن دلَّ على أن أولياء الله موصوفون بأنهم عند المكاشفات والمشاهدات تارة تقشعر جلودهم وأخرى تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . [١]

اللين :ضد الخشونة ، ويُستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعاني . والجلود :عبارة عن الأبدان ، والقلوب :عن النفوس ، كما في المفردات.

أي : ثم إذا ذكروا رحمة الله وعموم مغفرته لانت أبدانهم ونفوسهم ، وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة ، بأن تبدلت خشيُتهم رجاء ورهبُتهم رغبة .وتعدية اللين بـ{ إلى } لتضمنه معنى السكون والاطمئنان ، كأنه قيل :تسكن وتطمئن إلى

١– تفسير الرازي.

ذكر الله لينة غير منقبضة ، راجية غير خاشعة [١] ، أو تلين ساكنة مطمئنة إلى ذكر الله وإنما أُطلق ذكر الله ولم يُصرح بالرحمة إيذانًا بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى [٢] فإن قلت : لِمَ ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيًا؟ قلت : لَتَقَدم الخشية التي هي من عوارض القلوب ، فكأنه قيل :تقشعر جلودهم من آيات الوعيد ، وتخشى قلوبهم من أول وهلة ، فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم ، وبالقشعريرة لينًا في جلودهم [٣].

فالجملتان إشارة إلى الخوف والرجاء أو القبض والبسط أو الهيبة والأنس أو التجلِّي والاستتار. [٤]

اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- كذا في الأصل ، ولعل الصواب :خاشية .

٢- لأن ذكر الله جل جلاله ينور القلوب ويزيل عنها الأخلاق الذميمة ، فكلَّما ذكر المؤمن ربَّه أكثر ينوَّر قلبه أكثر ، وكلما تنوَّر القلب أكثر يزداد اطمئنانه وتوكله ووجله ، ولذا قيَّد الله تعالى لين القلوب بقوله: { إلى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمر : ٢٣] ، ولو قيَّدها برحمته فرحمتُهُ أوسع ، تشمل أهل المعاصي أيضًا ، فيغترون بالرحمة ، وقد يتركون ذكر الله جلَّ وعلا ، لأن المؤمنين إذا سمعوا الرحمة تلين قلوبهم ويحصل لهم الرجاء والأمل برحمته ولطفه تبارك وتعالى .فلفظ الذكر في هذه الآية الكريمة أرشدُ من الرحمة.

٣-(تقشعر جلودهم) : المؤمن إذا سمع شيئًا من ذكر الله أو آيات الوعد والوعيد تحصل في جلده قشعريرة ، وهذا يحصل قبل الانتقال إلى القلب ، لأنه متعلِّق بالسماع ، والسماعُ متعلق بالظواهر قبل القلوب .ولذا ترى أهل الذكر إذا ضُرب الباب بشدة أو ُفتح بشدة يرتجفون ، فهذا يحصل أولا من الجسد.

٤ –تفسير روح البيان

اللفظ الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذا ذكِرَ اللَّهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قُلوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ وَإِ ذا ذكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذا هُم يَستَبشِرُونَ) (٤٥) [الزمر :٤٥]

اعلم أن هذا نوع من الأعمال القبيحة للمشركين ، وهو أنك إذا ذكرت الله وحده تقول :لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ظهرت آثار النفرة من وجوههم وقلوبهم ، وإذا ذكرت الأصنام والأوثان ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم وصدورهم ، وذلك يدل على الجهل والحماقة ، لأن ذكر الله رأس السعادات وعنوان الخيرات ، وأما ذكر الأصنام – التي هي الجمادات الخسيسة – فهو رأس الجهالات والحماقات ، فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الأصنام من أقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحمق الشديد .قال صاحب" الكشَّاف" :وقد يقابل الاستبشار والاشمئزاز ، إذ كل واحد منهما غاية في بابه ، لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورًا ، حتى يظهر أثر ذلك السرور في بشرة وجهه ويتهلل ، والاشمئزاز أن يعظم غمه وغيظه ، فينقبض الروح إلى داخل القلب ، فيبقى في أديم الوجه أثر الغبرة والظلمة الأرضية .[١]

١- تفسير الرازي.

الإشارة : ينبغي للمؤمن أن يكون متعاكسًا مع المشرك ، إذا سمع كلمة التوحيد" لا إله إلا الله " فرح وانبسط ، وإذا ذكر اللغو واللعب اشمأز وانقبض ، والعابد أو الزاهد إذا سمع ما يدل على الطاعة والاستعداد للآخرة فرح ونشط ، وإذا سمع ما يدل على الدنيا والبطالة اشمأز وانقبض ، والمريد السائر إذا سمع ما يقرب إلى الله فرح وانبسط ، وإذا سمع ما يُبعد عنه من ذكر السوى اشمأز وانقبض ، وأما الواصل الكامل فلا ينقبض من شيء ، قد فنيت دائرة حسه واتسعت دائرة معرفته ، يأخذ النصيبَ من كل شيء ، ولا يأخذ النصيبُ منه شيئًا . (١)

يقول بديع الزمان الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله :ولكن على الرغم مما فيهما- أي الولاية والطريقة - من أهمية قصوى فقد انحاز قسم من الفِرق الضالة إلى إنكار أهميتهما ، فحرَموا الآخرين من أنوارٍ هُمْ محرومون منها .ومما يؤسف له بالغ الأسف أن عددًا من علماء أهل السنَّة والجماعة الذين يحكمون على الظاهر وقسمًا من أهل السياسة الغافلين ، المنسوبين إلى أهل السنَّة والجماعة ، يسعون لإيصاد أبواب تلك الخزينة العظمى، خزينة الولاية والطريقة ، متذرعين بما يرونه من أخطاء قسم من أهل الطريقة وسوء تصرفاتهم ، بل يبذلون جهدهم لهدمها وتدميرها وتجفيف ذلك النبع الفياض بالكوثر الباعث على الحياة. (٢)

---

١ -تفسير البحر المديد .

٢- أنوار الحقيقة(مباحث في التصوف والسلوك).

أقول :على المؤمن أن لا يترك صحبة الأخيار ، ولا يُخدع بصحبة أهل الدنيا فيما لا يعنيه ، لأن هذه الصحبة قد تؤدي إلى ترك بعض مسائل الشريعة والسنَّة النبويَّة، أو إلى ما يخالف حضور القلب مع الله جلَّ وعلا ، فإن هذا يضره ؛ ونتيجة ذاك الضرر يراها في الآخرة وفي عالم البرزخ ، فهو مؤمن و « من حُسن إسلام المرءِ تركه ما لا يعنيه» صحبة الأخيار تنبِت في قلب المؤمن الخشوع والتواضع وترك الهوى وأمثال ذلك، كما أن صحبة أهل الدنيا تنبت محبة الدنيا وزخارفها في القلب ، والمؤمن يتضرر بذلك.

أمامَنا القبر وعالم البرزخ وبَعدَه الحشر الجسماني ، فلا يليق بالمؤمن أن يصرف أوقاته وزمانه فيما لا يعنيه ، لأن كل يوم يمضي من العمر يذهب ولا يرجع.

خذوا بنصيحة الله وبسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكثروا من ذكر الله جلَّ وعلا ، وكونوا من الذين قال الله تعالى في حقهم : { قد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنونَ (١) الَّذِينَ هُم فِي صَلاتِهِم خاشِعُونَ} [المؤمنون :١-٢] . الخشوع لا يحصل بدون ذكر الله وبدون التدبر في قراءة القرآن وبدون ذكر الموت ، هذه أسباب .كما أن للمعيشة أسبابًا مخلوقة نأخذ بها ، وكذلك للسعادة أسباب بيَّنها الله تعالى في

---

١ -أخرجه أحمد وأبو يعلى والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

القرآن الكريم ، فذكرَ القلبَ والقلوب والفؤاد والأفئدة والصدر والصدور ، حتى يشتغل المؤمن بقلبه ويهتم به ، وإلا يُعَدُّ قلبه ميتًا.

اللهمَّ اجعلنا من الخاشعين ، يارب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي و الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَنذِرهُم يَومَ الآزِفةِ إِذِ ٱلْقُلوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (١٨) [غافر :١]

قوله تعالى :{ إِذِ ٱلْقُلوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ} تقرير للخوف الشديد، وقوله { كَاظِمِينَ } تقرير للعجز عن الكلام ، فإن الملهوف إذا قدر على الكلام وبث الشكوى حصل له نوع خفة وسكون ، وإذا لم يقدر عَظمَ اضطرابه واشتد حاله. [١]

أقول : قوله تعالى : { وَأَنذِرهُم يَومَ الآزِفةِ } أمرٌ من ربنا جلَّ وعلا لرسوله عليه الصلاة والسلام أن ينذر الناس من يوم القيامة ومن أهواله .نحن لا نتكلم عن الكافر والمنافق بل نتكلم عن المؤمن الذي يؤمن بوقوع القيامة ويؤمن بالحساب والكتاب ، كيف يكون حالك يا مؤمن إذا قال لك ربك : { اقرَأْ كِتابَكَ } [الإسراء : ١٤]، وكان في كتابك تركُ الصلاة وترك الصوم والوقوعُ في المخالفات الشرعية وعدمُ المحافظة على حدود الله التي بيَّنها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في الشريعة المحمَّدية وفي سننه المطهَّرة؟ ألا تدخل تحت هذا الإنذار : { وَأَنذِرهُم يَومَ الآزِفةِ } على أي شيء تعتمد حتى تتجاوز على حدود الله؟ ليس هذا إلا من ضعف إيمانك وقلة اهتمامك بذلك اليوم الرهيب ، ومن إتباعك لنفسك وشيطانك وهواك ،

١– تفسير روح البيان .

حينذاك تترك العدالة ، كما قال ربنا جلّ وعلا: { فلا تتَّبِعُوا ٱلْهَوَى أَن تعدِلوا } [النساء : ١٣٥] ، فمن اتبع الهوى تذهب عدالته ويقع في المعاصي التي نهاه الله عنها .علاج ذلك أن تستغفر وتتوب وترجع إلى الله تعالى ، وهو يقبل التوبة ، بل ويحب التائبين ، كما قال عزّ وجل : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} [البقرة :٢٢٢].

اللهمَّ اجعلنا منهم يا ربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني و الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَعلَمُ خَائِنة الأَعيُنِ وَمَا تخفِي الصُّدُورُ) (١٩) [غافر : ١٩]

قوله تعالى : { يَعلَمُ خَائِنة الأَعيُنِ وَمَا تخفِي الصُّدُورُ } أي يعلم سبحانه النظرة الخائنة ، ويعلم السر المستور ، وما تخفيه الصدور ، لا تخفى عليه خافية .قال ابن عباس رضي الله عنهما :(هو الرجل يكون جالسًا مع الناس ، فتمر المرأة ، فيسارقهم النظر إليها). [١] فقوله تعالى :{ وَمَا تخفِي الصُّدُورُ } أي :من الضمائر والأسرار مطلقًا ، خيرًا كانت أو شرًا.

ثبَت بهذا أن أفعال القلوب معلومة لله تعالى ، وكذا أفعال الجوارح تكون ؛ لأن أخفاها وهي خائنة الأعين كانت معلومة لله تعالى ، فعلمه تعالى سائرَ أفعال الجوارح يكون أولى ، والحاكمُ إذا بلغ في العلم إلى الحد وجب أن يكون خوف المجرم منه أشد وأقوى ، فقوله تعالى : { يَعلَمُ خَائِنة الأَعيُنِ وَمَا تخفِي الصُّدُور} في قوة التعليل للأمر بالإنذار.

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

وفي التأويلات النجمية :{ **وَمَا تخفِي الصُّدُورُ** } من متمنَّيات النفوس ومستحسَنات القلوب ومرغوبات الأرواح فالحقُّ به خبير ، ويكون السالك موقوفًا بها حتى يخرج من تعلقها. [1]

ففي هذه الآية الكريمة يخبر عز وجل عن علمه التَّام المحيط بجميع الأشياء ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ، ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء [2] ويتقوه حق تقواه ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر .قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : { **يَعلَمُ خَائِنَة الأَعيُنِ وَمَاتخفِي الصُّدُورُ**} هو الرجل يدخل على أهل البيت بيَتهم وفيهم المرأة الحسناء أو تمر به وبهم المرأة الحسناء فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غض بصره عنها ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غض ، وقد اطَّلع الله تعالى من قلبه أنه ود أن لو اطَّلع على { **ما أمكن له أن ينظر منها** } . [3]

---

١ –تفسير روح البيان .

٢ –وهذا الاستحياء لا يحصل إلا بعد الإيمان الكامل ، فكما يؤمن العبد بوجود الله و وحدانيته يؤمن كذلك بصفاته ، ومنها كونه تعالى سميعًا بصيرًا عليمًا ، حينذاك يستحي من الله ، وإلا فبمجرد الإيمان بوجود الله لا يستحيي العبد من الله . وهذا الإيمان مقبول ، لكنه ليس إيمان عين اليقين ولا حق اليقين بل إيمان علم اليقين.

٣– تفسير ابن كثير.

أقول : كيف يخالف العبد ربه جلَّ وعلا مع علمه أنه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ وقد أعطاه من فضله وكرمه وأنعم عليه بالعقل والقلب والجسد وغير ذلك من النعم التي لا تحصى .مع ذلك فالبَشرُ يخالفون ربهم.

الله تعالى غفور رحيم ، بل أرحم الرَّاحمين ، لكنه بيَّن لنا أنه يعلم أن العبد ضعيف ، فإذا انحرف عن الاستقامة وعن أمر الله عليه أن لا يكون مُصِرًّا على ذلك، بل يرجع بالتوبة والاستغفار والإنابة حتى يعفو عنه جلَّ وعلا .والربُّ يفرح بتوبة وإنابة عبده الذي علم أن له ربًا غفورًا رحيمًا فتاب إليه ، فيعفو عنه مع القدرة سبحانه وتعالى.

اللهمَّ اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ يُجَادِلونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغيرِ سُلطانٍ أَتاهُم كبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنوا كذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كلِّ قلْبِ مُتكبرٍ جَبَّارٍ) (٣٥) [غافر :٣٥]

اعلم أن الطابِع هو الله تعالى ، والمطبوعَ هو القلب ، وسبب الطبع هو التكبر والجبارية ، وحكمه أن لا يخرج من القلب ما فيه من الكفر والنفاق والزيغ والضلال، فلا يدخل فيه ما في الخارج من الإيمان والإخلاص والسداد والهدى ، وهو أعظم عقوبة من الله عليه .فعلى العاقل أن يتشبث بالأسباب المؤدية إلى شرح الصدر لا إلى طبع القلب .قال إبراهيم الخواص قدس سره : دواء القلب خمسة : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع إلى الله عند السحر ، ومجالسة الصالحين. [١]

أقول :نرجو الله تعالى أن لا يكون المؤمنون على هذه الأوصاف فيطبع الله تعالى على قلوبهم بتكبرهم وتجبرهم وعدم تمسكهم بأسباب الفلاح و النجاح.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –تفسير روح البيان .

اللفظ الرابع و الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٥٦) [غافر:٥٦]

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِ لونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ} أي :إن الذين يخاصمون في آيات الله ، ودلائل وحدانيته ووجوده ، بغير حجة ولا برهان ، ما في قلوبهم إلا تكبر عن قبول الحق وطغيان وفجور يمنعهم من اتّباعك ، وليسوا بواصلين إلى مرادهم من إطفاء نور الله، { فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } أي :فالتجئ وتحصن بالله من شرهم وكيدهم ، فإن ربك هو السميعُ لأقوالهم البصيرُ بأحوالهم ، ولن يضروك شيئًا .[١]

أقول :ولو كان هذا في حق الكفار لكن بعض المؤمنين أيضًا يجادلون بدعاوي باطلة ، وتحت ظل هذه الدعاوي الباطلة يطلبون الرياسة ويتمسكون بنفوسهم ويتركون ما يُصلحهم ويوصلهم إلى السعادة الأبدية ، من التمسك بالشريعة والسنَّة النبويَّة والإخلاص في العبادة والقعود مع الفقراء في حلق الذكر لتنزل عليهم

١ –التفسير الواضح الميسر .

رحمة الله جلَّ وعلا ، ولا يسلِّمون أنفسهم لمن يوجههم ، ممن يحمل على رأسه تاج السنَّة النبويَّة ، فيُحرَمون من هذه الفوائد الإيمانية والقرآنية.

هذا التوجيه ليس مقيَّدًا بشيخ الطريقة فقط ، لكن إذا وُجد شيخ الطريقة الذي تعتقد أنه متمسك بالشريعة والسنَّة النبويَّة فهذه نعمة جسيمة فاتَّبعه ، فإن لم تجد من يحمل هذه الأوصاف فاتخذ واحدًا من علماء الظاهر الذين يخافون { يومَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غيرَ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ} [إبراهيم :٤٨] ، وخذ بنصيحته وبتوجيهاته ، وإن لم تجد هذا ولا ذاك فإذا كان لك صديق يكلِّمك على عيوب نفسك فاتَّبعه ، لقول الله تعالى : { وَٱلْمُؤْمِنونَ وَٱلْمُؤْمِنات بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ ٱلْمُنكرِ } [التوبة :٧١].

علينا جميعًا أن لا نتكبر ولا نترك ما أمرنا به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، من الذكر وقراءة القرآن بالتدبر وعدم الغرور برياسة الدنيا وبالمال وبالأولاد ، كما قال ربنا جلَّ وعلا :{ إِنَّمَا أَموَالُكم وَأَولادُكم فِتْنَةٌ } [التغابن] :١٥، فالعمر قصير والزاد قليل ، ولا بد من التهيؤ لما بعد الموت.

اللهمَّ وفِّقنا لذلك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس و الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلكم فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلغوا عَليهَا حَاجَة فِي صُدُورِكم وَعَليهَا وَعَلى الْفُلكِ تحمَلونَ (٨٠) [غافر:٨٠]

أي :ولكم في هذه الأنعام منافع عديدة ، من الوبر والصوف والشعر واللبن والسمن والزبد وغير ذلك ، ولتبلغوا عليها قضاء حوائجكم ، من حمل الأثقال في الأسفار البعيدة قبل أن تظهر وسائل النقل الحديثة ، من سيارات وطائرات ومراكب كهربائية ، وعلى الإبل في البر ، وعلى السفن في البحر تحملون ، فهي لكم مراكب برية ومراكب بحرية .[١]

أقول :يريكم الله تعالى آياته ويعدد بعض نعمه عليكم، فقد أنعم جلَّ وعلا على عباده بأنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى: { وَإِن تعُدُّوا نِعمَة اللَّهِ لا تحصُوهَا } [النحل :١٨] ، ففي أنفسكم فقط تجدون العقل والحافظة والعين والأذن واللسان والاستعداد وغير ذلك من النعم التي لا يمكن أن تعدُّوها ، وخارج أنفسكم خَلق لكم كل ما تحتاجون إليه ، ومن جملتها وسائط النقل ، من الإبل والفلك ، وفي هذا العصر الوسائط البرية كالسيارات والجوية كالطائرات وغيرها ؛ فعلينا أن نتفكَّر :مَن خل ق لنا هذه الوسائط حتى نصل بها إلى حوائجنا؟ هذه النِّعم كلها من الله تعالى ،

---

١ –التفسير الواضح الميسر.

ومادامت من الله تعالى أفليس من العجيب أن يتمسك العبد بهذه النعم وينسى المنعم؟ هذا غريب بالنسبة لأهل العقل ، خصوصًا أهل الإيمان .عليك أن تتفكر أنه في النهاية تفنى دنياك وتفنى النعم التي أنعم الله تعالى بها عليك ، وتخرج من الدنيا لا يتبعك إلا عملك ، فالسَّفر سَفران :سفر في الدنيا يُحمل فيه على الفلك والإبل والسيارات وغيرها ، وسفر من الدنيا إلى الآخرة ، وهذا السفر لا ينكره أهل العقل ، خصوصًا أهل الإيمان ، فإنه من المحقق أن الإنسان يموت ، لكن هل يستريح في عالم البرزخ أم لا؟

كيف تتفكر في دنياك التي لها نهاية وفيما خلق الله لك فيها من الوسائط والوسائل حتى تقضي بها حوائجك وتترك آخرتك التي تدوم أبد الآباد؟

عليك أن تتفكر فيما بعد الموت ، وأن تتزود من دنياك لآخرتك ، بفعل أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه وبالتقوى والصبر والصلاح والإصلاح ، حتى تكون من أهل السعادة الأبدية ، خصوصًا في عالم البرزخ ، فتلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك ، لأنك آمنت به وبما جاء به من عند الله ، فهو ركن ديننا .علينا أن ننتبه لهذه النعمة الجسيمة عليه الصلاة والسلام ، وأن نتبعه ليرضى ربُّنا عنَّا.

اللهمَّ وفِّقنا لإتباع رسولك ، سيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم ، في الأقوال والأفعال والأحوال ، بجاهه عندك ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس و الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَ قَالُوا قُلوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تدعُونَا إِليهِ وَفِي ءَاذانِنا وَقْرٌ وَمِن بَينِنا وَبَينِكَ حِجَابٌ فاعمَلْ إِنَّنا عَامِلونَ) (٥) [فصلت:٥]

قوله تعالى : { قُلوبُنا فِي أَكِنَّةٍ} جمع كنان ، وهو الغطاء الذي يكن فيه الشيء ، أي : يُحفظ ويُستر ، أي : في أغطية متكافئة { تَدعُونَا إِليهِ } أي :تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه وُتورِدُه علينا.

وفي التأويلات النجمية : { وَفِي ءَاذانِنا وَقْرٌ } ما ينفعنا كلامك ، قالوه حقًّا وإن قالوا على سبيل الاستهانة والاستهزاء ، لأن قلوبهم في أكِنَّةِ حُب الدنيا وزينتها ، مقفولة بقفل الشهوات والأوصاف البشرية ، ولو قالوا ذلك على بصيرة لكان ذلك منهم توحيدًا ، فتعرضوا للمقت لِمَا فقدوا من صدق القلب. (١)

أقول :على المؤمن أن لا يكون قلبه مُقفلا على حب الدنيا وزينتها ، من الرياسة وتجميع المال وغير ذلك ، لأن ذلك لا يليق بالمؤمن.

١- تفسير روح البيان .

الآية نازلة في حق الكفار، لكنها تجرُّ ذيلها على أخلاق المؤمن المنغمس في الدنيا وحبها وشهواتها ولذائذها ، حتى يخسر ما أعد الله لعباده المؤمنين في الآخرة.

وإذا قيل لهؤلاء :هذا لا يليق بمقتضى إيمانكم ولا إسلامكم ، يقولون :لا يمكن ترك الدنيا .نحن نلتقي بهذا النوع من الناس ، فإذا سمعوا توجيهًا يمنعهم من فعل ما هم عليه يتركون الصحبة .اهـ.

الإشارة :كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الإيمان بالقرآن والعمل به ، وخلفاؤه من مشايخ التربية يَدْعون إلى تصفية البواطن ، لتتهيأ لفهمه والغوص عن أسراره وحضور القلب عند تلاوته ، فأعرَضَ أكثر الناس عن صحبتهم[١] ، ألسنُتهم تتلوا وقلوبهم تجول في أودية الدنيا ، فلا حضور ولا تدبرَ ، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا طلبوا من المشايخ – الذين هم أطبة القلوب – الكرامة [٢] ، يقولون ما قالت الرسل :إنما نحن بشر، يوحى إلينا وحيَ إلهام بوحدانية الحق وانفراده بالوجود، فاستقيموا إليه بتصفية بواطنكم ، واستغفروه من سالف زلاتكم ، فإن بقيتم على ما

١– وبعضهم ينقدون عليهم ، ويريدون تهديم سيرتهم الجميلة ، فيكونون سببًا في حرمان أنفسهم وحرمان غيرهم ، لأن نفوسهم لا تريد المجاهدة ولا إتباع المواعظ ، لأنها عدوة الله.

٢ –يقولون :أنتم تطلبون ما لم يُطلب منكم .الكشف والكرامات وخوارق العادات مقدَّمة عندهم على الشريعة ، وبذلك فإنهم يُسكِّرون على أنفسهم باب ما يطلبه الله تعالى منهم ويفتحون باب توجيه الناس إلى أنفسهم ، بنوع من خوارق العادة أو نوع من الكرامة وأمثال هذا ، وبهذا يَبْعُدون عن الله تعالى تدريجيًا بلا شعور. نحن لا ُننكر الكرامات ولا الكشوفات ولا خوارق العادات ، فإنها تحصل على يد الصالحين ، لكن على المؤمن أن لا يتعلَّق بها ، لأن التعلُّق بالكشف والكرامة كالتعلُّق بالمادة .سبيلُ النجاح والسعادة ليس هكذا

أنتم عليه من الشرك ورؤية السوى فويل للمشركين الذين لا يزكون أنفسهم ، وهم بالآخرة – حيث لم يتأهبوا لها كل التأهب – هم كافرون .إن الذين آمنوا إيمان الخصوص ، بصحبة الخصوص ، لهم أجر غير ممنون ؛ وهو شهود الحق على الدوام .والله تعالى أعلم .[١]

اللهمَّ وفِّقنا للعمل بشريعتك وإتباع سنة نبيك عليه الصلاة والسلام.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١– تفسير البحر المديد

اللفظان السابع والأربعون و الثامن والأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَم يَقوُلونَ افتَرَى عَلى اللَّهِ كذِبًا فإن يَشأِ اللَّهُ يَختِمِ عَلى قلْبِكَ وَيَمحُ اللَّهُ ٱلبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٢٤) [الشورى : ٢٤]

أي :هل يقول المشركون :إن محمدًا كذب على الله بهذا القرآن من عند نفسه؟ لو كان الأمر كما زعموا لختمنا على قلبك يا محمد ، فأنسيناك هذا القرآن وسلبناه من صدرك ، ولكنك لم تفترِ على الله كذبًا ، ولهذا أيدناك وسددناك .والآية فيها تكذيب لدعاوى المشركين ، ووعيد وتهديد لمن كذب على الله .وختم الآية بقوله : { إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } أي :هو تعالى العالم بما في القلوب ، فلو حدثتك نفسك أن تفتري ما يقوله السفهاء لطبَعَ الله على قلبك وأماتك ، كقوله سبحانه : { وَلو تَقوَّلَ عَليَنا بَعضَ الأَقَاوِيلِ(٤٤) لأَخَذنا مِنهُ بِاليَمِينِ (٤٥) ثمَّ لَقطعَنا مِنهُ ٱلوَتِينَ } [الحاقَّة :٤٤-٤٦]

أي :كنا نقطع نياط قلبه حتى يموت .وفي هذا تأكيد لحفظ الله لكتابه ، وعصمته لرسوله ، مما نسبه إليه المفترون. [١]

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

قال في التأويلات النجمية :قوله تعالى: { فإن يَشأِ اللَّهُ يَختِمِ عَلى قلْبِكَ } يعني أنك إن افتريته ختم الله على قلبك ، ولكنك لم تكذب على ربك فلم يختم على قلبك .(١)

أقول : في هذه الآية الكريمة تأكيد من الله جل جلاله لكذب الكافرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهديد له عليه الصلاة والسلام ظاهرًا ، لكنه في الحقيقة لأمته ، لمن خالف منهم أمر الله جلَّ وعلا.

فعلينا _ معشر المسلمين _ أن نحفظ قلوبنا من الخيانة والغل والغش ، ومن اتخاذ أهوائنا آلهة لنا ، نعوذ بالله تعالى من ذلك، كما قال تعالى : { أَفرَأَيت مَنِ اتَّخذ إِلهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية :٢٣] ، وكما قال أيضًا } : {فلا تتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تعدِ لوا } [النساء :١٣٥] ، فإذا تركت الهوى تحصل العدالة.

الهوى محّله القلب ، والذي يتبع الهوى يحصل له الكبر والأنانية والعجب بنفسه والترفع على الغير واحتقارهم ، حينذاك يترك العدالة ؛ أما الذي يترك الهوى فإنه يخاف من الله تعالى ولا يخالف الحقيقة ، لأن إيمانه يحكم عليه أن ربه ينظر إليه ويعلم ما في قلبه. وتطهير القلب لا يحصل إلا بترك المعاصي وقراءة القرآن الكريم بتدبر وكثرة ذكر الله تعالى ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تقل _ أيها القارئ الكريم :_ نحن لسنا من أهل الطريق حتى نكثر من ذكر الله تعالى ، فإنك من أهل القرآن ، انظر في القرآن وتدبر معانيه ظاهرًا وباطنًا ، تر فيه أن الله تعالى قيَّد

١– تفسير روح البيان.

ذكره بالكثرة ، فكثرة ذكر الله عزّ وجل ليست خاصة بأهل التصوّف الذي تفرّون منه فراركم من الأسد.

ولا تقولوا :يكفي أن نصّلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمر مرّة ، فإنه يسقط الفرض بها ، فإنكم إذا وصل إليكم شيء من الدنيا – وأنتم منغمسون فيها إلى شحمتي أذنيكم – لا تقولوا يكفينا ما نحن فيه ، فلمَ تكتفون بالقليل والأقل من القليل من ذكر الله تعالى؟ وربنا جلَّ وعلا يقول : { أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تطْمَئِنُّ الْقُلوبُ } [الرعد :٢٨] ، وكيف تكتفون بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمر مرة ، ورسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « من صلَّى عليَّ صلاة واحدة صلَّى الله عليه بها عشرًا ، ومن صلَّى عليَّ عشرًا صلَّى الله عليه مئة» . [١]

ومن يذكر الله تعالى كثيرًا لا يبقى للسانه مجال للوقوع في الغيبة والنميمة وغيرها من المخالفات.

أسعدكم الله – كما أسعدكم بالإيمان – أسعدكم بذكره جلَّ وعلا وبالتمسك بشريعته وبسّنة رسوله عليه الصلاة والسلام وبترك الأخلاق الذميمة وبالإخلاص بالعبادة ، وكل ذلك محله القلب ، والله تعالى نوَّر قلوب المؤمنين بالإيمان ، فعلى المؤمن أن يأخذ بمقتضى الإيمان.

وفَّقنا الله جميعًا لذلك.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– عزاه المنذري إلى الطبراني في الصغير ، وأصل الحديث في مسلم.

اللفظ التاسع و الأربعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَفَرَأَيت مَنِ اتَّخذ إِلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتمَ عَلى سَمعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشَاوَة فمَن يَهدِيهِ مِن بَعدِ اللَّهِ أَفلا تَذَكَّرُونَ) (٢٣) [الجاثية :٢٣]

يقول الحق جلَّ جلاله : {أَفَرَأَيت مَنِ اتَّخذ إِلهَهُ هَوَاهُ } أي :أباح لنفسه كل ما تهواه ، سواء كان مباحًا أو غير مباح ، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه ، وإليه أشار في المباحث بقوله:

ومَن أباحَ النفسَ ما تهواهُ فإنما معبودُه هواهُ

فالآية وإن نزلت في هوى الكفر ، فهي متناولة لكل هوى النفس الأمارة ؛ ومتابعة الهوى كلُّها مذمومة ، فإن كان ما هوته محرمًا أفضى بصاحبه إلى العقاب ، وإن كان مباحًا بقي صاحبه في غم الحجاب وسوء الحساب وأَسْرِ نفسه وكَد طبعه .وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « ما عُبِدَ تحت السماء أبغضُ إلى الله تعالى من هوى» [(١)] ، وقال صلى الله عليه وسلم: « ثلاث مهلكات :شح مطاع، وهوى متَّبع ،

---

١ –أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه بألفاظ متقاربة .

وإعجاب المرء بنفسه» (١) وقال أيضًا: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله» (٢)

الإشارة : حقيقة الهوى كلُّ ما تعشقه النفس وتميل إليه من الحظوظ العاجلة ، ويجري ذلك في المآكل والمشارب والملابس والمناكح والجاه ورفع المنزلة ، فلْيجاهدِ العبدُ نفسَه في ترك ذلك كله ، حتى لا تحب إلا ما هو طاعة يقربُ إلى الله ، كما قال صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» (٣) ، فإن كان في طريق الإرادة والتربية تَرَكَ كلَّ ما تميل إليه نفسه وتسكن إليه . (٤)

أقول :للنفس البشرية وجهان :وجه للحظوظ والتلذذ ، ووجه آخر لإقامة الطاعة. فلو أضرَّ الإنسان بطعامه الذي هو بقدر الاحتياج يضرُّ عقله ، فعليه أن يأكل من المباحات بالأمر وينتهي بالأمر .وكذلك الحظوظ الأخرى ، كالزواج ، فإن من استقام على الشريعة والسنَّة النبويَّة يتزوج ، وزوجته تتعلق به ، فإذا أخلَّ بهذا الاشتياق النفسي يسبب ضررًا لها.

١- أخرجه البزار والطبراني وأبو نُعَيم عن أنس رضي الله عنه بسند ضعيف .

٢- أخرجه أحمد وابن ماجة والحاكم والترمذي عن شداد بن أوس مرفوعًا .وقال الحاكم صُحح على شرط البخاري .وفي رواية بزيادة: (الأماني).

٣- حديث حسن صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

٤- تفسير البحر المديد.

الركون إلى الكرامات والوقوف مع المقامات كلُّه أهوية تمنع مما هو أعلى منها من مقام العيان ، فلا يزال المريد يجاهد نفسه ويرحلها عن هذه الحظوظ حتى تتمحَّض محبتها في الحق تعالى ؛ فإن رؤية العبادة والعجبَ بها وعدمَ نسبتها إلى الله تعالى وعدمَ رؤية أنها من توفيقه جلّ وعلا ، كلُّ هذا من الهوى.

اللهمَّ احفظنا من إتباع أهوائنا بفضلك وكرمك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظان الخمسون و الحادي والخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَقَد مَكَّنَّاهُم فِيمَا إِن مَكَّنَّاكم فِيهِ وَجَعَلَنا لَهُم سَمعًا وَأَبصَارًا وَأَفئِدَةً فمَا أَغنَى عَنهُم سَمعُهُم وَلا أَبصَارُهُم وَلا أَفئِدَتهُم مِن شيءٍ إِذ كانُوا يَجحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَستهزِئُونَ) (٢٦) [الأحقاف:٢٦]

قوله تعالى : {وَجَعَلَنا لَهُم سَمعًا وَأَبصَارًا وَأَفْئِدَةً } ليستعملوها فيما خلقت له ، ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم، ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ، ويدوموا على شكرها.

والفؤاد من القلب كالقلب من الصدر ، سُمي به لتفؤُّده ، أي لتوقُّده تحرقًا ، { فمَا } نافية { أَغنَى عَنهُم سَمعُهُم } حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ، { وَلا أَبصَارُهُم } حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنضوية في صحائف العالم ،{ وَلا أَفْئِدَتهُم } حيث لم يستعملوها في معرفة الله سبحانه ، { مِن شيءٍ } أي شيئًا من الإغناء ،{ إِذ كانُوا يَجحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}.[١]

---

١ –تفسير روح البيان .

أقول :القلب مخصوص بمعرفة الله تعالى ، فإذا كان فارغًا منها تكون الجوارح الظاهرة مقطوعة عنه ، فلا يُستعمل السمع والبصر ولا غير ذلك من الجوارح فيما يُعرف الله تعالى به من الدلائل الكونية.

القلب حاكم على الجوارح ، فإذا عطَّل وظيفته فالرعية بطريق الأولى لا يشتغلون في وظيفتهم.

مثلا : محل التفكُّر في مخلوقات الله هو القلب ، فإذا تعطل كيف ينظر البصر إلى السماء ويتفكَّر فيها؟

من لم يستعمل ما أنعم الله تعالى به عليه – سواء من الجوارح الظاهرة أو الباطنة كالفؤاد أو الاستعداد أو العقل أو الحافظة أو غيرها من النعم – من لم يستعملها فيما خلقت له كأنه بيده آلة لقطع الأشجار والأشجارُ موجودة لكنه متحير كيف يفعل ، كيف يحتطب ويجمع الحطب ويشعل النار .الآلة بيده ولا يستعملها ، هل يُقال :هذا عاقل؟ لا ، وكذلك صاحب الجوارح الظاهرة المقطوعة عن الأفئدة الخالية عن محبة الله ؛ فالأفئدة ميتة والجوارح ميتة .إنا لله وإنا إليه راجعون:

{ أَوَلَم يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفسِهِم مَا خَلَق اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ وَمَا بَيَنهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمى وَإنَّ كثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبهِم لكافِرُونَ } [الروم : ٨].

اللهمَّ لا تقطع قلوبنا عنك ولا تفرغها من محبَّتك ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثاني و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمِنهُم مَن يَستمِعُ إليكَ حَتَّى إذا خرجُوا مِن عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ مَاذا قالَ ءَانِفا أُوَلئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم وَاتَّبَعُوا أَهوَاءَهُم) (١٦) [محمَّد :١٦]

قوله تعالى : { الَّذِينَ طبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم }خَتمَ عليها ، لعدم توجهِها نحو الخير أصلا ، { وَاتَّبَعُوا أَهوَاءَهُم } الباطلة ، فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه.[١]

الإشارة : مجلس الوعظ والتذكير ، إن كان المذكِّر من أهل التنوير نهض المستمع له إلى الله قطعًا ، لكن ذلك يتفاوت على قدر سَرَيان النور فيه قطعًا ، فمنهم من يصل النور إلى ظاهر قلبه ، ومنهم من يصل إلى داخل القلب ، ومنهم من يصل إلى روحه ، ومنهم من يصل إلى سره ، وذلك على قدر التفرغ والاستعداد؛ فمن وصل النور إلى ظاهر قلبه نهض إلى العمل الظاهر ، وكان بين حب الدنيا والآخرة ، ومن وصل إلى قلبه نهض بقلبه إلى الله ، ورفض الدنيا وراءه ، ومن وصل إلى روحه انكشف عنه الحجاب ، ومن وصل إلى سره تمكَّن من شهود الحق.[٢]

---

١ –تفسير روح البيان .

٢ –تفسير البحر المديد .

أقول :المقصود بشهود الحق الشهودُ المعنوي ، فكما أن إيمانه غيبيٌّ كذلك شهوده بعين اليقين وحق اليقين يكون غيبيًا ، فيكون كأنه مشهودُه لشدَّة يقينه.

وهو لا يبالي بالكشف والكرامات ، بل يحاول أن يتمسَّك بالوحي النازل من خالق العالمين إلى رسول رب العالمين ، وباتباع سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام حتى يخلص وينقطع عمَّا سوى الله تعالى.

اللهمَّ اجعلنا من أهل الشهود يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَيقولُ الَّذِينَ ءامَنوا لولا نزِّلت سُورَة فإذا أُنزلت سُورَة مُحكَمَة وَذكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيت الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ يَنْظرُونَ إليكَ نظرَ الْمَغْشِي عَليهِ مِنَ الْموتِ فأَوَلى لهُم) (٢٠) [محمَّد : ٢٠]

قوله تعالى : { رَأَيت الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } أي :ضعف في الدين أو نفاق ، وهو الأظهر.

اعلم أنه كما يلزم الصدق والإجابة في الجهاد الأصغر إذا كان متعينًا عليه كذلك يلزم في الجهاد الأكبر(١) إذا اضطر إليه(٢)، وذلك بالرياضات والمجاهدات ، على وفق إشارة المرشد أو العقل السليم (٣) ، وإلا فالقعود في بيت الطبيعةِ والنفسِ سببُ الحرمان من غنائم القلب والروح ، وفي بذل الوجود حصولُ ما هو خير منه ، وهو الشهود ، والأصل الإيمان واليقين(٤) .

١- قال ربنا جلَّ وعلا : { وَأَنَّ هَذا صِرَاطِي مُسْتقِيمًا فاتَّبِعُوهُ} [الأنعام :١٥٣]، فالجهاد الأكبر مقيَّد بالصراط المستقيم، أي :بالتمسك بالشريعة والسنَّة النبويَّة والإخلاص في العبادة، مع الإيمان الكامل واليقين، بدون طلب الشهود.

٢ -كلُّنا محتاجون إلى تطهير بواطننا من الأخلاق الذميمة ومن التعلُّقات غير المقبولة، وكذلك من التعلُّقات بالأشباح المقبولة، وإلى ترك ما سوى الله تعالى، أي :حتى الذي يرشدنا لا نتعلَّق بشبحه، بل بسر الطريق الذي وصل إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن بَعده.

٣- العقل السليم إذا كان موافقًا للشريعة والسنة النبوية مع تمسكه بمجاهدة النفس يرشد صاحبه كما يرشده المرشد فيكون أُوَيسِيًا، ويحصل له الانتقال من مقامات إلى مقامات بالجذب الإلهي وبالعناية الإلهية.

٤- تفسير روح البيان .

أقول :الشهود هو الإيقان ، وإذا وجدنا في كلام بعض الأولياء رضي الله عنهم عبارة "رؤية الله جلَّ وعلا "فليس المقصود منه الرؤية على الحقيقة ، بل المقصود هو الإيقان .فإذا ثبت الإيقان يثبت معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أن تعبد الله كأنك تراه » ، هذا هو الشهود ، ولا يرى أحد خالقه في الدنيا .،

ويعبَّر أحيانًا عن حصول التجلِّيات الصفاتية بالرؤية ، والحقيقة أن كلَّ ذلك إيقان، فلشدة الإيقان كأنهم يرون تلك التجلِّيات ، أو كأنهم يرون ربَّهم.

وهذا سرٌّ من أسرار الطريق ، وهو أمر معنوي يأتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمتد إلى قلوب من يتصلون بهذا السر ، بواسطة خادم الطريق – أي مرشد الطريق – بمحبتهم له واعتقادهم بأن هذا الطريق متصل بالمركز الأصلي ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما من يدَّعي الانتساب أو الانتماء إلى الطريق فإنه لا يقع على باله هذا الاتصال المعنوي برسول الله صلى الله عليه وسلم، فيبقى على حاله ، لكنه إذا صلَّى وترك الكبائر نرجو الله تعالى أن يكون من أهل النجاة.

اللهمَّ اجعلنا من أهل الشهود الإيقان يا رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَفلا يَتدَبَّرُونَ الْقرءَانَ أَم عَلى قُلوبٍ أَقفالُهَا) (٢٤) [محمَّد :٢٤]

قوله تعالى :{ أَفلا يَتدَبَّرُونَ الْقرءَانَ } قال القشيري :إذا تدبروا القرآن أفضى بهم إلى حِس العرفان ، وأزاحهم عن ظلمة التحير ، {أَم عَلى قُلوبٍ أَقفالُهَا } أقفل الحق على قلوب الكفار[١] ، فلا يدخلها زواجر التنبيه ، ولا ينبسط عليها شعاع العلم ، ولا يحصل فيهم الخطاب ؛ والبابُ إذا كان مُقفَلا فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج ما فيه، كذلك هي قلوب الكفار مُقَفلة ، فلا الكفر الذي فيها يخرج ، ولا الإيمان الذي يُدعَون إليه يدخل في قلوبهم.

الإشارة :{أَفلا يَتدَبَّرُونَ الْقرءَانَ } فإن فيه علوم الظاهر والباطن ، لكن إذا زالت عن القلوب الأقفال ؛ وحاصُلها أربعة :حب الدنيا ، وحب الرئاسة ، والانهماكُ في الحظوظ والشهوات ، وكثرُة العلائق والشواغل ؛ فإن سَلِم من هذه صفا قلبه ، وتجلَّت فيه أسرار معاني الذات والصفات ، فيتدبر القرآن، ويغوص في بحر أسراره، ويستخرج يواقيته ودرره .

وبالله التوفيق.[٢]

---

١ –بسوء اعتقادهم .

٢ –تفسير البحر المديد .

وفي التأويلات النجمية : { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءَانَ } فإن فيه شفاء من كل داء ، ليُفضيَ بهم إلى حُسن العرفان ، ويخلِّصهم من سجن الهجران ، { أَم عَلى قُلوبٍ أَقفالُها } أم قَفل الحقُّ على قلوب أهل الهوى بسوء اعتقادهم ، فلا يدخلها زواجر التنبيه ، ولا ينبسط عليها شعاع العلم ، ولا يحصل لها فهمُ الخطاب .وإذا كان الباب مُقَفلا فلا الشك والإنكار الذي فيها يخرج ، ولا الصدق واليقين الذي هم يُدعَون إليه يدخل في قلوبهم [١]

أقول :كلُّ هذا بتوفيق الله جلَّ وعلا ، ولكنه تعالى بيَّن لنا سبيل الهدى وطريق المجاهدة .فالمجاهدة ليست بترك الحلال بالكلِّيَّة ، كالزواج والأكل والنوم وغير ذلك، ولكن الذي يرى أن نفسه تغلبه من ناحية الشهوة مثلا فإنه يكثر من الصوم حتى يكسر شهوتها ، فيقلل علف النفس ويثقل حِملها ، لتكون ساكنة تحت أمر القلب لا تتجاوز عليه ، فيزداد القلب اطمئنانًا ، كما قال ربنا جلَّ وعلا : { ألا بذكر الله تطْمَئِنُّ الْقُلوبُ } [الرعد :٢٨] .فعلى المؤمن أن لا يتبع الهوى ولا النفس ولا الخلق.

١– تفسير روح البيان.

أكثر الناس يهتمون بنظر الخلق إليهم، فيقولون :لو لبسنا هكذا ماذا يقولون؟ ولو عملنا هكذا ماذا يقولون؟ ينبغي للمؤمن أن يقول :هذا أمر الشرع والقرآن ، عليَّ أن أعمل به لوجه الله تعالى ، حينذاك يأتي الفتح من الله جلَّ وعلا، ويُفَتح القفل ، من دون مفتاح حسي ، بل بمفتاح الله تعالى .هذا هو فتح العارفين.

اللهمَّ افتح أقفال قلوبنا وقلوب المؤمنين بنور القرآن الكريم وباتباع السنَّة النبويَّة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَم حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَن لن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُم) (٢٩) [محمَّد :٢]

قوله تعالى :{ أَم حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ } أي :المنافقون ، فإن النفاق مرض قلبي كالشك ،{ أَن لن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُم } والأضغان :جمع ضِغن ، وهو الحقد .وهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها ، والمعنى : بل أَحَسِبَ الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أن لن يُخرج الله أحقادهم ولن يُبرزها لرسول الله وللمؤمنين ، فتبقى أمورهم مستورة؟ أي أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال.

وفي بعض الآثار :لا يموت ذو زيغ في الدين حتى يفتضح ، وذلك لأنه كحامل الثوم، فلابد من أن تظهر رائحته ؛ كما أن الثابت في طريق السنَّة كحامل المسك ، إذ لا يقدر على إمساك رائحته . [١]

أقول :صاحب الأخلاق الذميمة تفوح رائحة أخلاقه من بَشرة وجهه ، قبل أن يفتح فمه حتى يفوح مثل رائحة الثوم والبصل .فإذا سمع المواعظ القرآنية والسنَّة النبويَّة أو قرأ كتب القوم والأولياء وعرف أنه متصف بهذه الأخلاق فإنه يحاول أن يتخلص منها ، لأنه إذا لبس قميصًا وسخًا لا يَرى أنه لائق أن يذهب إلى جماعةٍ

١-تفسير روح البيان .

بهذا القميص الملوَّث ، فيتفكر في نفسه أنه لا بد أن يترك الأخلاق الذميمة حتى يكون قلبه طاهرًا مهيَّئًا لنظر علاَّم الغيوب.

نرجو الله جلَّ وعلا أن يهدينا إلى أحسن الأخلاق ، فإنه لا يهدي إلى أحسنها إلا هو ، ونرجو منه تعالى التطهير لأنفسنا ، لأن النفس والشيطان عدوَّان لنا ، نعوذ بالله من شرورهما ، لأننا لا نطيق ولا نقدر على دفع هذين العدوَّين الخبيثين.

هذه الآية الكريمة في حق المنافقين الذين هم كفار في الحقيقة ، لكن المؤمن يمكن أن يحمل صفات المنافقين ويعمل بها ، من غير أن يشعر بذلك ، فلا يشتغل بتركها ؛ لكنه إذا استشعر بخباثة هذه الأخلاق فإنه لا يرضى بها ، لأنه إذا رأى هذه الأخلاق في غيره لا يرضى بها ، فمن باب أولى أن لا يرضاها لنفسه ، لكنه لا يراها في نفسه ؛ ولذا فإن الدخول في الطريق فرضُ عينٍ – كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه – لأن الإنسان لا يطَّلع على عيوب نفسه بنفسه ، فلا بد له من الأستاذ الحقيقي ، الذي يوجهه إلى ترك ما لا ينبغي ، حتى يَخْلُصَ منه ، وبالله التوفيق.

اللهمَّ مُنَّ علينا بالخلاص من عيوبنا ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (٤) [الفتح :٤]

قوله تعالى :{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ } أي جعل الطمأنينة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وعنه :الرحمة .وقال قتادة :الوقار في قلوب المؤمنين – وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية – الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله ، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانًا مع إيمانهم .وقد استدل بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب. (١)

قوله تعالى :{ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ } لئلا تنزعج قلوبهم لما يَرِدُ عليهم ، فسلَّموا لقضاء الله ، وكانوا قد اشتد عليهم صد المشركين لهم عن البيت ، حتى قال عمر رضي الله عنه : علامَ نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » (٢) ثم أوقع الله الرضا بما جرى في قلوب المسلمين فسلَّموا وأطاعوا. (٣)

١– تفسير ابن كثير .

٢– وَرَدَ في الصحيحين بلفظ : { إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري} انظر فقه السيرة ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

٣– تفسير زاد المسير .

قال حضرة الهدائي قدس سره في مجالسه المنيفة : ليزدادوا إيمانًا وجدانيًا ذوقيًا عيانيًا مع إيمانهم العلمي الغيبي ، فإن السكينة نور في القلب يسكن به إلى ما شاهده ويطمئن ، وهو من مبادي عين اليقين بعد علم اليقين ، كأنه وجدان يقيني معه لذة وسرور.[١]

أقول : كلما ازداد العبد في التوجه إلى الله تعالى مع الصدق في ذلك فإن الله تعالى – وهو أكرم الأكرمين وأرحم الرَّاحمين – يعطيه السكينة والازدياد في الإيمان وقوة اليقين في عين اليقين ، ثم ينقله بفضله وكرمه إلى حق اليقين ، فإنه جواد سبحانه وتعالى ، يحب مِن عبدِهِ – إذا اشتغل بدينه – أن يعرفه ، وأن يستفيد من معرفة ربوبية خالقه جلَّ وعلا.

إذا ذهبنا إلى عبدٍ نَدُقُّ بابه مرة أو مرتين أو ثلاث مرات فإنه يفتح لنا ويجيبنا ، فكيف بنا إذا جاهدنا أنفسنا في دين الإسلام لا نزداد هداية ولا سكينة؟ هذا لا يليق بالعبد فكيف بالله تعالى؟ إنه يعطي العبد ما يطلبه بشرط أن يكون صادقًا.

اللهمَّ افتح علينا فتوح العارفين ، واهدنا الصراط المستقيم.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير روح البيان.

اللفظ السابع و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَيَقولُ لكَ الْمُخلَّفونَ مِنَ الأَعرَابِ شغَلْتَنا أَموَالُنا وَأَهْلونا فاستَغفِر لَنا يَقولُونَ بِأَلْسِنتِهِم مَا ليسَ فِي قُلوبِهِم قلْ فمَن يَملِكُ لكم مِنَ اللَّهِ شيئًا إن أَرَادَ بِكم ضَرا أَو أَرَادَ بِكم نفعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعمَلونَ خبِيرًا) (١١) [الفتح :١١]

لما قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم التوجه إلى الحديبية تخلَّف قوم من الأعراب عنه، وقالوا : { شغَلْتَنَا أَموَالُنَا وَأَهْلونا } ، فأطلعه الله سبحانه على كذبهم ونفاقهم ؛ وأنهم لا يقولون ذلك إخلاصًا ، وعندهم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم .[١]

فقوله تعالى : { سَيَقولُ لكَ الْمُخلَّفونَ مِنَ الأَعرَابِ شغَلْتَنا أَموَالُنا وَأَهْلونا فاستَغفِر لَنا يَقولُونَ بِأَلْسِنتِهِم مَا ليسَ فِي قُلوبِهِم } أي :سيقول الذين تخلَّفوا عن الخروج معك عام الحديبية إذا رجعت إليهم : شغِلنا عن الخروج معك بسبب الأموال والأولاد ، فاطلب لنا العفو من الله ، لأن هذا التخلُّف لم يكن باختيار ، وإنما كان عن اضطرار ، وهم كاذبون في هذا القول ، يقولون خلاف ما يبطنون ، وهذا هو النفاق القبيح، { قلْ فمَن يَملِكُ لكم مِنَ اللَّهِ شيئًا إن أَرَادَ بِكم ضَرا أَو أَرَادَ بِكم نفعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعمَلونَ خبِيرًا } أي : قل لهم :من يمنعكم أو يدفع عنكم ما قدره الله لكم من ضر أو نفع ؟

---

١ –تفسير القشيري .

فإذا أراد الله عليكم القتل والهزيمة ، أو أراد لكم النصر والغنيمة ، فمن يمنع ذلك عنكم؟ [١]

وفي الآية إشارة إلى أن القلوب الغافلة عن الله يقولون – أي أهلها – بألسنتهم ما ليس له حقيقة ، ولا شعورَ لقلوبهم على حقيقة ما يقولون ، فإنهم يقولون ويريدون به معنى آخر ، كقولهم :" شغلتنا أموالنا وأهلونا " مجازًا ، يريدون به اعتذارًا لتخلفهم ، ولقولهم : "شغلتنا " حقيقة ، وذلك أن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن ذكر الله والائتمار بأوامره وعن متابعة النبي عليه الصلاة والسلام وهم مأمورون بها. [٢]

أقول :الآية تدل على أن المنافق بعدم صدقه صار منافقًا ، ومن صار منافقًا فقد خرج من الدين ، فعلى المؤمن أن لا يكون موصوفًا بصفات المنافقين ، الذين هم مؤمنون بألسنتهم يطلبون من رسول الله الاستغفار لهم ، وقلوبهم مخالفة لألسنتهم ، واللهُ تعالى مطَّلع على قلوبهم ، وبذلك ثبت كفرهم بالنص القرآني.

والمؤمن إذا قال شيئًا بلسانه مخالفًا لما في قلبه فهو فاسق ، فعلينا أن نحترز من هذه الصفة ، لأن الله يعلم إذا كانت الألسنة مخالفة للقلوب ، هذا واحد ، والآخر أننا إذا كذبنا من أجل شيء نريده من الخلق فإذا جاء ضرر من عند الله بسبب كذبنا هل هناك أحد يدفع هذا الضرر عنا؟ إذا كان ذلك غير ممكن فما فائدة الكذب؟.

اللهمَّ خلِّص المؤمنين من صفات المنافقين يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

٢ –تفسير روح البيان.

اللفظ الثامن و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(بَلْ ظَنَنْتُم أَن لن يَنْقلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنونَ إلى أَهلِيهِم أَبَدًا وَزُيِنَ ذلِكَ فِي قُلوبِكم وَظَنَنْتُم ظَنَّ السَّوءِ وَ كُنتُم قَومًا بُورًا) (١٢) [الفتح :١٢]

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب – المعتذرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من سفره إليهم بقولهم : { شغَلَتنا أَموالُنا وَأَهلُونا } [الفتح :١١] – : ما تخلَّفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم ، بل تخلفتم بعده في منازلكم ظنًا منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون ، فلا يرجعون إليكم أبدًا باستئصال العدو إياهم ، { وَزُيِنَ ذلِكَ فِي قُلوبِكم} وحَسن الشيطان ذلك في قلوبكم وصححه عندكم ، حتى حسُن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن صحبته { وَظَنَنْتُم ظَنَّ السَّوءِ } يقول : وظننتم أن الله لن ينصر محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم ، وأن العدو سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم.[١]

---

١ –تفسير الطبري .

أقول :هذه الآية الكريمة والتي قبلها نزلتا في حق من تخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعى دعوى غير صادقة ، لكنها تجرُّ ذيلها في كل عصر إلى من لا تهمه تقوى الله ، ولا تهمه الصلاة ، ولا يهمه الصدق ، ويتخبط مع نفسه ، سواء كان في البيع والشراء أو في المعاملة الدينية والدنيوية.

فعلى المؤمن أن يكون صادقًا، كلما أراد أن يتكلم عليه أن يتكلم بالصدق ، ولكن لا يلزم عليه أن يتكلم بكل الصدق ، فإذا كان ظاهره موافقًا لباطنه وسرُّه موافقًا لإعلانه يكون من الصادقين ، أما إذا كان يرجح الدنيا والفلوس والأكاذيب فإنه يخرج عن صف الصادقين ، فعليه أن يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله تعالى فهو غفور رحيم ، لئلا يقع في الهلاك ، وحتى يدخل تحت قول الله تعالى : { هَذا يومُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقهُم لهُم جَنَّات تجرِي مِن تحتِهَا الأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنْه ذلِكَ ألْفوزُ الْعَظِيمُ } [المائدة :١١٩].

مدار هذه الآية الكريمة تزيين الشيطان بعض الأمور في قلوب المؤمنين ، فعلى المؤمن العاقل أن يتجنب الأخلاق الرديئة التي يزينها له الشيطان ، لأنها خلاف مقتضى الإيمان ، وأن لا يبرر ولا يدافع عن نفسه ، لأن الكذب في أمرٍ ما يؤثر على إيمان المخاطب فيه.

نرجو الله تعالى جلّ جلاله أن يُصلح ظاهرنا وباطننا ، وأن يجعلنا من المتمسكين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمقتدين بأخلاقه الكريمة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع و الخمسون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَقد رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِ ذ يُبَايِعُوَنكَ تحت الشَّجَرَةِ فعَلِمَ مَا فِي قُلوبِهِم فَأَنْزَلَ السَّكِيَنة عَليهِم وَأَثابَهُم فُتحًا قرِيبًا) (١٨) [الفتح :١٨]

أي رضي الله عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت في سبيل الله ، فقد فازوا برضا الرحمن ، وخلعَ عليهم ربهم خِلعة الرضوان، { لَقد رَضِيَ اللَّهُ } وحدد المكان الذي بايعوا فيه وهي الشجرة ، وحضر هذه البيعة روح القدس جبريل عليه السلام ، ولهذا سُطِّرت في الكتاب المبين، فما أكرمها من بيعة! وما أعظمه من أجر و ثواب!، { فعَلِمَ مَا فِي قُلوبِهِم } من الصدق والوفاء فرزقهم الطمأنينة وسكون النفس عند البيعة ، لأنها كانت بيعة على الموت ، وجازاهم على هذا الإيمان بدخول الجِنان.[١]

قال القشيري :علم ما في قلوبهم من الاضطراب والتشكيك[٢]، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين ، فبشَّر أصحابه ، فلما صُدوا خامر قلوبَهم شك ، { فأَنْزَلَ } الله {السَّكِيَنة عَليهِم } أي :اليقين والطمأنينة ، فذهب عنهم .ثم قال : وفي الآية دليل على أنه قد يخطر ببال الإنسان خواطر مشككة ،

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

٢ –هذه الوساوس والخطرات لا يؤاخذ العبد بها مادامت لم تنتقل إلى الهم والعزم .

وفي الريب موقعة ، ثم لا عبرة ، فإن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرًا ألزم التوحيد قلبه، وقارن التحقيق سره ، فلا يضره كيد الشيطان .قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقوا إِذا مَسَّهُم طَائِف مِنَ الشَّيطَانِ تذكَّرُوا فإِذا هُم مُبصِرُونَ } [الأعراف : ٢٠١].

أقول :على المؤمن أن يكون على سيرة الصحابة رضي الله عنه ، فإننا – وإن لم نكن في الدرجة مثلهم – لكننا في الاعتقاد والإيمان مثلهم ، لأن الاعتقادات الإيمانية لا تتغير ، وهم بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام بيعة على الموت ، وبسبب ذلك الصدق الذي علمه الله في قلوبهم أرضاهم ورضي عنهم.

فعلى المؤمن أن يكون صادقًا في كلامه وفي معاملته وفي عبادته ، لأن الله مطَّلع عليه ، ويعامله بما يوافق علمه تعالى فيه ، لا بما يوافق علم العباد أو أقوالهم ،ولذا قال ربنا جلَّ وعلا : { وَالسَّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لهُم جَنَّاتٍ تجرِي تحتَهَا الأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذلِكَ الْفوزُ الْعَظِيمُ } [التوبة : ١٠٠] ، الإحسان :أن تؤمن أن ربك يعلم ما في قلبك.

احذروا من مخالفة ألسنتكم لما في قلوبكم ، فالله مطَّلع على ما في قلوبكم وهو يعلم المفسد من المصلح.

١– تفسير البحر المديد

علينا أن نصلِّح وُنطهر بواطننا ، فإذا قلتم :كيف نطهر قلوبنا؟ الجواب: بإيمانكم بأن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم.

اذكروا الله واقرؤوا القرآن بتدبُّر وطبقوا الأوصاف التي وصف الله بها عباده المؤمنين على أنفسكم تكونوا من الذين رضي الله عنهم.

كلُّ هذا يحصل في الدنيا ، أما إذا كنت ممن يغترُّون بالأماني وتقول : "الله غفور رحيم " فإنه غفور رحيم لمن تاب وأناب وترك المخالفات ، أما أن تصر على المخالفات وتقول : "الله غفور رحيم " فهذا غرور.

اللهمَّ ارزقنا توبة نصوحًا ، لا ننقض عهدها أبدًا ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ الستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُم كلِمَةَ التَّقوَى وَكانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا) (٢٦) [الفتح :٢٦]

قوله تعالى :{ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفرُوا فِي قُلوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ } أي حين دخلت إلى نفوس المشركين العصبية الجاهلية أنفة وغطرسة ، فمنعوكم من دخول مكة وأداء مناسك العمرة ، ورفضوا أن يكتبوا في وثيقة الصلح : " بسم الله الرحمن الرحيم " كما رفضوا أن يكتبوا : "محمد رسول الله " وقالوا : اكتب اسمك واسم أبيك. وفي أبي السعود: { فأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ } أي :فأنزل الله الطمأنينة والصبر والوقار على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين ، ولم تلحقهم العصبية الجاهلية كما لحقت المشركين ، وثبتهم على كلمة الإيمان والتوحيد : "لا إله إلا الله محمد رسول الله" والإذعان والطاعة لله ورسوله ، مع أن شروط الصلح كانت مجحفة بحقوق المسلمين.(١)

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

فلا يصل العبد إلى مولاه حتى تكون نفسه أرضية ، وروحه سماوية ، يدور مع الحق أينما دار ، ويخضع للحق أينما ظهر ، ولأهله أينما ظهروا ، لم تبق فيه حميّة ولا أنَفة ، بل يكون كالأرض يطؤها البَر والفاجر ولا ُتميز بينهما ، وأما من فيه حمية الجاهلية فهو من أهل الخذلان ، وأما أهل العناية فأشار إليهم بقوله : { فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ } فكان متواضعًا سهلا لينًا ، كما قال تعالى : { وَإِنَّكَ لعَلى خُلقٍ عَظِيمٍ } [القلم :٤]، { وَعَلى ٱلْمُؤْمِنِينَ } فأخبر عنهم بقوله : { أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلكفَّارِ رُحمَاءُ بَيْنَهُم } [الفتح : ٢٩] الآية ،{ وَأَلْزَمَهُم كلِمَة التَّقوَى} " لا إله إلا الله" ، لأنها تهذِّب الأخلاق ، وُتخرج ما في القلب من الأمراض والنفاق ، لأن النفيَ تنزيه وتخلية ، والإثبات :نور وتحلية ، فلا يزال النفيُ يُخرج من القلب ما فيه من الظلمة والمساوئ حتى يتطهر ويتصف بكمال المحاسن.[1]

أقول :العزة الموجودة في المؤمنين هي عزة الدين ، لاعزّة العنصرية ولا القرابة ولا غيرها ، ولولا ذلك لما سكت الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على ما صدر من الكفار من عدم موافقتهم على كتابة " محمَّد رسول الله " صلى الله عليه وسلم ، وطلبهم أن يكتب اسمه الشريف واسم أبيه .فإن ذلك لم يحرك في قلوبهم رضي الله تعالى عنهم الأخذ بالشدة وهم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى أسكت العزة والغيرة التي في قلوبهم ، فتحملوا ذلك لئلا تفسخ شروط المصالحة ، التي اتفق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الكفار ،

١- تفسير البحر المديد.

لأنه في الحقيقة أخذ بعين الاعتبار ما رآه في الرؤيا ، واجتهد أن يكون ذلك الصلح ضدّ الكفار ، وأن يكون فيه فوائد كثيرة للمسلمين .وأنت تعلم – أيها القارئ الكريم – ما فعله سيدنا عمر ، وما قاله لسيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ، وأنهما رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما : « إنّي عبد الله ورسوله ولن يضيّعني »

فغيرة المسلم وعزته – كما أسلفنا – بالدّين وليست بالعصبية.

علينا – معاشر المسلمين – أن نحافظ على ديننا وإسلامنا وكتابنا الذي يبقى فينا إلى آخر الدنيا ، حتى لا نضيّع ما أعطانا الله تعالى ببركة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . فلا يجوز للمؤمن أن يتجاوز عن حق العموم في الإسلام ، ولكن له أن يتجاوز ويسامح في حقه.

نرجو الله تعالى أن يثبتنا على الإسلام والإيمان وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

١– انظر تخريج الحديث في هامش اللفظ السادس والخمسون بعد المئة.

اللفظ الحادي و الستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ الَّذِينَ يَغضُّونَ أَصواَتَهُم عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُوَلئِكَ الَّذِينَ امَتحَنَ اللَّهُ قُلوبَهُم لِلتَّقوَى لَهُم مَغفِرَة وَأَجرٌ عَظِيمٌ)(٣) [الحجرات :٣]

أي :إن الذين يغضون أصواتهم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مراعاةً للأدب هؤلاء هم الذين أخلص الله قلوبهم لمرضاته، وجعلها أهلا ومحلا لتقوى الله والإجلال لرسوله، لهم على أدبهم المغفرة والثواب العظيم في جنَّات النعيم. [١]

فقوله تعالى : { أُوَلئِكَ الَّذِينَ امَتحَنَ اللَّهُ قُلوبَهُم لِلتَّقوَى } أي كائنة للتقوى مختصة بها ، أو المراد أخَلصَها للتقوى ، أي جعلها خالصة لأجل التقوى، أو أخلصها لها ، فلم يبق لغير التقوى فيها حقٌّ ، كأن القلوب خلصت ملكًا للتقوى، وهذا أبلغ { لهُم مَغفِرَة وَأَجرٌ عَظِيمٌ } قال الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال : كتب إلى عمر : يا أمير المؤمنين ! رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر رضي الله عنه : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها { أُوَلئِكَ الَّذِينَ امَتحَنَ لَّهُ قُلوبَهُم لِلتَّقوَى لهُم مَغفِرَة وَأَجرٌ عَظِيمٌ } [٣]

١- التفسير الواضح الميسر .

٢- تفسير الألوسي .

٣- تفسير ابن كثير .

قال الإمام القشيري رحمه الله :أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى بانتزاع حب الشهوات منها، فاتَقوا سوء الأخلاق ، وراعَوا الأدب . [١]

أقول : { امَتحَنَ اللَّهُ قُلوبَهُم } لا أجسامهم ، فاعتبار الإنسان بالقلب لا بالجسد ، والجسدُ خَلَقه الله تعالى للطاعة والركوع والسجود ، لأن الجوارح تحت سيطرة القلب وهو أمير عليها ، ولذا قال الله جلَّ جلاله : { امَتحَنَ اللَّهُ قُلوبَهُم } أي: أخلصها للتقوى.

اللهمَّ أخلص قلوبنا بفضلك وكرمك يا رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١–تفسير القشيري .

اللفظ الثاني و الستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاعلمُوا أَنَّ فِيكم رَسُولَ اللّهِ لو يُطِيعُكم فِي كثِيرٍ مِنَ الأَمرِ لعَنِتُّم وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكم وَكَرَّهَ إِلَيكُمُ ألكفرَ وَالْفسُوق وَالْعِصيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (٧) [الحجرات :٧]

قوله تعالى : { حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكم } أي :قربه وأدخله في قلوبكم ، ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم ، وهذا لأن من يحب أشياء فقد يمَلُّ شيئًا منها إذا حصل عنده وطال لبثه ، والإيمانُ كل يوم يزداد حسنًا ، ولكن من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم تكون العبادة والتكاليف عنده ألذ وأكمل، ولهذا قال في الأول : { حَبَّبَ إِلَيكُمُ } وقال ثانيًا : { وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكم } كأنه قربه إليهم ثم أقامه في قلوبهم . [١]

فالله تعالى بمنّه وفضله حَفِظكم ونور بصائركم وجعل الإيمان محبوبًا إليكم وحسنه في قلوبكم، حتى صارَ أغلى عندكم من كل شيء ، ونغَّص إلى نفوسكم الكفر

---

١ –تفسير الرازي .

والمعاصي والخروج عن طاعة الرحمن ، { أُوَلئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } أي : والذين تحلَّوا بهذه الصفات الجليلة هم الراشدون الموفقون للخيرات وسلوك طريق السعادة . [١]

أقول :قوله تعالى : { حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ } يدلُّ على أن اعتبار الإنسان بالإيمان ، وقيمته وأفضليته بالإيمان ، لا بالحسب والنسب والشكل وغير ذلك، لأنه إذا ثبَت في قلب العبد الإيمانُ القطعي فإنه يعزم ويتكلم ويفعل ما يوافق إيمانه .وقوله تعالى: { وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكم } يدل على أن التزيين لا يحصل إلا بالإيمان ، ومكان التزيين هو القلب ، فإذا ثبَت التزيين في القلب لا يخرج من الجوارح إلا ما كان موافقًا للإيمان ، فتكون حركات العبد إيمانية ، وأفعاله إيمانية ، وكلامه إيمانيًا إسلاميًا ، فلا يتكلم عن حظوظه النفسانية ، لأن الفم غطاء القلب ، فإذا فتح الفم يخرج الكلام إما بصفة الإيمان أو بالعكس ، من الكذب والافتراء والتكبر ، والناس يَقِفون على ما يصدر عن بعضهم ، فإن كان موافقًا للإيمان المزيَّن في القلب يحسنونه ، وإن خرج من الأنانية والكبر والاحتيال على الناس لا يَقبلون به.

هذه ثمرة الإيمان الثابت في القلب وتزيينه للأخلاق والأقوال والأفعال .والله المستعان.

اللهمَّ زين قلوبنا بحسن الخُلق ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- التفسير الواضح الميسر.

اللفظ الثالث و الستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاعلمُوا أَنَّ فِيكم رَسُولَ اللَّهِ لو يُطِيعُكم فِي كثِيرٍ مِنَ الأَمرِ لعَنِتُّم وَلكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنهُ فِي قُلوبِكم وَكرَّهَ إِلَيكُمُ ٱلكفرَ وَٱلْفسُوق وَٱلْعِصيَانَ أُوَلئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (٧) [الحجرات:٧]

قوله تعالى:{ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنهُ فِي قُلوبِكم } أي :قربه وأدخله في قلوبكم ، ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم ، وهذا لأن من يحب أشياء فقد يمَلُّ شيئًا منها إذا حصل عنده وطال لبثه ، والإيمانُ كل يوم يزداد حسنًا ، ولكن من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم تكون العبادة والتكاليف عنده ألذ وأكمل ، ولهذا قال في الأول : { حَبَّبَ إِلَيكُمُ } وقال ثانيًا : { وَزَيَّنهُ فِي قُلوبِكم } كأنه قربه إليهم ثم أقامه في قلوبهم.[١]

فالله تعالى بمنِّه وفضله حَفِظكم ونور بصائركم وجعل الإيمان محبوبًا إليكم وحسنه في قلوبكم ، حتى صارَ أغلى عندكم من كل شيء ، ونغَّص إلى نفوسكم الكفر والمعاصي والخروج عن طاعة الرحمن ، { أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } أي :والذين تحلَّوا بهذه الصفات الجليلة هم الراشدون الموفقون للخيرات وسلوك طريق السعادة.[٢]

---

١ -تفسير الرازي .

٢ -التفسير الواضح الميسر .

أقول :قوله تعالى : { حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ } يدلُّ على أن اعتبار الإنسان بالإيمان ، وقيمته وأفضليته بالإيمان ، لا بالحسب والنسب والشكل وغير ذلك ، لأنه إذا ثبَت في قلب العبد الإيمانُ القطعي فإنه يعزم ويتكلم ويفعل ما يوافق إيمانه .وقوله تعالى:

{ وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكم } يدل على أن التزيين لا يحصل إلا بالإيمان ، ومكان التزيين هو القلب ، فإذا ثبَت التزيين في القلب لا يخرج من الجوارح إلا ما كان موافقًا للإيمان ، فتكون حركات العبد إيمانية ، وأفعاله إيمانية ، وكلامه إيمانيًا إسلاميًا ، فلا يتكلم عن حظوظه النفسانية ، لأن الفم غطاء القلب ، فإذا يُفتح الفم يخرج الكلام إما بصفة الإيمان أو بالعكس ، من الكذب والافتراء والتكبر ، والناس يَقِفُون على ما يصدر عن بعضهم ، فإن كان موافقًا للإيمان المزيَّن في القلب يحسنونه ، وإن خرج من الأنانية والكبر والاحتيال على الناس لا يَقبلون به.

هذه ثمرة الإيمان الثابت في القلب وتزيينه للأخلاق والأقوال والأفعال .والله المستعان.

اللهمَّ زين قلوبنا بحسن الخُلق يا ربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع والستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(مَن خشِيَ الرَّحمَنَ بِألْغيبِ وَجَاءَ بِقلْبٍ مُنِيبٍ) (٣٣) [ق:٣٣]

أي خاف الرحمن وأطاعه واتبع أمره، دون أن يرى ربه ، لقوة إيمانه ويقينه ، وجاء بقلبٍ نقي وطاهر ، غيرِ ملوث بالقذارات من الكفر والمنكرات. (١)

فقوله تعالى :{ مَن خشِيَ الرَّحمَنَ بِألْغيبِ } أي كانت خشيتهم قبل ظهور الأمور حيث ترى رأي العين ، وقوله تعالى : { وَجَاءَ بِقلْبٍ مُنِيبٍ } إشارةٌ إلى صفة مدح أخرى ، وذلك لأن الخاشي قد يهرب ويترك القرب من المخشي ولا ينتفع ، وإذا علم الخاشي أنه تحت حكمه تعالى علم أنه لا ينفعه الهرب ، فيأتي المخشي وهو (غير) خاشٍ ، فقال: { وَجَاءَ} ولم يذهب كما يذهب الآبق، وقوله تعالى : { بِقلْبٍ مُنِيبٍ} الباء فيه يحتمل وجوهًا ذكرناها في قوله تعالى :{ وَجَاءَت سَكرَةَ الْمَوتِ بِالْحَقِّ } [ق : ١٩] **أحدها** :التعدية أي أحضر قلبًا سليمًا ، كما يقال ذهب به إذا أذهبه ؛ **ثانيها**: المصاحبة ، يقال :اشترى فلان الفرس بسرجه أي مع سرجه ، وجاء فلان بأهله أي مع أهله ؛ **ثالثها** – :وهو أعرفها – الباء للسبب ، يقال :ما أخذ فلان إلا بقول فلان ، وجاء بالرجاء له ، فكأنه تعالى قال : جاء وما جاء إلا بسبب إنابة في قلبه ، علم أنه لا

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

مرجع إلا إلى الله ، فجاء بسبب قلبه المنيب .والقلبُ المنيب كالقلبِ السليم في قوله تعالى : { إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الصافَّات :٨٤] ، أي سليم من الشرك ، ومن سلم من الشرك يترك غير الله ويرجع إلى الله ، فكان منيبًا ، ومن أناب إلى الله برئ من الشرك فكان سليمًا. [١]

قال ابن كثير : { مَن خَشِيَ الرَّحمَنَ بِألْغيبِ } أي من خاف الله في سِره حيث لا يراه أحد إلا الله عز وجل ، كقوله صلى الله عليه وسلم: « ورجل ذكر الله تعالى خاليًا ففاضت عيناه » [٢] . [٣]

{ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } لم يقل بنفس مطيعة ، بل قال : بقلب منيب ، ليكون للعصاة في هذا أمل ، وإن قصروا بنفوسهم وليس لهم صدق القَدَمِ فلهم الأسف بقلوبهم وصدق الندم. [٤]

وفي التأويلات النجمية : { وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } إلى ربه ، معرضٍ عما سواه ، مقبلٍ عليه بكلّيته .[٥]

---

١ –تفسير الرازي .

٢ –متَّفق عليه .

٣ –تفسير ابن كثير .

٤ –تفسير القشيري .

٥ –تفسير روح البيان

أقول :خوف العبد من الله تعالى بينه وبين الله جلَّ جلاله ، لا يعلمه أحد من الخلق، ولا يطَّلع عليه أحد من الملائكة ، لأنَّ محل الخوف هو القلب.

والخوف من الله إما أن يكون لعظمته أو لعقابه ؛ فإذا كان لعظمته يحصل الاستحياء منه تعالى ، وأما إذا كان لعقابه فهو أقل درجة.

والخوف من الإيمان؛ لأنَّ الله تعالى لا يُرى في الدنيا ، لكن الإيمان الغيبي يقع معنىً مكان الرؤية ، يعني كأنَّه يراه ، فمن كان يؤمن بمعيته كأنَّه يراه فإن هذا يقع مكان الرؤية.

وإن حصل هذا فليس من طهارة قلوبنا ، بل من فضله تعالى أعطانا شعورًا إيمانيًا بالغيب رغم عدم الرؤية ؛ هذه مِنَّة كبيرة ، حتى نبقى مع هذا الإيمان أبد الأبد ، ونبقى –في الآخرة – على المحبة لله لا للجنَّة ، وهذا أمر لا يوازيه شيء.

اللهمَّ اجعلنا كذلك يا أكرم الأكرمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس والستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (٣٧) [ق:٣٧]

أي : إن فيما ذكرناه من إهلاك الأمم الباغية لتذكرة وموعظة لمن كان له قلب سليم وفكر نير يتدبر به ما يسمع ، أو أصغى إلى الموعظة وهو حاضر القلب ليتذكر ويعتبر ، فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه .وعبر عن الفعل بالقلب لأنَّه موضعه .[١]

الإشارة :كثيرًا ما أهلك الله من النفوس المتمردة في القرون الماضية زجرًا لمن يأتي بعدهم ، ففي ذلك ذكرى لمن كان له قلب سليم من تعلُّقات الكونين.

قال القشيري :فالقلوب أربعة :قلب فاسد ؛ وهو قلب الكافر، وقلب مقفول ؛ وهو قلب المنافق ، وقلب مطمئن ؛ وهو قلب المؤمن ، وقلب سليم ؛ وهو قلب المحبين والمحبوبين ، الذي هو مرآة صفات جمال الله وجلاله .[٢]

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

٢ –تفسير البحر المديد .

أقول :لابدَّ للإنسان أن يتفكر بعقله فيمن مضى من الأمم ، فقد مضى مئة وأربع وعشرون ألف نبي ، كلهم دعَوا إلى توحيد الله وإلى رسالة رسول ذلك الوقت وأحكام تلك الشرائع المنزَّلة بالوحي الإلهي على أولئك الرسل.

لو تفكَّر الإنسان بعقله فيمن مضى من الناس وما ذاقوا من العذاب ، وفي أولئك الأنبياء ومن وافقهم ومن خالفهم ، وأنهم كلهم انقرضوا ولم يبق لهم أثر ، يحصل له الاعتبار بأنه فرد واحد من الذين ذهبوا والذين بقوا ، فيتفكر بأن لا يخالف أمر خالقه وإتباع رسوله آخر الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، المبعوث للإنس والجن تكليفًا وللملائكة تشريفًا.

على الإنسان أن يتفكر بأنه فردٌ مثل أولئك الأفراد الذين ذهبوا ولم يرجع أحدٌ منهم حتى نسأله أي شيء ينفع و أي شيء يضر هناك ، هذا أولا.

وثانيًا :يجب أن يحصل الإيمان القطعي في جناب الذات الأعظم المنزَّه عن الشركاء ، القادر على كل شيء.

بالمسألة الأولى تحصل الذكرى ، وبهذا الإيمان يحصل القلب الشهيد ، الذي يشهد عظمة الله ، ويؤمن بقوة الله وقدرته جلَّ وعلا.

بهذا يخلص الإنسان من التقليد والاشتغال بالأمور الفارغة الفانية ، ومن الاشتغال الزائد عن الحاجة بهذه الدنيا ، ويتمسك بالله تعالى ، ويكون من الذين مدحهم الله تعالى بقوله : { إِنَّ فِي ذلِكَ لذِكرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَو أَلْقَى السَّمعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }

فإذا سمع الموعظة القرآنية أو السنَّة النبويَّة يتعظ بها ، ويدخل تحت مدح الله لعباده الذين اتصفوا بهذه الأوصاف.

اللهمَّ اجعلنا منهم يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس والستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(مَا كذبَ الْفؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفُتمَارُونَهُ عَلى مَا يَرَى (١٢)) [النجم :١١-١٢]

أقول :هذه الآية الكريمة قريبة من المتشابهات ، وليس لنا أن نؤول الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، بل نكتب ما قاله المفسرون والمحدثون - رحمهم الله تعالى – اهـ.

فقوله تعالى :{ مَا كذبَ الْفؤَادُ } أي : فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام { مَا رَأَى } أي : ما رآه ببصره من صورة جبريل على تلك الكيفية ، أو : من نور الحق تعالى ، الذي تجلى له . أي : ما قال فؤاده لِمَا رآه : لمْ أعرِفْكَ ، ولو قال ذلك لكان كذبًا ؛ لأنه عرفه بقلبه كما عرفه ببصره [١] . وقيل :على إسقاط الخافض ، أي : ما كذب القلب فيما رآه البصر ، بل ما رآه ببصره حققه . وفي الحديث : سُئل صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال : « رأيت ربي بفؤادي مرتين» [٢] ، حديث آخر: « جُعل نور بصري في فؤادي ، فنظرت إليه بفؤادي » [٣] يعني أنه انعكس نور البصر إلى نور

١- لأن الإيمان لم يحصل له – عليه الصلاة والسلام – بالرؤية ، بل حصل له الإيقان بالقلب قبل ذلك ؛ وما دام الإيمان الحاصل بالقلب لا يدخل فيه شك ولا ريب فإنه كالإيمان الحاصل بالبصر.

٢- روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :(مَا كذبَ الْفؤَادُ مَا رَأَى) (وَلَقَدْ رَآهُ نَزلَةً أُخرَى) ، قال :رآه بفؤاده مرتين.

٣ –قال ابن كثير في تفسيره :ذكره الحافظ ابن عساكر بسند ضعيف .

البصيرة ، فرأى ببصره ما رأته البصيرة .وجاء أيضًا :أنه لما انتهى إلى العرش صار كله بصرًا ؛ وبهذا يرتفع الخلاف ، وأنه رآه ببصر رأسه .وقوله عليه الصلاة والسلام حين سأله أبو ذر : هل رأيت ربك؟ فقال : « نور أنَّى أراه » ، وفي طريق آخر : « رأيت نورًا » . وحاصُلها أنه رأى ذات الحق متجلية بنور من نور جبروته ، إذ لا يمكن أنترى الذات إلا بواسطة التجلّيات.

وقال كعب لابن عباس رضي الله عنهما :إن الله تعالى قسَمَ رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام ، فكلَّم موسى عليه الصلاة والسلام مرتين ، ورآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين . وقيل لابن عباس رضي الله عنهما : ألم يقل الله سبحانه وتعالى :{ **لا تدرِكهُ الأَبصَار** } [1] [الأنعام : ١٠٣] قال :ذلك إذا تجلَّى بنوره الذي هو نوره الأصلي . يعني أن الله تعالى يتجلَّى لخلقه على ما يطيقون ، ولو تجلَّى بنوره الأصلي لتلاشى الخْلق . [2]

والجمهور على أن المرئي مرتين هو جبريل ، وعن ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ، وأنكرَت ذلك عائشة رضي الله عنها وقالت : إنَّه رأى جبريل في صورته مرتين. [3]

١– قال ابن كثير في تفسيره :المراد بالإدراك الإحاطة ، ولا يلزم من عدم الإحاطة عدمُ الرؤية ، كما لا يلزم . من عدم إحاطة العلم عدمُ العلم ، قال تعالى : (وَلا يُحِيطونَ بِشيءٍ مِن عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاء) [البقرة :٢٥٥]

٢ –تفسير البحر المديد .

٣ –صفوة التفاسير.

قال مسروق : دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت : هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء قَفَّ له شعري ، فقلت :رويدًا ، ثم قرأت: { لَقد رَأَى مِن ءَايَاتِ رَبِهِ اْلكبرَى} [النجم : ١٨] ، فقالت :أين يذهب بك؟ إنما هو جبريل . من أخبرك أن محمدًا رأى ربه أو كتم شيئًا مما أُمِر به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِلُ الْغيث وَيَعَلمُ مَا فِي الأَرحَامِ وَمَا تدرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غدًا وَمَا تدرِي نَفْسٌ بِأَيِ أَرضٍ تَمُوت إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خبِيرٌ } [لقمان :٣٤] ، فقد أعظم على الله الفِرية ، ولكنه رأى جبريل ، لم يرَه في صورته إلا مرتين ، مرَّة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد ، وله ستمئة جناح قد سد الأفق. [١]

وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى ، ثم اختلف هؤلاء فذهب جماعة إلى أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده دون عينيه، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينيه. [٢]

أقول :لكن كثيرًا من العلماء المتقدمين يقولون : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربَّه بعيني رأسه ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

ولكن أمر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من أركان الإيمان ، بل هو من نور الإيمان ، لأنه عليه الصلاة والسلام ذهب بالولاية ورجع بالرسالة ، الولاية قابلة للظِلّيَّة والرسالة منزَّهة عن الظلية .الذين يقولون : "رأى" والذين يقولون : " لم يرَ "هذا من اجتهادهم رضي الله تعالى عنهم ، وإن اعتقادي وإيماني أنه – عليه

---

١ –تفسير ابن كثير .

٢ –شرح الإمام النووي على صحيح مسلم.

الصلاة والسلام – رأى ربه بعينيه ، بما يليق بين الحبيب والمحبوب ، لأن العبد العاجز الفقير إذا جاهد نفسه في الله تعالى – وهو في مقعده – يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى علِّيين ، فكيف لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه في ذاك المعراج؟

اللهمَّ لا تحرمنا النظر إلى وجهك الكريم في الجنة يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السابع والستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٦)
[الحديد:٦]

قوله تعالى : { وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } أي : بمكنوناتها اللازمة لها ، من الهواجس والخواطر .بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نِياتهم وخواطرهم ، بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها على جوارحهم ، أو بحقائق الصدور من صلاحها وفسادها ، كنَّى بها عن القلوب .والله تعالى أعلم .[١]

أقول : النيَّة محلُّها القلب ، كما في الصلاة ، والتلفُّظ بها ليوافق اللسان القلب ،فعلينا أن نحافظ على قلوبنا ، وإذا جاء عليها شيء لا يرضى به ربُّنا – في أثناء الصلاة أو خارج الصلاة – علينا أن نستعيذ بالله ونرجع إليه ونستغفره – لكن في الصلاة بدون تلفُّظ – حتى لا تدخل هذه الخبائث في قلوبنا ، ولا تصبَغ قلوبُنا بالخبائث والخطرات وغيرها.

---

١ –تفسير البحر المديد .

هذه الوساوس والهواجس والخطرات المخالفة التي تُعرَض على القلب من الشيطان نرجو الله تعالى أن لا يؤاخذنا بها ، فعلماءُ الإسلام يقولون : " تخيُّلُ الكفر ليس بكفر " ، لأن الشيطان – عدوَّ الله وعدوَّ عباد الله – هو الذي يُلقي في قلوب المؤمنين ما لا يليق بإيمانهم.

اللهمَّ إنا نعوذ بك من شروره ومن شرور أنفسنا.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظان الثامن و الستون و التاسع و الستون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلَم يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنوا أَن تخْشعَ قُلوبُهُم لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلا يَكُونوا كالَّذِينَ أُوتوا ٱلْكِتابَ مِن قَبلُ فطالَ عَليهِمُ الأَمَدُ فقسَتْ قُلوبُهُم وَكثِيرٌ مِنهُم فَاسِقونَ) (١٦) [الحديد:١٦]

قوله تعالى :{ أَلم يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنوا أَن تخْشعَ قُلوبُهُم لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} أي : ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال لأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توانٍ ولا فتور؟ قال بعضهم: الذكر إن كان غير القرآن يكون المعنى : أن ترِقَّ وتلين قلوبهم إذا ذكر الله ، فإن ذكرَ الله سبب لخشوع القلوب أي سبب ، فالذكر مضاف إلى مفعوله واللام بمعنى الوقت. وإن كان القرآن فهو مضاف إلى الفاعل واللام للعلة { فَقَسَتْ قُلوبُهُم } فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، والقسوة غلظ القلب ، وإنما تحصل من إتباع الشهوة ، فإن الشهوة والصفوة لا تجتمعان[١]

١ –تفسير روح البيان .

أقول :هذه القسوة في حق الكفَّار والمنافقين ، نرجو الله تعالى أن يحفظ قلوب المؤمنين منها .أمَّا الغفلة فهي ثابتة لأكثر المؤمنين ؛ فإنهم – مع إيمانهم- منغمسون في الدنيا والشهوات والبعد عن أحكام الله تعالى وشرعه وعن إتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام بسبب الغفلة ، وهذه الغفلة تضرُّ آخرة المؤمن.

أما إذا كان المؤمن حاضر القلب مع الرب جلَّ وعلا ، متمسكًا بالكتاب والسنَّة ، مع الإخلاص في العبادة ، فإنه إن أخطأ – ولا بد أن يخطئ لأنه بشر – عليه أن يستغفر ويرجع إلى الله ولا يقدم دنياه على دينه وعلى آخرته ، وعليه أن لا يُخدَع بهذه الدنيا الفانية ويَغفل عن الآخرة .والله ولي التوفيق.

اللهمَّ اجعلنا ممن يقدمون دينهم وآخرتهم على دنياهم، ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثُمَّ قفَّيْنا عَلى ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنا وَ قفَّينا بِعِيسَى ابنِ مَريَمَ وَ ءَاتَينَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنا فِي قُلوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفةً وَرَحمَةً وَرَهبَانِيَّةً ابْتدَعُوهَا مَا كَتبْنَاهَا عَليهِم إلاَّ ابتِغاءَ رِضوَانِ اللَّهِ فمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فآتيَنا الَّذِينَ ءَامَنوا مِنهُم أَجرَهُم وَ كثِيرٌ مِنهُم فَاسِقونَ) (٢٧) [الحديد:٢٧]

قوله تعالى :{ وَجَعَلَنا فِي قُلوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ } على دينه ، يعني الحواريين وأتباعهم ،{ رَأْفةً وَرَحمَة } أي مودة ، فكان يواد بعضهم بعضًا .وقيل :هذا إشارة إلى أنهم أُمروا في الإنجيل بالصلح وترك إيذاء الناس وألان الله قلوبهم لذلك ، بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلِم عن مواضعه .والرأفة :اللين ، والرحمة :الشفقة. (١)

أقول :إنَّ الله جلَّ وعلا أنزل في القرآن الكريم صفات المتقدمين من اليهود والنصارى ومَن قبَلهم ليحذِّر المؤمنين من حقد اليهود وكفر الكافرين ، وليثبتهم على محبة الله ورسوله والتمسك بكتابه وشرعه.

---

١ –تفسير القرطبي .

فهذه الآيات وإن كانت نازلة في الكفار أهل الإنجيل والتوراة وغيرهم ، لكن المؤمنين كذلك { بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعضٍ } [الجاثية :١٩] ، فلا بدَّ لأمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أن تكون المحبة بينهم أكثر من المحبة بين حواريي عيسى عليه السلام ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم .فعلى المؤمنين أن يتمسَّكوا بأخلاق الصحابة الكرام ، التي حاز بعضهم التبشير بالجنَّة عليها.

نعم !نحن لا نكون صحابة ولا نصل إلى درجاتهم ، ولكن أُمرنا أن يكون اعتقادنا مثل اعتقادهم وأخلاقنا مثل أخلاقهم ، لكي يرحمنا ربنا من فضله وكرمه برضاه عنا.

اللهمَّ طهر قلوبنا من كلِّ وصفٍ يُباعدنا عن مشاهدتك ، وجملنا بكلِّ وصف يقربنا إليك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الحادي و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا تَجِدُ قومًا يُؤْمِنونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلو كَانُوا ءَابَاءَهُم أَو أَبنَاءَهُم أَو إِخوَانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدخِلُهُم جَنَّاتٍ تجرِي مِن تحتِهَا الأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفلِحُونَ) (٢٢) [المجادلة:٢٢]

قوله تعالى : { لا تَجِدُ قومًا يُؤْمِنونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }

أي :لا يُتصور ولا يمكن أن يجتمع في قلبٍ واحد حب الله وحب أعدائه ، كما لا يمكن أن يجتمع النور والظلام ، لأن من أحب أحدًا امتنع أن يحب عدوه.

والآية جاءت للتحذير عن محبة ومصادقة الكفرة والمجرمين، ولكنَّها في صورة خبر، مبالَغة في النهي والتحذير ، كأنَّه يقول :هذا لا يحدث ولا يُتصور أن يحب مؤمن من عادى الله ورسوله { وَلو كَانُوا ءَابَاءَهُم أَو أَبنَاءَهُم أَو إِخوَانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم } أي ولو كان هؤلاء أقرب الناس إليهم، كالأب والابن والأخ والعشيرة ، فإن قضية الإيمان تقتضي معاداة أعداء الله ، { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدخِلُهُم جَنَّاتٍ تجرِي مِن تحتِهَا الأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيهَ } أي هؤلاء المؤمنون الصادقون ، الذين ثبت الله ومكَّن في قلوبهم الإيمان حتى صار راسخًا كالجبل ، وقواهم ونصرهم بعونٍ منه وتأييدٍ إلهي على أعدائهم ، ويدخلهم في الآخرة حدائق وبساتين ، تجري من تحت قصورها أنهار الجنَّة ، ماكثين فيها أبدًا من غير زوال ولا انتقال { رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفلِحُونَ }

أي تقبل الله منهم أعمالهم فرضي عنهم ، ونالوا ثوابه العظيم ، فرضوا بما أعطاهم ربهم ، وهؤلاء هم جند الله وأنصاره وأحبابه ، وهم الفائزون بخيرَي الدنيا والآخرة.

قسم الله تعالى البَشرَ إلى حزبين :(حزب الرحمن) و (حزب الشيطان) ونبه إلى أن حزب الرحمن هم الفائزون المنتصرون في الدنيا والآخرة ، اللهم اجعلنا من حزبك وأوليائك يا رب العالمين.[1]

أقول : مدارُ هذه الآية الكريمة قوّة الإيمان وضعُفه ، فمن كان إيمانه بالله وبرسوله قويًا لا يطأطئ رأسه لمن خالف أمر الله جلَّ وعلا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ينزل عن صدقه .الذي ثبَتت عظمة الله تعالى في قلبه رأسُهُ عالٍ مرتفعٌ ، لأنه يعرف أن الدنيا تنتهي والآخرة باقية ، فيرجح الآخرة على الدنيا بترجيح الله لها ، لأن الله تعالى قال : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران : ١٨٥] وقال :{ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ } [العنكبوت :٦٤] ، فمَن كان إيمانه هكذا لا يرجع عنه ولا عن مقتضاه ، وأما من كان إيمانه ضعيفًا فإنه يتوجَّه إلى الدنيا، وبمقتضى توجُّهه يتكلَّم ويعمل ، والله جلَّ وعلا قال : { وَإِذَا قُلْتُم فاعدِلوا وَلو كَانَ ذا قربَى } [الأنعام : ١٥٢]، وهذا ضدُّ من يتكلَّم بحسب الدنيا وبحسب شاكلته.

اللهمَّ اجعلنا ممن يرجحون الآخرة على الدنيا برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١- التفسير الواضح الميسر.

اللفظ الثاني و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفرُوا مِن أَهلِ الْكِتابِ مِن دِيَارِهِم لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُم أَن يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتهُم حُصُونُهُم مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِن حَيث لم يَحتَسِبُوا وَقذف فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ يُخرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيدِيهِم وَأَيدِي الْمُؤمِنِين فاعتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبصَارِ) (٢) [الحشر:٢]

قوله تعالى : { وَقذف فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ } الرعبُ :خوف يملأ القلب ، فيغير العقلَ، ويُعجز النفسَ ، ويشوش الرأيَ ، ويفرق التدبيرَ ، ويضر البدنَ .والمعنى :أثبت فيها الخوف الذي يرعبها ويملؤها . (١)

وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نُصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه؟ (٢)

أقول :الخوف والرعب وضيق النَّفس وقطعُ الأمل من كلِّ المسالك إنما يحصل من عدم التوكُّل على الله ، فإذا حصل للمؤمن التوكُّلُ على الله – بعلمه أنه لا يمكنه أن يدفع شرًا عن نفسه ولا أن يجلب خيرًا لها ، كما قال تعالى:

---

١ –تفسير روح البيان .

٢ –تفسير ابن كثير .

{ قلْ لا أَملِكُ لِنفسِي نفعًا وَلا ضَرًّا إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلو كنْت أَعَلمُ ٱلْغيبَ لاسَتكَثرت مِنَ ٱلْخيرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إن أَنا إلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَومٍ يُؤْمِنونَ } [الأعراف: ١٨٨] ، فإن الرعب والفزع وضيق النَّفس يذهب بالكلِّيَّة ، وإذا لم يحصل التوكل يثبت الخوف والرعب والفزع والضيق.

اللهمَّ ارزقنا حُسن التوكُّل عليك يا ربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالَّذِينَ تبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قبلِهِم يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيهِم وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَةً مِمَّا أُوتوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفسِهِم وَلو كَانَ بِهِم خَصَاصَة وَمَن يُوق شحَّ نَفسِهِ فأُوَلئِكَ هُمُ الْمُفلِحُونَ) (٩) [الحشر: ٩]

{ وَالَّذِينَ تبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قبلِهِم يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِليهِم وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَةً مِمَّا أُوتوا } هذه الآية ثناء ومديح على الأنصار ، أي : وأما الأنصار الذين سكنوا المدينة المنورة ، فجعلوها منزلا لهم وسكنًا ، وآمنوا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم ، فهؤلاء يحبون إخوانهم المهاجرين حبًا صادقًا ، ولا يجدون في صدورهم حسدًا وغيظًا وحزازة لما أُعطي إخوانهم المهاجرون من الغنيمة دونهم ، حيث قسم الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم بني النضير بين المهاجرين فقط ، ولم يُعطِ الأنصار منها شيئًا ، فرضوا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقموا على إخوانهم المهاجرين ، بل وصل بهم الأمر إلى درجة الإيثار ، أن يفضل الإنسان غيره على نفسه ، ولهذا قال تعالى : { وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفسِهِم وَلو كَانَ بِهِم خَصَاصَة وَمَن يُوق شحَّ نفْسِهِ فَأُوَلئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } أي يفضلون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم فقر أو حاجة ، ومن وقاه الله شر رذيلة البخل فهو الفائز السعيد .والشح :البخل الشديد .ولعل في قصة الذي أطعم

ضيفه وترك نفسه وأهله وأولاده جياعًا – وهي قصة فريدة في دنيا الإيثار – ما يعطينا صورة مشرقة مضيئة عما كان الصحابة يتحلون به من مكارم الفضائل والأخلاق، والقصة عجيبة ذكرها الإمام البخاري في صحيحه من كتاب التفسير. [١]

قال الإمام القشيري : { وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَةَ } مما خصص به المهاجرون من الفيء ، ولا يحسدونهم على ذلك ، ولا يعترضون بقلوبهم على حكم الله بتخصيص المهاجرين ، حتى لو كانت بهم حاجة أو اختلال أحوال. [٢]

أقول :على المؤمن أن يكون دستوره القرآن الكريم وسيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن جملة ذلك أن يفتش قلبه ، هل يوجد فيه خيانة لإخوانه المؤمنين؟ والله تعالى يقول : { إِنَّمَا ٱلْمُؤْمنونَ إِخْوَة } [الحجرات : ١٠]؛ فأُخوَّة الإيمان مقدَّمة على الأخوَّة من أبوين إذا لم يوجد الإيمان.

مشكلتنا ومصيبتنا – نحن المؤمنين المسلمين – الحسدُ والكِبرُ والتمسكُ بالرأي ، وكلُّ ما يصيبنا مما كسبت أيدينا ؛ فالأخلاق الإسلامية ليست موجودة عند أكثر المسلمين ، وبفقدنا هذه الأخلاق الحميدة يكون بيننا وبين المؤمنين والمسلمين خشونة ، فلا نحب لأخينا المؤمن كما نحب لأنفسنا.

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

٢ –تفسير القشيري.

علينا أن لا نرضى بهذه الأخلاق المخالِفة ، وأن نحاول أن تكون أخلاقنا موافقة لإسلاميَّتنا ولديننا . الحمد لله على دين الإسلام.

اللهمَّ خلِّقنا بأخلاق نبينا محمَّد صلى الله عليه وسلم ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الرابع و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغفِر لَنا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجعَلْ في قُلوبِنَا غلاًّ للَّذينَ ءَامَنوا رَبَّنا إنَّكَ رَءُوف رَحيمٌ) (١٠) [الحشر:١٠]

أي والذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار يحبون إخوانهم السابقين ، ويدعون لهم بالرحمة والغفران ، ويقولون في دعائهم :اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وارحم إخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا بغضًا لأحد من المؤمنين.

قسم تعالى المؤمنين وصنَّفهم ثلاثة أصناف : (١ –المهاجرون، ٢ –الأنصار، ٣ – التابعون لهم بإحسان) ، ولفظ التابعين يشمل جميع المؤمنين إلى قيام الساعة ، فمن لم يكن نقي القلب ، عفَّ اللسان ، محبًا لإخوانه المؤمنين ، كان خارجًا عن هذه الأصناف الثلاثة ، وليس له في الإسلام نصيب ، وقد ظهرت فئات من الخوارج والرافضة تزعم الإسلام ، وهي تطعن في أخص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الذين عنتهم السيدة عائشة في حديثها ، فقد روى مسلم عن عائشة أنها قالت لعروة بن الزبير : (يا ابن أختي !أُمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسَبوهم) ، وتلت الآية : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعدِهِم }. وروى جابر قال : قيل لعائشة :إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

حتى أبا بكر وعمر . فقالت : وما تعجبون من ذلك !انقطع عنهم العمل ، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر ، هؤلاء شرار الخلق عند الله. [١]

قوله تعالى :{ وَلا تجعَلْ فِي قُلوبِنا غِلاً } أي : حقدًا ، وهو ذميمة فاحشة ، فوَرَدَ: المؤمن ليس بحقود ، { لِلَّذِينَ ءَامَنوا } على إطلاق ، صحابة أو تابعين ، وفيه إشارة إلى أن الحقد على غيرهم لائق لغيرة الدين ، وإن لم يكن الحسد لائقًا. [٢]

أقول : يُفهم من قوله تعالى : { وَلا تجعَلْ فِي قُلوبِنا غِلاً لِلَّذِينَ ءَامَنوا } أنه على المؤمن أن لا يحقد على المؤمن ، لأن المؤمنين إخوة، فعليه أن لا يخالف حقيقة الأخوَّة الإيمانية.

بالإيمان يتصل المؤمن الغريب بالمؤمن الغريب ، وبعدم الإيمان لا يتصل الكافر بأخيه المؤمن ؛ فقيمة الإيمان عند الله أكبر من أخوَّة النسب.

وإذا صدر من واحد من المؤمنين فعلٌ مخالف للشريعة والسنَّة النبويَّة فأخوه المؤمن لا يحقد عليه ، لكن لا يحب هذا الفعل ، لأنه إذا أبغض ذاته يكون قد أبغض مؤمنًا ، وهذا مخالف للدين.

---

١ –التفسير الواضح الميسر .
٢ –تفسير روح البيان.

وعدم محبة الفعل مشروط بأن لا يكون لغرض شخصي ، لأنه إذا كان لغرض شخصي يرفع المحافظة على قوله تعالى : { إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنونَ إِخْوَة } [الحجرات : ١٠] ولا يكون المبغض صادقًا في قوله :إنني أبغض فلانًا لفعله الفلاني إذا لم يكن صادقًا في محبته له .فللمؤمن أن يبغض فعل المؤمن المخالف ، وليس له أن يبغض ذاته ، وعليه حينئذ أن ينصحه ، فإن قبِلَ قبِلَ ، وإن لم يقبل يفوض أمره إلى الله تعالى.

اللهمَّ حقِّقنا بذلك ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لأَنُتم أَ شدُّ رَهبَة فِي صُدُورِهِم مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَفقَهُونَ) (١٣) [الحشر: ١٣]

أي أنتم يا معشر المسلمين أشد خوفًا وخشية في قلوب المنافقين من الله ، فإنهم يرهبون جانبكم ويخافون منكم أشد وأكثر من خشيتهم من الله ، وذلك لأنهم لا يعرفون عظمة الله وجلاله حتى يخشوه حق خشيته ، وهذا من سفههم وعدم فقههم لدين الله . (١)

أقول :الذي يُداهن ويتساهل في الدين خوفًا من العباد عليه أن يتنبَّه لهذه الآية الكريمة ولقوله تعالى : { وَإِن يَمسَسكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فلا كَاشِف لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدكَ بِخيرٍ فلا رَادَّ لِفضلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [يونس :١٠٧] .من آمن بهذه الآية وبرب هذه الآية وبأنَّ هذا كلام الله فإنه لا يخاف إلا من الله ، وبهذا يُميَّز بين الإيمان القوي والإيمان الضعيف .علينا جميعًا أن نقوي إيماننا بخالقنا جلَّ وعلا.

اللهمَّ يا ربنا قو إيماننا بك ، بفضلك وكرمك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –التفسير الواضح الميسر.

اللفظ السادس و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا يُقاتِلوَنكم جَمِيعًا إلاَّ فِي قرًى مُحَصَّنةٍ أَو مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيَنهُم شَدِيدٌ تَحسَبُهُم جَمِيعًا وَقُلوبُهُم شتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَعقِلونَ) (١٤) [الحشر:١٤]

قوله تعالى : { تَحسَبُهُم } أي :المنافقين واليهود ، { جَمِيعًا } أي :مجتمعين ذوي ألفة واتحاد ، { وَقُلوبُهُم شتَّى } متفرقة لا ألفة بينها.[١]

قال سهل :أهل الحق مجتمعون أبدًا، موافقون وإن تفرقوا بالأبدان وتباينوا بالظواهر، وأهل الباطل متفرقون أبدًا وإن اجتمعوا بالأبدان وتوافقوا بالظواهر ، لأن الله تعالى يقول تحسبهم.[٢]

قال القشيري :اجتماع النفوس مع تنافر القلوب أصلُ كل فساد ومُوجبُ كل تخاذل، واتفاق القلوب والاشتراك في المهمة والتساوي في القصد يوجب كل ظفر وسعادة.[٣]

---

١ –تفسير البحر المديد .

٢ –تفسير روح البيان .

٣ –تفسير البحر المديد .

أقول :الذي لا يعتقد بطريقتنا المتصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن يخرج منها ؛ لا لبغضنا إياه ، بل شفقة عليه ، لأنه لا ينتفع منها في هذه الحالة، وعليه أن يذهب إلى أي طريق يشاء ، لكن إذا بقي في طريقتنا مع عدم الاعتقاد بها فإنه يقينًا لا يستفيد، بل يمكن أن يتضرر ويتضرر الآخرون منه كذلك.

اللهمَّ ارزقنا الثبات والاستقامة يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السابع و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِذ قالَ مُوسَى لِقومِهِ يَاَ قومِ لِمَ تؤْذونَنِي وَ قد تَّعلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِليكم فَلمَّا زَاغوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلوبَهُم وَاللَّهُ لا يَهدِي اَلْقومَ الْفاسِقِين) (٥) [الصف :٥]

قوله تعالى: { فَلَمَّا زَاغوا أَزَاغ اللَّهُ قُلوبَهُم وَاللَّهُ لا يَهدِي اَلْقومَ اَلْفاسِقِينَ } أي : فلما مالوا عن الحق وحادوا عنه صرف الله قلوبهم عن الهدى، والله لا يوفِّق للخير الخارجين عن طاعة الرحمن .والإشارة في الآية إلى إذاية موسى ، يراد بها هنا قولهم: { فاذهَب أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنا قاعِدُونَ } [المائدة :٢٤] ، وذلك حين ندبهم إلى قتال الجبابرة ، مع إذايات أخرى متعددة.[١]

أقول :على المؤمنين – مهما أمكن، وما دام العقل موجودًا فالإمكان موجود – أن يجمعوا قلوبهم على دينهم وشريعة نبيهم والإخلاص في عبادة ربهم، فإنهم ولو كانوا متفرقين من حيث الأقوام لكنهم مجتمعون بالإيمان .وإذا خطَّطوا بعقولهم شيئًا مخالفًا للشريعة والسنَّة النبويَّة فإن القوانين المتعلِّقة بالعقل تفسد عليهم حياتهم ولا تصلح ، لأن الإصلاح لا يكون إلا بالاجتماع على شرع الله وعلى سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلاف ذلك تشتُّت وفشل.

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

فعلى المؤمن أن يحافظ على إيمانه وعلى شرع الله وعلى سنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا يلتفت إلى الشيطان الذي يقول له :افعل كذا وكذا حتى تخلص من الورطة الفلانية ، فيوقعه في ورطة أكبر ، وهي مخالفة الشريعة.

اللهمَّ اجعلنا موافقين لشريعتك ، متبعين لسنة نبيك ، يارب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إذا جَاءَكَ الْمُنافِقونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لكاذِبُونَ (١) اتَّخُذوا أَيمَانَهُم جُنَّة فصَدُّوا عَن سَبيلِ اللَّهِ إِنَّهُم سَاءَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ (٢) ذلِكَ بِأَنَّهُم ءَامَنوا ثمَّ كَفرُوا فطبِعَ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَفْقهُونَ) (٣) [المنافقون:١-٣]

في الآية مباحث:

البحث الأول :أنه تعالى ذكر أفعال الكفرة من قبل ، ولم يقلْ :إنهم ساء ما كانوا يعملون ، فلِمَ قلنا هنا؟ نقول :إن أفعالهم مقرونة بالأيمان الكاذبة التي جعلوها جُنَّة ، أي سترة لأموالهم ودمائهم عن أن يستبيحها المسلمون كما مر.

الثاني :المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم ، فما معنى قوله تعالى : {ءَامَنوا ثمَّ كَفرُوا } ؟ نقول :قال في الكشَّاف ثلاثة أوجه ، أحدهما : { ءَامَنوا } نطقوا بكلمة الشهادة ، وفعلوا كما يفعل من يدخل الإسلام { ثمَّ كَفرُوا } ثم ظهر كفرهم بعد ذلك ، وثانيهما : { ءَامَنوا} نطقوا بالإيمان عند المؤمنين { ثمَّ كَفرُوا} نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام ، كقوله تعالى : { وَإِذا لُقوا الَّذِينَ ءَامَنوا قَالُوا ءَامَنَّا ...} [البقرة :١٤] ، وثالثهما :أن يراد أهلُ الذمة منهم.

الثالث :الطبع على القلوب لا يكون إلا من الله تعالى ، وَلما طبع الله على قلوبهم لا يمكنهم أن يتدبروا ويستدلوا بالدلائل ، ولو كان كذلك لكان هذا حجة لهم على الله تعالى، فيقولون :إعراضنا عن الحق لغفلتنا ، وغفلُتنا بسبب أنه تعالى طبع على قلوبنا، فنقول : هذا الطبع من الله تعالى لسوء أفعالهم ، وقصدهم الإعراض عن الحق، فكأنه تعالى تركهم في أنفسهم الجاهلة وأهوائهم الباطلة. (١)

أقول :على المؤمن أن يتجنَّب أخلاق المنافقين ، من الكذب والغدر وعدم الوفاء بالعهد ، فقد حذَّرَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله : « أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :إذا حدَّث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وإذا اؤتمن خان» (٢) وعليه أن يحافظ على أخلاقه الإسلامية.

المنافق لا يُكتب على جبهته : "هذا منافق " لكن النفاق في القلب كما أن الإخلاص في القلب ، فيمكن أن يوجد النفاق في القلب ولو كان الإنسان يصلِّي .فعلى المؤمن أن يعتقد أن الله يعلم سرَّه وأخفاه ، حتى لا يخالف في شيء ولا يداهن في شيء من دين الله.

---

١ –تفسير الرازي .

٢ –أخرجه البخاري ومسلم بروايات مختلفة.

حلاوُة الإيمانِ بالذوقِ الروحي وعينِ اليقين والحقيقةِ لا تحصلُ لكل أحد ، والعوامُّ لا يُسألون عن هذا ، ولا عن أدلة الإيمان التفصيلية ، لكنهم يسمعون بوجود الله وبالحشر وبالنبوة والرسالة فيؤمنون بذلك ، وهذا يكفي لهم ؛ ولكن إذا خالف باطُنهم ظاهرَهم يمكن أن يقعوا في النفاق ، فقد يكذبون مثلا ، أو إذا خلوا عن الناس لا يصلُّون أو يشربون الخمر ، وقد يتركون بعض المخالفات الشرعية خوفًا من لوم الناس.

اللهمَّ اجعل ظواهرنا وبواطننا موافقة لرضاك برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التاسع و السبعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَعلَمُ مَا فِي السماوات وَالأَرضِ وَيَعلَمُ مَا ُتسِرُّونَ وَمَا تعلِنونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٤) [التغابن:٤]

قوله تعالى : { يَعلَمُ مَا فِي السماوات وَالأَرضِ } أي :يعلم ما في الكائنات من أجرام ومخلوقات ، { وَيَعلَمُ مَا تسِرُّونَ وَمَا تعلِنونَ } أي : ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه من نواياكم وأعمالكم ، { وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } أي :عالم بما في الصدور من الأسرار والخفايا ، فكيف تخفى عليه أعمالكم الظاهرة؟

قال في البحر : نبهَ تعالى بعلمه بما في السماوات والأرض ، ثم بعلمه بما يخفيه العباد وما يعلنونه ، ثم بعلمه بما أكنَّته الصدور ، على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شيء لا من الكلِّيات ولا من الجزئيات ، فابتدأ بالعلم الشامل ، ثم بسر العباد وعلانيتهم ، ثم بما تنطوي عليه صدورهم ، وهذا كله في معنى الوعيد ، إذ هو تعالى المجازي عليه بالثواب والعقاب. (١)

١- صفوة التفاسير .

أقول :هذا كلُّه متعلِّق بإيمان العبد ، فإذا كان إيمانه بالله صادقًا ويؤمن بعلم الله بما في صدره وما في قلبه فإنه يحذر فيما يُسِرُّ قلبُه وما يُعلِنُ ظاهرُه ، ويتجنَّب عن المخالفة القلبية أكثر من المخالفة الظاهرية ، لأنه يعلم أن الله جلَّ وعلا لا يغيب عن علمه شيء مما في صدور البشر.

نرجو الله تعالى السلامة.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكلِّ شيءٍ عَلِيمٌ) (١١) [التغابن :١١]

قوله تعالى : { مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ } قال ابن عباس : بأمر الله . يعني عن قدَره ومشيئته ، { وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكلِّ شيءٍ عَلِيمٌ } أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينًا صادقًا ، وقد يُخلِف عليه ما كان أُخذ منه أو خيرًا منه .قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : { وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلْبَهُ } يعني : يهدِ قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .وفي الحديث المتفق عليه : « عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له ؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » فلا تقع مصيبة على أحد في نفسه أو ماله أو ولده إلا بقدَرٍ من الله مُسبَق ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه للصبر والرضا، ويثبته على الإيمان،{ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلْبَهُ } قال ابن مسعود رضي الله عنه :هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها

---

١ –تفسير ابن كثير .

من الله ،{ وَاللَّهُ بِكلِّ شيءٍ عَلِيمٌ } أي :عالم بكل ما يحدث في الكون من خير أو شر ، يعلم من يصبر ومن يُعرِض عن الله ويستكبِر.

وفائدة الاعتقاد بالقضاء والقدر أنها تهون المصيبة على المؤمن ، فيصبر على قضاء الله ويستسلم لحكمه ، فيكون هذا الإيمان راحة للقلب وسلوى للنفس. (١)

أقول : { وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلْبَهُ } أي :يسهل عليه المصائب والابتلاء ، بإيمانه أنها من الله جلَّ جلاله .والجَزَعُ وعدم التسليم عند المصيبة مصيبة أخرى ، فيكون مصيبة على مصيبة ، لأنه لا يهون المصيبة على صاحبها ويَحرمه من ثوابها ، والمصيبة باقية كما هي.

فعلى المؤمن العاقل أن يعلم أن الجزع والحزن والأمور التي تخرجه عن حد التسليم للقضاء والقدر ليست من شأن المؤمن ولا من شأن العاقل ، لأنه هل يمكن إذا مات أحد أن لا نقبَل بذلك؟

المؤمن يرضى إن شاء الله ، لكن كثيرٌ من المؤمنين يجزعون ولا يصبرون ، ويشقُّون الجيوب ويضربون الوجوه.

الموت طريق وضعه الله ، وكل الإنس والجن يمشون فيه ، حتى يأتي الحشر. فليس من شأن المؤمن أن يجزع ؛ وأما الكفار فلا يعلمون إلا الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون.

١- تفسير البحر المديد.

وفَّقنا الله وإياكم جميعًا أن لا نخرج عن الحدود الشرعية والسنَّة النبويَّة ، فالإنسان يحزن على الفراق ويبكي كذلك ، هذا من الشفقة ، لكن عليه أن لا يتجاوز الحد ويخرج عن الشريعة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللفظ الحادي و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِن تُتوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَد صَغَت قُلوبُكُمَا وَإِن تظاهَرَا عَلَيهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَولَاهُ وَجِبرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكة بَعدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (٤) [التحريم:٤]

قوله تعالى : { إِن تُتوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَد صَغَت قُلوبُكُمَا } أي :إن تتوبا إلى الله فهو الأسلم والأصلح لكما ، من إيذاء قلب هذا النبي الرحيم ، { فَقَد صَغَت } أي :مالت قلوبكما عن الحق ، وعما يجب في حق سيد الخلق ، من الإخلاص له بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فقد استوجب الأمر عليكما أن تتوبا ، لأنه سركما ما أحزن النبي عليه السلام ، من تحريم مملوكته على نفسه إرضاء لكما ، { وَإِن تظاهَرَا عَلَيهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَولَاهُ وَجِبرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكة بَعدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } أي :وإن تتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بما يسوؤه ويحزنه فإن الله هو ناصره ، وهو ولي أمره ، { وَجِبرِيلُ } رئيس الملائكة ، والصالحون من المؤمنين الأبرار ، والملائكة جميعًا في صفِّه أعوان له وأنصار ، فماذا يصنع تآمر امرأتين ، أمام هذا الحشد الرباني؟ فإلى جانب محمد صلى الله عليه وسلم رب العزة والجلال وجبريلُ وأبو بكر وعمر والملائكة الأبرار الأطهار .والمراد بصالح المؤمنين : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، والِدا عائشة وحفصة ، كما قاله ابن عباس ، ويشهد له ما رواه مسلم أن عمر رضي الله عنه قال :يا رسول الله ! ما يشق عليك من أمر النساء؟

فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك) ، ومعنى قوله : { ظَهِيرٌ } أي :معين ونصير .أفردَ جبريلَ بالذكر تعظيمًا له ، إذ هو أفضل الملائكة ، وإظهارًا لمكانته عند الله ، فذكرَه على الخصوص ثم مع العموم ، لأنه داخل في صف الملائكة ، فيكون قد ذكره مرتين ، مرّة في الإفراد ومرّة مع العموم ، ووسط صالح المؤمنين بين جبريل والملائكة تشريفًا لهم ، واعتناء بهم ، وإشادَة بفضل التُّقى والصلاح ، وختمَ الآية بذكر { وَالْمَلائِكَة بَعدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ } وهم أعظم المخلوقات، وجعَلهم ظهَراء ، أي :أعوانًا وأنصارًا للنبي الكريم ، ليكون أفخم لشأنه صلى الله عليه وسلم ، وأعظم لمكانته والانتصار له ، إذ هم بمثابة جيش جرار يملأ القِفار ، نصرَة لنبيه المختار ، فمن ذا الذي يستطيع أن يناوئ الرسول صلى الله عليه وسلم ويعاديه بعد ذلك؟ أما المرأتان اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فهما :حفصة وعائشة ، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله فيهما : { إن تُتوبَا إلى اللّهِ فَقد صَغت قُلوبُكمَا } فمكثت سَنةً أريد أن أسأله ، فما أستطيع أن أسأله هيبة له ، حتى خرج حاجًا فخرجت معه، فقلت : يا أمير المؤمنين ! مَن اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم من أزواجه؟ فقال :واعجبًا لك يا ابن عباس !تلك حفصة وعائشة ...) وذكر الحديث بطوله .أخرجه البخاري .ثم فصل تعالى أمر هؤلاء النسوة اللواتي سيبدلهن الله لرسوله ، تخويفًا لزوجاته. (١)

١- التفسير الواضح الميسر.

ففيه إرادة خير لحفصة وعائشة بإرشادهما إلى ما هو أوضح لهما ،{ فَقد صَغت قُلوبُكُمَا } والمعنى : فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول لله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه. (١)

أقول :رسول الله عليه الصلاة والسلام بأخلاقه العظيمة وبصبره وحلمه وكرمه وجوده تحملَّ أخلاق زوجاته رضي الله تعالى عنهن ، ولكن الحق جلَّ جلاله { لا يَستحيِي مِنَ الْحَقِّ } [الأحزاب :٥٣] ، فبيّن في هذه الآية الكريمة تأذي النبي صلى الله عليه وسلم بأخلاقهن، وقال لهنَّ : { إن تُتوبَا إلى اللَّهِ فقد صَغت قُلوبُكُمَا } عن محبته ، وحصل لكما الفرح ، وحصل له الأذى عليه الصلاة والسلام .

فعلى المؤمن أن يترك هواه ، وأن يترك ما يريده لإرضاء خالقه جلَّ وعلا ، وإن لم يكن هكذا فحالُه مسجَّل عند الله جلَّ وعلا ، وهو مسؤول عنه يوم القيامة إلا أن يرجع في الدنيا.

هذه التهديدات لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهنَّ – في قوله تعالى : { وَإِن تظاهَرَا عَليهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَولاَهُ وَجِبرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكة بَعدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ } ليست لشنيع حالهنَّ ، بل لعظمة حبيبه عليه الصلاة والسلام ، ولرحمة الله تعالى بهنَّ حتى لا يخالفنهُ.

اللهمَّ وفِّقنا لإتباعه وعدم مخالفته يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير روح البيان.

اللفظ الثاني و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَسِرُّوا قوَلكم أَوِ اجهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (١٣) [الملك :١٣]

أي : أخفوا كلامكم وحديثكم أيها الناس أو أظهروه وأعلنوه ، فسواء أخفيتموه أو أظهرتموه فإن الله تعالى يعلمه ، لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى ، فكيف تخفى عليه أعمالكم؟ ألا يعلم الخالق مخلوقاته؟ وهو الذي خلقها وأوجدها؟ وهو اللطيف بالعباد ، الخبير الذي لا يغيب عن علمه شيء ، يرى النملة السوداء ، في الليلة الظلماء ،على الصخرة الصماء [١]

{ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي :مبالِغ في الإحاطة بِمُضْمَرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنَّة في صدورهم ، بحيث لا تكاد تفارقها أصلا ، فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به؟. [٢]

خوفهم بعلمه ، وندبهم إلى مراقبته ، لأنه يعلم السر وأخفى ، ويسمع الجهر والنجوى. [٣]

---

١ -التفسير الواضح الميسر .

٢ -تفسير روح البيان .

٣ -تفسير القشيري .

وفي الآية وجهان :الوجه الأول : قال ابن عباس رضي الله عنهما :كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل ، فقال بعضهم لبعض :أسِروا قولكم لئلا يسمع إله محمد ، فأنزل الله هذه الآية .القول الثاني :أنه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الأعمال ؛ والمراد أن قولكم وعملكم على أي سبيل وُجد فالحال واحد في علمه تعالى ، بهذا فاحذروا من المعاصي سرًا كما تحترزون عنها جهرًا ، فإنه لا يتفاوت ذلك بالنسبة إلى علم الله تعالى ، وكما بين أنه تعالى عالم بالجهر وبالسر بين أنه عالم بخواطر القلوب . (١)

أقول : مادام الله عليمًا بذات الصدور ، وعلمه هذا كاملٌ ينتهي إلى جميع القلوب ، فلابدّ للمؤمنين أن يحفظوا قلوبهم باتجاه ذلك العلم الكامل الذي يطلع الله تعالى به على قلوبهم .وهذا الانتباه لهذا الاطلاع يكون على قدر الإيمان ليس إلا.

الإنسان المؤمن يصل إلى قرب الله جلَّ وعلا بعلمه أن الله تعالى قريب منه ؛ وبذلك يرق الحجاب بينه وبين خالقه سبحانه وتعالى ، فيحصل له الوصول إلى الله جلَّ جلاله.

الله تعالى منزَّه عن أن يصل إليه شيء ، ولكن المقصود بالوصول الإيمانُ والعلمُ بقرب الله جلَّ وعلا ، فإذا وصل العبد إلى ذلك يستنكف قطعيًا عن المعاصي، وإن كان لا يخرج عن بشريته ، لكن استنكافه عن المعاصي بإيمانه يجعل طبيعته ملكية.

١- تفسير الرازي.

فعلى المؤمن أن يرجّح آخرته على دنياه ، ولايتبع النفس والشيطان ، وهذا لا يحصل إلا بالإيمان ، فإن من آمن قطعيًا أن الله تعالى مطلع على قلبه ، كيف يترك رضا ربه ويّتبع النفس الأمّارة والشيطان اللعين؟

اللهمَّ احفظنا والمسلمين جميعًا ، ولا تجعلنا من الغافلين عن هذا العلم الإلهي ، حتى لا نقع في المحظورات.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثالث و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشأَكم وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشكُرُونَ) (٢٣) [الملك: ٢٣]

{ قلْ هُوَ الَّذِي أَنْشأَكم } إنشاء بديعًا { وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ } لتسمعوا آيات الله ، وتمتثلوا ما فيها من الأوامر والنواهي ، وتتعظوا بمواعظها ، { وَالأَبصَارَ } لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى ،{ وَالأَفْئِدَةَ } لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية ، لتترقوا في معاريج الإيمان والمعرفة. [١]

أي : الله هو الذي خلقكم بهذا الشكل البديع، وركب فيكم هذه الحواس (السمع، والبصر، والعقل) أعطاكم السمع لتسمعوا ما ينفعكم ، والبصر لتدركوا دلائل قدرة ربكم في هذا الكون، والعقل لتتأملوا وتفكروا في عظمة هذا الخالق{ قلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ } أي : ما أقل شكركم لنعم خالقكم!؟ تذكرون ربكم وقت الشدة وتنسونه وقت الرخاء !وإنما خَص هذه الأعضاء بالذكر (السمع، والبصر، والعقل) لأنها أداة العلوم والمعارف ، ووسائل الفهم والإدراك. [٢]

---

١ –تفسير البحر المديد .

٢ –التفسير الواضح الميسر .

اعلم أنه تعالى لما أورد البرهان أولا من حال سائر الحيوانات ، وهو وقوف الطير في الهواء ، أورد البرهان بعده من أحوال الناس، وهو هذه الآية ، وذكر من عجائب ما فيه حالَ السمع والبصر والفؤاد ، فاعلم أن في ذكرها تنبيهًا على دقيقة لطيفة ، كأنه تعالى قال :أعطيتكم هذه الإعطاءات الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة ، لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ، ولا تأملتم في عاقبة ما عقلتموه ، فكأنكم ضيعتم هذه النعم وأفسدتم هذه المواهب ، فلهذا قال: { **قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ** } ، وذلك لأن شكر نعمة الله تعالى هو أن يصرف تلك النعمة إلى وجه رضاه ، وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل لا إلى طلب مرضاته فأنتم . ما شكرتم نعمته ألبته .[١]

أقول :علينا أن نشكر الله جلَّ وعلا على ما أنعم به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، وعلى أن جعَلنا من المسلمين ومن أمة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، فهذا كله منه سبحانه وتعالى ليس منا .وإذا وصل إلينا شئ من النعم على يد واحد من الخلق علينا أن نعتقد أن الله جلَّ وعلا هو الذي سخره ليسوق تلك النعمة إلينا على يده .والشريعة المحمَّدية تأمرنا أن نشكر الواسطة بعد أن« لا يشكر الله من لا يشكر الناس » نشكر الله تعالى ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللهمَّ اجعلنا من الشاكرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

١ –تفسير الرازي .

٢ –انظر تخريج الحديث في اللفظ السادس بعد المئة.

اللفظ الرابع و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَا جَعَلْنَا أَصحَابَ النَّارِ إلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمنوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعلَمُ جُنُودَ رَبِكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكرَى لِلْبَشَرِ) (٣١) [المدثر: ٣١]

قوله تعالى : { وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذا مَثَلاً } أي : وليقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض النفاق ، والكافرون من أهل مكة : أي شيء أراد الله بهذا الحديث؟ ولماذا يخوفنا من سقر وخزنتِها التسعة عشر؟ قال تعالى ردًا عليهم : { كذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهدِي مَن يَشَاءُ } أي :كما أضل الله مشركي قريش كذلك يضل الله من أراد إضلاله ، ويهدي من أراد هدايته ؛ فهو سبحانه يعلم القلب التقي النقي الذي هو أهل للخير والصلاح ، فيوفقه للهداية) والإيمان، ويعلم القلب الزائغ الفاسد ، فيتركه لهوى النفس و نزغات الشيطان . [١]

أقول :إذا لم يتفكر الإنسان بإيمانه ولم يَسأل قلبه عن تصديق الله وكتابه ورسوله فإنه ينحرف ، وهذا الانحراف يكون سببًا لشقاوته الأزلية الثابتة في علم الله تعالى جلَّ جلاله ؛ فالله تعالى كلَّف العبد بالانقياد لأوامره ، وهو يعلم في الأزل ما إذا كان

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

سينقاد لتلك الأوامر أم لا ، لكنَّ عِلْمَ الله ليس معلومًا عند العبد ، فعليه أن يؤمن بتكاليف الله عليه وينقاد لها ، وإذا لم ينَقد ولم يُسلِّم فقد يحصل عنده الاستهزاء والسخرية منها ، وهذه كلها أسباب ؛ واللهُ خلق الأسباب حتى يظهر علمه الأزلي في الموافقين والكافرين.

فالمؤمنون يؤمنون بتسعة عشر أو بواحد أو بغير ذلك ، لأنهم يعلمون أن الله قادر جلَّ وعلا .فهذا جبريل عليه السلام قد رفع عددًا من قرى قوم لوط بجناحه وَقَّلبَها ، هل هذا بقوَّتِه؟ لا ، لكن الله جلَّ وعلا بعظمته خلق هذه القوة في جبريل.

نحن نؤمن بذلك ، والذي لا يؤمن يَسخَرُ فيكون سببَ كفرِه.

اللهمَّ اجعلنا من أهل الإيمان الكامل يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الخامس و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلُوبٌ يَومَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٧) أبصارها خاشعة (٨) [النازعات:٧-٨]

قال في التأويلات النجمية : { قُلُوبٌ يَومَئِذٍ وَاجِفَةٌ } أي :شديدة الاضطراب من سوء أعمالهم وقبح أفعالهم، فإن الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل .وعُلم منه أن الواجفة ليست جميع القلوب ، بل قلوب الكفار، فإن أهل الإيمان لا يخافون. (١) كما بين ذلك الإمام الرازي في تفسيره حيث قال : قوله تعالى :{ قُلُوبٌ يَومَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أبصارها خاشعة } اعلم أنه تعالى لم يقل :القلوب يومئذ واجفة، فإنه ثبت بالدليل أن أهل الإيمان لا يخافون، بل المراد منه قلوب الكفار، ومما يؤكد ذلك أنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون : { يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ } [النازعات : ١٠]، وهذا كلام الكفار لا كلام المؤمنين ، وقوله: {أبصارها خاشعة } لأن المعلوم من حال المضطرب الخائف أن يكون نظره نظر خاشع ذليل خاضع يترقب ما ينزل به من الأمر العظيم.

---

١ -تفسير روح البيان .

أقول : نرجو الله تعالى أن يخلِّص المؤمنين من هذه التهديدات ، وأن يحفظ قلوبنا وجوارحنا من ذلك ، فليس لنا إلا التضرع والالتجاء إليه جلَّ وعلا ، نشكو ضعفنا وعجزنا وفقرنا إليه سبحانه ، ونسأله أن يلهمنا الصواب ويوفِّقنا لما يرضيه عنا ، إنه سميع مجيب.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ السادس و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهِم مَا كَانُوا يَكسِبُونَ) (١٤) [المطففين :١٤]

قوله تعالى : { كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهِم مَا كَانُوا يَكسِبُونَ } أي :أفعالهم الماضية صارت سببًا لحصول الرين في قلوبهم .قال أبو معاذ النحوي :الرين أن يسوَد القلب من الذنوب ، والطبع أن يُطبع على القلب ، وهو أشد من الرين ، والإقفال أشد من الطبع ، وهو أن يُقفل على القلب.

إن الإنسان إذا واظب على الإتيان ببعض أنواع الذنوب ، حصلت في قلبه مَلكة نفسانية على الإتيان بذلك الذنب ، ولا معنى للذنب إلا ما يشغلك بغير الله ، وكل ما يشغلك بغير الله فهو ظلمة ، فإن الذنوب كلها ظلمات وسواد ، ولكل واحد من الأعمال السالفة التي أَورث مجموعُها حصولَ تلك المَلكة أثر في حصولها ، فذلك هو المراد من قولهم : كلما أذنب الإنسان حصلت في قلبه نكته سوداء حتى يسود القلب. ولما كانت مراتب المَلكات في الشدة والضعف مختلفة لا جرم كانت مراتب هذا السواد والظلمة مختلفة ، فبعضها يكون رَيْنًا وبعضها طبعًا وبعضها إقفالا . قال القاضي :ليس المراد من الرين أن قلبهم قد تغير وحصل فيه منع ، بل المراد أنهم صاروا لإيقاع الذنب حالا بعد حال متجرئين عليه ، وقويت دواعيهم إلى ترك التوبة

وترك الإقلاع ، فاستمروا وصعب الأمر عليهم ، ولذلك بين أن علَّة الرين كسبُهم ، ومعلوم أن إكثارهم من اكتساب الذنوب لا يمنع من الإقلاع والتوبة.[١]

قال الحسن البصري :الران :هو الذْنب على الذْنب حتى يسوَد القلب ويعمى فيموت .وفي الحديث الشريف : « إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكِتت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبُه ، وإن عاد – أي إلى الذنب – زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكرَ الله : { **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهِم مَا كانُوا يَكسِبُونَ**} » [٢] . [٣]

وقال بعض الكبار :القلب مرآة مصقولة ، كلها وجه فلا تصدأ أبدًا، وإن أُطلق عليها الصدأُ في نحو حديث : « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن »[٤] فليس المراد بذلك الصدأ أنه طخاء – أي :الطلاء ، يقال طيخ الشيء ، أي :طلاه بالقطران – طلع على وجه القلب ، ولكنه لما تعلَّق واشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالمسبب كان تعلُّقه بغير الله صدأً على وجه القلب ، مانعًا من تجلّي الحق إليه ، إذ الحضرة الإلهية متجلية على الدوام ، لا يُتصور في حقها حجاب عنَّا ، فلما لم يَقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي المحمود وَقبِل غيرها عبر عن قبول الغير بالصدأ والران والقَفل وغير ذلك ، وقد نبه الله على ذلك في قوله: { **وَقالُوا قُلوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تدعُوَنا إِلَيهِ** } [فصلت :٥] ، فهي في أكنَّة مما يدعوها

١- تفسير الرازي .
٢- أخرجه الترمذي .
٣- التفسير الواضح الميسر .
٤- أخرجه ابن شاهين بألفاظ متقاربة

الرسول إليه خاصة ، لا لأنها في كن مطلقًا ، فلما تعلقت بغير ما ُتدعى إليه عميت عن إدراك ما دُعيت إليه ، فلم تبصر شيئًا ، فالقلوب أبدًا لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية. (١)

أقول :الآية الكريمة : { كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهِم مَا كَانُوا يَكسِبُونَ } تدل على أن الران للكافر ، أما الحديث الشريف : « إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكِتت في قلبه نكتة سوداء » فإنه لم يقيد العبدَ بالكافر .فالمؤمن – كما جاء في الحديث -: « فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبُه » ولكن الكافر إذا أسلم وتاب فإنه يُصقل قلبه.

فعلى العبد المؤمن إذا صدرت منه المعاصي أن لا يقنط من رحمة الله ، بل يبادر إلى التوبة والاستغفار ولو رجع إلى الذنب والمعصية سبعين مرة ، { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ } [الشورى :٢٥] ، جلَّ وعلا ، ولم يقيد عفوه بعدم الرجوع إلى الذنب ، لكن على العبد المؤمن أن لا تكون توبته محتاجة إلى توبة ثانية ، فتكون توبة الكاذبين.

باب التوبة مفتوح ، فعلى العبد أن لا يُسكِّره على نفسه ، حتى لا يُحرم من رحمة الله جلَّ جلاله.

اللهمَّ ارزقنا توبة نصوحًا لا ننقض عهدها أبدًا يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

١– تفسير روح البيان.

اللفظ السابع و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلَم نشرَح لكَ صَدرَكَ) (١) [الشرح :١]

أي : لقد شرحنا لك يا أيها الرسول صدرك بالهداية والإيمان ، ونورناه بسواطع آيات القرآن ، تفضلا عليك من الرحمن ، فاشكر ربك على هذه النعمة .[١]

قال ابن كثير :أي نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا ، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحًا سمحًا سهلا ، لا حرج فيه ولا إحراج ولا ضيق.

وقال أبو حيان :شرحُ الصدر تنويرُه بالحكمة وتوسيعُه لتلقِّي ما يُوحى إليه، وهو قول الجمهور .[٢]

فقد انفتح صدره عليه الصلاة والسلام حتى أنه كان يتسع لجميع المهمات ، لا يقلق ولا يضجر ولا يتغير ، بل هو في حالتي البؤس والفرح مُنشرح الصدر ، مشتغل بأداء ما كلِّف به .[٣]

---

١ –التفسير الواضح الميسر .

٢ –صفوة التفاسير .

٣ –تفسير الرازي .

أقول : صدرُ الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ۛ طهرَ بالوحي النازل عليه بواسطة جبريل عليه السلام ، وهذا لا يحصل لنا، فقد انقطع الوحي ، ولكن لم ينقطع حكمه:

{ فمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ } [الأنعام :١٢٥] ، فنحن مسؤولون عن هذا الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسؤولون عن القرآن الكريم ، فلا بدّ لنا أن نقرأه ونّتبع أوامره ونبتعد عن نواهيه مهما أمكن ، وإذا صدر مّنا شيء مخالف بالطبيعة البشرية ، علينا أن نتوب ونستغفر ونرجع إلى الله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعفُو عَنِ السَّيئَاتِ } [الشورى :٢٥] ، وباب رحمته سبحانه وتعالى مفتوح لعباده ، فلا يليق بنا أن نضيّع أوقاتنا ودقائق وساعات أعمارنا فيما لا يعني، ولا أن نهمل تطهير قلوبنا والاستغفار والتوبة إلى خالقنا وكثرة ذكرنا له جلَّ وعلا ، حتى يثبت لنا في آخرتنا وفي عالم البرزخ جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نرجو الله تعالى أن يشّفعه فينا ، حينذاك نكون من المفلحين.

ومعلوم عند المؤمنين جميعًا أن التقوى والصدق واجتناب المعاصي كلّه من أفعال القلوب ، فعلينا أن نطهّر قلوبنا قبل أن يفوت الأوان.

اللهمَّ وفِّقنا لذلك ، يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ الثامن و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَفلا يَعلَمُ إذا بُعثِرَ مَا في الْقبورِ (٩) وَحُصلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) [العاديات:٩-١٠]

أي : أفلا يعلم هذا الغافل الجاهل ، إذا ُقلبتِ القبور وأُخرج ما فيها من الموتى؟ و كشف ما في صدور الناس من الأسرار والخفايا التي يُسِرونها (١) ، التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي، فضلا عن الأعمال الجلية.

فتخصيص أعمال القلب لأنه لولا البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح ، فالقلب أصلٌ وأعمال الجوارح تابعة له ، ولذا قال تعالى : { ءَاثِمٌ قَلْبُهُ } [البقرة : ٢٨٣] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يُبعثون على نياتهم » (٢) . (٣)

واعلم أن حظَّ الوعظ منه أن يقال :إنك تستعد فيما لا فائدة لك فيه ، فتبني المقابر وتشتري التابوت ، وتفصل الكفن ، وتغزل العجوزُ الكفن ، فيقال :هذا كله للديدان ، فأين حظُّ الرحمن؟ بل المرأة إذا كانت حاملا فإنها تعِد للطفل ثيابًا ، فإذا قلت لها :لا طفلَ لك فما هذا الاستعداد؟ فتقول :أليس يُبعثر ما في بطني؟ فيقول الرب لك :ألا يبعثر ما في بطن الأرض ، فأين الاستعداد؟(٤)

---

١ -التفسير الواضح الميسر .

٢ -انظر تخريج الحديث في مقدمة الكتاب .

٣ -تفسير روح البيان .

٤ -تفسير الرازي .

أقول :الانتباه إلى هذه الأمور تابع لقوة الإيمان وضعفه بالنسبة للمؤمنين ، أما الكفار فلا إيمان لهم .فصاحب الإيمان القوي إذا انزلقت قدمه عن الاستقامة وانحرف واطلع على انحرافه عن الصراط المستقيم يتذكَّر رحمة الله وعذابه ؛ يتذكر رحمته فيتوب ويرجع ويستغفر ويثبت ، ويتذكَّر عقابه فيخاف أن لا يعفو عنه بل يؤاخذه ويعاقبه ، فيحصل معه الاستحياء من الله جلَّ جلاله ، الذاتِ الأقدس، خالقِ السماوات والأرض ، ويقول في نفسه :إني عبد حقير عاجز ، خلقت من نقطة من ماء مهين ، كيف أعصي هذا الإله العظيم؟

وعلى كلٍ ، إذا صدرت منَّا المخالفة علينا أن نرجع إلى الله بالتوبة والاستغفار والتضرع واللجوء إليه جلَّ وعلا ، ونرجوه أن يعفو عنا.

اللهمَّ ارزقنا حياء منك يمنعنا عن مخالفتك ، يا رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

اللفظ التاسع و الثمانون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦)الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) [الهمزة:٦-٧]

قوله تعالى : { الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ } ، أي :تعلو أوساط القلوب وتغشاها ، فإن الفؤاد وسط القلب ، ومتصل بالروح ، يعني :إن تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم ، فتدخل في أجواف أهل الشهوات وتصل إلى صدورهم وتستولي على أفئدتهم، إلا أنها لا تحرقها بالكلِّية ، إذ لو احترقت لمات أصحابها ، ثم إن الله تعالى يُعيد لحومهم وعظامهم مرة أخرى .وتخصيصُها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما في الجسد، وأشد تألمًا بأدنى أذى يمسه ، أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة ، فاطلاعها على الأفئدة التي هي خزانة الجسد ومحل ودائعه يستلزم الاطلاع على جميع الجسد بطريق الأولى.(١)

وفي الحديث « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة» . (٢)

---

١ -تفسير روح البيان .

٢ -أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا والأصح أنَّه موقوف .

أقول :على المؤمن – لا نتكلم عن الكافر والمنافق – أن يحفظ إيمانه ، ويعتقد أن هذا كلام ربه ، أنزله على سيد المرسلين ، سيدنا محمَّد عليه الصلاة والسلام ، وهو بلَّغ أمته إلى آخر الدنيا ، فلا ينفك واحد من المسلمين عن هذه التهديدات إذا خالف أوامر الله تعالى ولم يتب ولم يرجع.

فإن قيل : { نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَة } للكافر ، نقول :هذا محقق ، ولا نشك في إحراق الله للكافر وتعذيبه له في الآخرة ، فالشك في ذلك تهلكة ، لكن نصَّ القرآن الكريم يدل على أنه لا بدَّ للمؤمن أن يحفظ إيمانه وإسلامه من النفاق والفسق وأفعال الكفار.

نسأل الله تعالى التوفيق لنا وللمسلمين جميعًا من فضله وكرمه.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

اللفظ التسعون بعد المئة

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِي يُوَسوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) [الناس:٥-٦]

أي :الذي يُلقي – لشدة خبثه – في قلوب البشر صنوف الوساوس والأوهام الباطلة: { يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيطَانُ إِلاَّ غُرُورًا } [النساء :١٢٠] ، ووسوسته :هي الدعاء لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت ، وفي الحديث الشريف : « إن الشيطان واضع خطمه – أي :مقدم أنفه وفمه – على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله خنس – أي توارى وتأخر – وإذا نسي التقم قلبه فوسوس» [١] . [٢]

قال ابن جزي :وسوسة الشيطان بأنواع كثيرة ، منها فساد الإيمان والتشكيك في العقائد ، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات ، فإن لم يقدر على ذلك أدخل الرياء في الطاعات ليحبطهم ، فإن سَلِمَ من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله .ومن ذلك :أنه يُوقِد في القلب نار الحسد والحقد والغضب ، حتى يقود الإنسان إلى سوء الأعمال وأقبح الأحوال .وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء ، وهي :الإكثار من ذكر الله تعالى ، و الاستعاذة منه ، ومن أنفع شيء في ذلك :قراءة سورة الناس.اهـ.

---

١ -أخرجه الحافظ الموصلي .

٢ -التفسير الواضح الميسر .

قلت :لا يقلع الوسوسة من القلب بالكلية إلا صحبة العارفين أهل التربية ، حتى يُدخلوه مقام الفناء ، وإلا فالخواطر لا تنقطع عن العبد.

ثم بين الموسوِس بقوله : { مِنَ الْجِنَّةِ } أي :الجن { وَالنَّاس } ، ووسواسُ الناس أعظم ؛ لأن وسواس الجن يَذهب بالتعوذ ، بخلاف وسوسة الناس ، والمراد بوسوسة الناس : ما يُدخلون عليك من الشبَه في الدين ، وخوضٍ في الباطل ، أو سوء اعتقاد في الناس، أو غير ذلك. [١]

أقول : قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقوا إِذا مَسَّهُم طَائِف مِنَ الشَّيطانِ تَذكَّرُوا } [الأعراف :٢٠١]، بهذا المس يأتي شيء مخالف للشريعة ، فإذا كان القلب منوَّرًا يعرف أن هذا من الشيطان ، فلا يتَّبعه ، لا بفعله ولا بفكره .ولذا إذا سكت الإنسان بدون كلام ، بدون قراءة ، بدون عمل ، تأتيه الأفكار .أكثر الشباب يسترسلون وراء التفكر بالشهوات ، وأهلُ الدنيا يتفكرون بالفلوس .على الإنسان أن يسكِّرَ هذا الباب.

قوله تعالى: { تذكَّرُوا } أي :تذكَّروا الله تعالى ، وتذكَّروا أن هذا المسَّ من الشيطان، وتذكَّروا أنَّ عليهم أن يستعيذوا بالله من الشيطان ، لقوله تعالى : { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزغ فاستَعِذ بِاللَّهِ } [الأعراف :٢٠٠].

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من شياطين الإنس والجن ، ياربَّ العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١– تفسير البحر المديد.

دعاء الختام

اللهم إنِّي أسألك بكلِّ اسم هوَ لك ، سميت به نفسَكَ ، أو أنزلَته في كتابك ، أو علَّمَته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم نورَ صدري ، وربيعَ قلبي ، وجلاءَ همي وحزني ، وقائدي إلى جنَّاتك جنَّات النعيم ، اللهم علِّمني منه ما جهلت ، وذكِّرني منه ما نسيت ، وارزقني تلاوَته آناء الليل وأطرا ف النَّهار ، مع كمال التدبر والفهم لمعانيه، برحمتك ياأرحم الراحمين ، وصلَّى الله وسلَّم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدِنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١ –أبحاث في القمة – محمد سعيد رمضان البوطي – ٣/١ مجلَّد - دار الفارابي – دمشق.

٢ –تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين البيضاوي – ٢٠/١ مجلَّد – دار الكتب العلمية – بيروت.

٣ –أنوار الحقيقة – مباحث في التصوف والسلوك – من كليات رسائل النور – الشيخ سعيد النورسي – ترجمة إحسان الصالحي – طبعة مصرية.

٤ –تفسير بحر العلوم – أبو الليث السمرقندي – ٣/١ مجلَّد – دار الكتب العلمية – بيروت.

٥ –البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – أبو العباس أحمد بن عجيبة– تحقيق :عمر أحمد الراوي – ٨/١ مجّلد – دار الكتب العلمية – بيروت.

٦ –تفسير جامع البيان – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – ١٣/١ مجلَّد مع الفهارس –دار الكتب العلمية – بيروت.

٧ –جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم – ابن رجب الدمشقي – تحقيق :شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت.

٨ –تفسير الجامع لأحكام القرآن – أبو عبدالله محمد الأنباري القرطبي– ١١/١ مجلَّد – دار الكتب العلمية – بيروت.

٩ –حاشية الجمل على الجلالين – سليمان بن عمر الشافعي، الشهير بالجمل– ٤/١ مجلَّد – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠ – حاشية الصاوي على الجلالين – أحمد الصاوي المالكي – ٦/١ مجلَّد– دار الكتب العلمية – بيروت.

١١ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي – ٧/١ مجلَّد مع الفهارس – دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢ – روح البيان في تفسير القرآن – إسماعيل حقِّي الخلوتي البروسوي – تحقيق :عبدالرزاق المهدي – ١/١٠ مجلَّد – دار احياء التراث العربي – بيروت.
١٣ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود الألوسي – ضبطه وصححه عبدالباري عطية – ١/١١ مجلَّد– دار الكتب العلمية – بيروت.
١٤ – زاد المسير في علم التفسير – أبو الفرج ابن الجوزي – تحقيق :أحمد شمس الدين – ١/٤ مجلَّد – دار الكتب العلمية – بيروت.
١٥ – صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – ١/٣ مجلَّد – دار الكتب العلمية– بيروت.
١٦ – تفسير القرآن العظيم – ابن كثير الدمشقي أبو الفداء– ١/٤ مجلَّد – دار الفكر – بيروت.
١٧ – التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب – فخر الدين الرازي – ١/١٧ مجلَّد مع الفهارس –دار الكتب العلمية – بيروت.
١٨ – تفسير الكشَّاف – أبو القاسم الزمخشري – ١/٤ مجلَّد – دار الكتب العلمية – بيروت.
١٩ – تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل – علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن – ١/٤ مجلَّد – دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٠ – تفسير لطائف الإشارات – أبو القاسم عبدالكريم القشيري – ١/ ٣ مجلَّد– دار الكتب العلمية – بيروت.
٢١ – تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل – عبدالله بن أحمد النسفي – ١/٢ مجلَّد – دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٢ – المنهاج في شرح صحيح مسلم – للإمام النووي – ١/٩ في مجلَّد – دار ابن حزم –بيروت.
٢٣ – التفسير الواضح الميسر – محمد علي الصابوني – مجلَّد واحد – المكتبة العصرية –بيروت

الفهرس العام

بإمكانك الذهاب إلى محتويات الكتاب عن طريق الضغط على رقم الصفحة

الألفاظ	رقم الصفحة
مقدمة الكتاب	١٣
اللفظ الأول : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمعِهِم ...} [البقرة :٧]	٢٣
اللفظ الثاني : { فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا .... } [البقرة : ١٠]	٢٩
اللفظ الثالث : {ثُمَّ قسَت قُلوبُكم مِن بَعدِ ذلِكَ ... } [البقرة :٧٤]	٣٣
اللفظ الرابع : { وَقالُوا قُلوبُنَا غُلْف ... } [البقرة: ٨٨]	٣٦
اللفظ الخامس : { ...وَأُ شرِبُوا فِي قُلوبِهِمُ الْعِجلَ بِكفْرِهِم...} [البقرة: ٩٣]	٣٨
اللفظ السادس : {..فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا...} [البقرة: ٩٧]	٣٩
اللفظ السابع : {...تَشَابَهَتْ قُلوبُهُم قد بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقومٍ يُوقِنونَ} [البقرة: ١١٨]	٤١
اللفظ الثامن : {...وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ... } [البقرة: ٢٠٤]	٤٣
اللفظ التاسع : {...وَلكِن يُؤَاخِذكم بِمَا كسَبَتْ قُلوبُكم... } [البقرة: ٢٢٥]	٤٧
اللفظ العاشر : {...قالَ بَلى وَلكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي... } [البقرة: ٢٦٠]	٥٢
اللفظ الحادي عشر : {...وَمَن يَكْتُمهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ... } [البقرة: ٢٨٣]	٥٤
اللفظ الثاني عشر : {...فأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم زَيغٌ... } [آل عمران: ٧]	٥٨
اللفظ الثالث عشر : {...رَبَّنَا لاتزِغ قُلوبَنا بَعدَ إذ هَدَيْتَنا... } [آل عمران: ٨]	٦١
اللفظ الرابع عشر : { قلْ إن تخفوا مَا فِي صُدُورِكم... } [آل عمران: ٢٩]	٦٤
اللفظ الخامس عشر : {...إِذ كُنتُم أَعدَاءً فأَلَّفَ بَينَ قُلوبِكم... } [آل عمران: ١٠٣]	٦٨
اللفظ السادس عشر : {...وَمَا تخفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ... } [آل عمران: ١١٨]	٧٢
اللفظ السابع عشر : {...إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران: ١١٩]	٧٤
اللفظ الثامن عشر : { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشرَى لكم وَلِتطْمَئِنَّ قُلوبُكُم... } [آل عمران: ١٢٦]	٧٧
اللفظ التاسع عشر : { سَنُلْقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفرُوا الرُّعبَ... } [آل عمران: ١٥١]	٧٩
الألفاظ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون : {...وَلِيَبْتلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكم وَلِيُمَحصَ مَا فِي قُلُوبِكم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران: ١٥٤]	٨١
اللفظ الثالث والعشرون : {...لِيَجعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسرَةً فِي قُلوبِهِم... } [آل عمران: ١٥٦]	٨٤
اللفظ الرابع والعشرون : {...وَلو كنْت فظاً غليظ الْقَلْبِ لانْفضُّوا... } [آل عمران: ١٥٩]	٨٧
اللفظ الخامس والعشرون: {...يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَاليس فِي قُلُوبِهِم... } [آل عمران : ١٦٧]	٩٠
اللفظ السادس والعشرون : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلوبِهِم... } [النساء : ٦٣]	٩٢
اللفظ السابع والعشرون : {...أَو جَاءُوكم حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقاتِلوكم... } [النساء: ٩٠]	٩٤

اللفظ الثامن والعشرون : {...وقولِهِم قُلوبُنا غُلْف بَلْ طبَعَ اللَّهُ عَليهَا...} [النساء : ١٥٥]	٩٦
اللفظ التاسع والعشرون : {...واتَّقوا اللَّه إنَّ اللَّه عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدُور }[المائدة : ٧]	٩٨
اللفظ الثلاثون : { فبِمَانقْضِهِم مِيثَاقهُم لعَنَّاهُم وَجعَلنَا قُلوبَهُم قَاسِيَة... } [المائدة : ١٣]	١٠١
اللفظان الحادي والثلاثون والثاني والثلاثون : { ... قَالُوا ءامَنَّا بِأَفْوَاهِهِم و لم تؤمِن قُلوبُهُم... } [المائدة : ٤١]	١٠٣
اللفظ الثالث والثلاثون : { فَترَى الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ... } [المائدة: ٥٢]	١٠٥
اللفظ الرابع والثلاثون : { قَالُوا نرِيدُ أَن نَأكلَ مِنهَا وتطْمَئِنَّ قُلوبُنا... } [المائدة : ١١٣]	١٠٦
اللفظ الخامس والثلاثون : {...وَجَعَلنَا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ... } [الأنعام: ٢٥]	١٠٨
اللفظ السادس والثلاثون : {...ولَكِن قسَت قُلوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ... } [الأنعام: ٣٤]	١١٠
اللفظ السابع والثلاثون : { قلْ أَرَأَيْتم إن أخذ اللَّهُ سَمعَكم وأَبصَارَكم وَخَتمَ عَلى قُلوبِكم... } [الأنعام: ٤٦]	١١٢
اللفظ الثامن والثلاثون : { وَنقَلِّبُ أَفْئِدَتهُم وَأَبصَارَهُم... } [الأنعام: ١١٠]	١١٤
اللفظ التاسع والثلاثون : { وَلِتصَغى إليهِ أَفْئِدَة الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ... } [الأنعام: ١١٣]	١١٨
اللفظان الأربعون و الحادي و الأربعون : { فمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإسلام وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجعَلْ صَدرَهُ ضَيِّقًا... } [الأنعام : ١٢٥]	١٢٠
اللفظ الثاني والأربعون : {...فلا يَكن فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ... } [الأعراف : ٢]	١٢٤
اللفظ الثالث والأربعون : { وَنزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلّ... } [الأعراف : ٤٣]	١٢٦
اللفظ الرابع والأربعون :{...وَنطْبَعُ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَسمَعُونَ } [الأعراف : ١٠٠]	١٣٠
اللفظ الخامس والأربعون : { ...كذلِكَ يَطبَعُ اللَّهُ عَلى قُلوبِ الْكافِرِينَ } [الأعراف : ١٠١]	١٣٢
اللفظ السادس والأربعون : {...لهُم قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا... } [الأعراف : ١٧٩]	١٣٤
اللفظ السابع والأربعون : {...الَّذِينَ إذا ذكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُم... } [الأنفال : ٢]	١٣٦
اللفظ الثامن والأربعون : { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلاَّ بُشرَى وَلِتطْمَئِنَّ بِهِ قُلوبُكم... } [الأنفال : ١٠]	١٤١
اللفظ التاسع والأربعون :{...وَلِيَربِط عَلى قُلوبِكم وَيُثبت بِهِ الأَقْدَامَ } [الأنفال:١١]	١٤٤
اللفظ الخمسون : {...سَأُلقِي فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفرُوا الرُّعبَ... } [الأنفال :١٢]	١٤٧
اللفظ الحادي و الخمسون :{...وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَينَ الْمَرءِ وَقَلْبِهِ... } [الأنفال :٢٤]	١٤٩
اللفظ الثاني و الخمسون : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور }[الأنفال :٤٣]	١٥٣
اللفظ الثالث و الخمسون : { إِ ذ يَقُولُ الْمُنَافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... } [الأنفال :٤٩]	١٥٥
اللفظان الرابع و الخمسون والخامس والخمسون : { وَأَلَّفَ بَينَ قُلوبِهِم لو أَنْفقتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفتَ بَينَ قُلوبِهِم... } [الأنفال :٦٣]	١٥٨
اللفظ السادس والخمسون : {...إن يَعلَمِ اللَّهُ فِي قُلوبِكم خيرًا... } [الأنفال :٧٠]	١٦٢
اللفظ السابع والخمسون : {...يُرضُونَكم بِأَفْوَاهِهِم وَتأْبَى قُلوبُهُم... } [التوبة :٨]	١٦٤

اللفظان الثامن والخمسون و التاسع والخمسون : {...وَيَشْفِ صُدُور قومٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِب غيظ قُلوبِهِم...} [التوبة :١٤-١٥]	١٦٦
اللفظ الستون : { ...لا يُؤْمِنونَ بِاللهِ وَالْيومِ الآخِرِ وَارتَابَتْ قُلوبُهُم... } [التوبة :٤٥]	١٦٩
اللفظ الحادي و الستون : {...وَالْعَامِلِينَ عَليهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلوبُهُم... } [التوبة: ٦٠]	١٧١
اللفظ الثاني و الستون : {...سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلوبِهِم... } [التوبة :٦٤]	١٧٣
اللفظ الثالث والستون : { فأَعقَبَهُم نِفاقًا فِي قُلوبِهِم... } [التوبة :٧٧]	١٧٥
اللفظ الرابع والستون : {...وطبِعَ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَفْقَهُونَ } [التوبة :٨٧]	١٧٨
اللفظ الخامس والستون : {...وَطبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِم فهُم لا يَعلَمُونَ } [التوبة :٩٣]	١٨٠
اللفظان السادس والستون والسابع والستون : { ...لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنوا رِيبَةً فِي قُلوبِهِم إلاَّ أَن تَقطَّعَ قُلوبُهُم } [التوبة :١١٠]	١٨٢
اللفظ الثامن والستون :{...مِن بَعدِ مَا كَادَ يَزِيغ قُلوبُ فَرِيقٍ مِنهُم... } [التوبة: ١١٧]	١٨٤
اللفظ التاسع والستون : { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... } [التوبة: ١٢٥]	١٨٦
اللفظ السبعون : {...صَرَف اللهُ قُلوبَهُم بِأَنَّهُم قومٌ لا يَفْقَهُونَ } [التوبة: ١٢٧]	١٨٨
اللفظ الحادي والسبعون : {...وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى... } [يونس :٥٧]	١٩٠
اللفظ الثاني والسبعون : { ...كذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلوبِ الْمُعتَدِينَ } [يونس :٧٤]	١٩٣
اللفظ الثالث والسبعون : {...رَبَّنَا اطمِس عَلى أَموَالِهِم وَا شدُد عَلى قُلوبِهِم... } [يونس :٨٨]	١٩٥
اللفظ الرابع والسبعون : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ } [هود :٥]	١٩٨
اللفظ الخامس والسبعون : { فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعضَ مَا يُوحَى إِليكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدرُكَ... }[هود : ١٢]	٢٠١
اللفظ السادس والسبعون : { وَ كلاًّ نَقصُّ عَليكَ مِن أَنباءِ الرُّسُلِ مَانثَبِّت بِهِ فؤَادَكَ... } [هود :١٢٠]	٢٠٤
اللفظان السابع والسبعون و الثامن والسبعون : {...وَتطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تطْمَئِنُّ الْقُلوبُ } [الرعد :٢٨]	٢٠٧
اللفظ التاسع والسبعون : {...فاجعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تهوِي إِليهِم... } [إبراهيم :٣٧]	٢١٠
اللفظ الثمانون : { ...لا يَرتَدُّ إِليهِم طرْفهُم وَأَفْئِدَتهُم هَوَاءٌ... } [إبراهيم : ٤٣]	٢١٢
اللفظ الحادي والثمانون :{ كذلِكَ نَسلكهُ فِي قُلوبِ الْمُجرِمِينَ } [الحجر :١٢]	٢١٥
اللفظ الثاني والثمانون : { وَنزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلٍّ... } [الحجر :٤٧]	٢١٧
اللفظ الثالث والثمانون : { وَلَقد نعلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدرُكَ بِمَا يَقولُونَ } [الحجر :٩٧]	٢١٩
اللفظ الرابع والثمانون : {...فالَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ قُلوبُهُم مُنْكِرَةٌ... } [النحل :٢٢]	٢٢٢
اللفظ الخامس والثمانون : {...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ... } [النحل :٧٨]	٢٢٥
اللفظان السادس والثمانون والسابع والثمانون: {...إِلاَّ مَن أُكرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَن شرَحَ بِالْكفرِ صَدرًا... } [النحل :١٠٦]	٢٢٧

اللفظ الثامن والثمانون : { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلوبِهِم... } [النحل :١٠٨]	٢٢٩
اللفظ التاسع والثمانون : {...إِنَّ السَّمعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ... } [الإسراء :٣٦]	٢٣١
اللفظ التسعون : { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلوبِهِم أَكِنَّةً... } [الإسراء :٤٦]	٢٣٤
اللفظ الحادي والتسعون : { أَو خَلْقًا مِمَّا يَكبُرُ فِي صُدُورِكم... } [الإسراء :٥١]	٢٣٦
اللفظ الثاني والتسعون : { وَرَبَطْنَا عَلَى قُلوبِهِم... } [الكهف :١٤]	٢٤٠
اللفظ الثالث والتسعون : {...ولاتطِع مَن أَغْفَلنا قَلْبَهُ عَن ذِكرِنا... } [الكهف :٢٨]	٢٤٣
اللفظ الرابع والتسعون : {...إِنَّا جَعَلنَا عَلَى قُلوبِهِم أَكِنَّةً... } [الكهف :٥٧]	٢٤٥
اللفظ الخامس والتسعون : { قَالَ رَبِ ا شرَح لِي صَدرِي } [طه :٢٥]	٢٤٧
اللفظ السادس والتسعون : { لاهِيَةً قُلوبُهُم وَأَسَرُّوا النَّجوَى... } [الأنبياء :٣]	٢٥٠
اللفظ السابع والتسعون : {...فَإِنَّهَا مِن تقوَى ٱلْقُلوبِ } [الحج :٣٢]	٢٥٣
اللفظ الثامن والتسعون : { الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُم... } [الحج :٣٥]	٢٥٦
اللفظان التاسع والتسعون والمئة : {...فَتَكونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعقِلونَ بِهَا...وَلَكِن تَعمَى ٱلْقُلوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }[الحج :٤٦]	٢٥٩
اللفظان الأول والثاني بعد المئة : {...فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلوبُهُم... }[الحج :٥٣]	٢٦٣
اللفظ الثالث بعد المئة : {...فَيُؤمِنوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلوبُهُم... } [الحج :٥٤]	٢٦٥
اللفظ الرابع بعد المئة : { وَالَّذِينَ يُؤْتونَ مَا ءَاتوا وَقُلوبُهُم وَجِلَة... } [المؤمنون :٦٠]	٢٦٧
اللفظ الخامس بعد المئة : { بَلْ قُلوبُهُم فِي غَمرَةٍ مِن هَذا... } [المؤمنون :٦٣]	٢٦٩
اللفظ السادس بعد المئة : { وَهُوَ الَّذِي أَنْشأَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ... } [المؤمنون : ٧٨]	٢٧١
اللفظ السابع بعد المئة : {...يَخافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلوبُ وَالأَبصَار }[النور :٣٧]	٢٧٣
اللفظ الثامن بعد المئة : { أَفِي قُلوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارتَابُوا... } [النور :٥٠]	٢٧٧
اللفظ التاسع بعد المئة: { ...كذلِكَ لِنُثَبِت بِهِ فُؤَادَكَ... } [الفرقان :٣٢]	٢٧٨
اللفظ العاشر بعد المئة : { وَيَضِيقُ صَدرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي... } [الشعراء :١٣]	٢٨٠
اللفظ الحادي عشر بعد المئة : { إِلاَّ مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء :٨٨]	٢٨٢
اللفظ الثاني عشر بعد المئة : { عَلَى قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ } [الشعراء :١٩٤]	٢٨٥
اللفظ الثالث عشر بعد المئة :{ كذلِكَ سَلَكنَاهُ فِي قُلوبِ ٱلمُجرِمِينَ } [الشعراء :١٩٩]	٢٨٩
اللفظ الرابع عشر بعد المئة : { وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعلَمُ مَاتكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنونَ } [النمل :٧٤]	٢٩١
اللفظان الخامس عشر والسادس عشر بعد المئة : { وَأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِ مُوسَى فارِغًا... لولا أَن رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا... } [القصص :١٠]	٢٩٥
اللفظ السابع عشر بعد المئة : { وَرَبُّكَ يَعلَمُ مَاتكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنونَ } [القصص :٦٩]	٢٩٨
اللفظ الثامن عشر بعد المئة : {...أَوَلَيسَ اللَّهُ بِأَعلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلعَالَمِينَ } [العنكبوت :	٣٠١

١٠]	
اللفظ التاسع عشر بعد المئة : { بَلْ هُوَ ءَايَا ت بَيِنا ت فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ ...} [العنكبوت :٤٩]	٣٠٤
اللفظ العشرون بعد المئة : { كذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلوبِ الَّذِينَ لا يَعلَمُون }[الروم :٥٩]	٣٠٧
اللفظ الحادي والعشرون بعد المئة :{...عَمِلوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور } [لقمان :٢٣]	٣٠٩
اللفظ الثاني والعشرون بعد المئة : {...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَة... } [السجدة :٩]	٣١١
اللفظ الثالث والعشرون بعد المئة : { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَينِ فِي جَوفِهِ... } [الأحزاب : ٤]	٣١٤
اللفظ الرابع والعشرون بعد المئة : {...وَلكِن مَا تعَمَّدَتْ قُلوبُكم... } [الأحزاب :٥]	٣١٦
اللفظ الخامس والعشرون بعد المئة :{...وَإِذْ زَاغتِ الأَبصَارُ وَبَلَغتِ الْقُلوبُ الْحَنَاجِرَ... }[الأحزاب :١٠]	٣١٩
اللفظ السادس والعشرون بعد المئة : { وَإِذْ يَقول الْمُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... }[الأحزاب :١٢]	٣٢٢
اللفظ السابع والعشرون بعد المئة : {...وَقذف فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ... } [الأحزاب :٢٦]	٣٢٤
اللفظ الثامن والعشرون بعد المئة : {...فلا تخْضَعنَ بِالْقولِ فيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ... }[الأحزاب :٣٢]	٣٢٦
اللفظ التاسع والعشرون بعد المئة : {...وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا فِي قُلوبِكم وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا }[الأحزاب :٥١]	٣٢٨
اللفظان الثلاثون والحادي والثلاثون بعد المئة : { ...ذلِكم أَطْهَرُ لِقُلوبِكم وَقُلوبِهِنَّ...} [الأحزاب :٥٣]	٣٣٠
اللفظ الثاني والثلاثون بعد المئة : { لئِن لم يَنْتهِ الْمُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... }[الأحزاب :٦٠]	٣٣٢
اللفظ الثالث والثلاثون بعد المئة : {...حَتَّى إِ ذا فزعَ عَن قُلوبِهِم... } [سبأ :٢٣]	٣٣٤
اللفظ الرابع والثلاثون بعد المئة : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور }[فاطر :٣٨]	٣٣٦
اللفظ الخامس والثلاثون بعد المئة : { إِ ذ جَاءَ رَبَّهُ بِقلْبٍ سَلِيم } [الصافات :٨٤]	٣٣٨
اللفظ السادس والثلاثون بعد المئة : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُور }[الزمر :٧]	٣٤٠
اللفظان السابع والثلاثون و الثامن والثلاثون بعد المئة : { أَفمَن شرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ لِلإِسلامِ ... فَوَيلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلوبُهُم... } [الزمر :٢٢]	٣٤٢
اللفظ التاسع والثلاثون بعد المئة : {...ثمَّ تلِينُ جُلودُهُم وَقُلوبُهُم إِلى ذِكْرِ اللَّهِ... } [الزمر : ٢٣]	٣٤٦
اللفظ الأربعون بعد المئة : { وَإِذا ذكِرَ اللَّهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قُلوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ...} [الزمر : ٤٥]	٣٤٩
اللفظ الحادي و الأربعون بعد المئة : { وَأَنذِرهُم يَومَ الآزِفةِ إِذِ الْقُلوبُ لدَى الْحَنَاجِرِ} ...	٣٥٣

[غافر :١٨]	
اللفظ الثاني و الأربعون بعد المئة : { يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ وَمَا تخفِي الصُّدُور} [غافر :١٩]	٣٥٥
اللفظ الثالث والأربعون بعد المئة : { ... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كلِّ قلْبِ مُتَكبرٍ جَبَّار} [غافر : ٣٥]	٣٥٨
اللفظ الرابع والأربعون بعد المئة : {...إِ ن فِي صُدُورِهِم إلاَّ كِبرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ... } [غافر : ٥٦]	٣٥٩
اللفظ الخامس والأربعون بعد المئة : {...وَلِتَبْلغوا عَليهَا حَاجَة فِي صُدُورِكم...} [غافر : ٨٠]	٣٦١
اللفظ السادس والأربعون بعد المئة : { وقَالُوا قُلوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تدعُوَنا إِليهِ...} [فصلت : ٥]	٣٦٣
اللفظان السابع والأربعون و الثامن والأربعون بعد المئة : {...فَإن يَشأِ اللَّهُ يَختِم عَلى قلْبِكَ ...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [الشورى : ٢٤]	٣٦٦
اللفظ التاسع و الأربعون بعد المئة : {...وَ خَتمَ عَلى سَمعِهِ وَقَلْبِهِ... } [الجاثية : ٢٣]	٣٦٩
اللفظان الخمسون و الحادي والخمسون بعد المئة : {...وَجَعَلنَا لهُم سَمعًا وَأَبصَارًا وَأَفْئِدَةً فمَا أَغْنَى عَنهُم سَمعُهُم وَلا أَبصَارُهُم وَلا أَفْئِدَتهُم... } [الأحقاف : ٢٦]	٣٧٢
اللفظ الثاني والخمسون بعد المئة : {...أُولَئِكَ الَّذِينَ طبَعَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم... } [محمَّد : ١٦]	٣٧٤
اللفظ الثالث والخمسون بعد المئة : {...رَأَيت الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ يَنْظرُونَ إِليكَ... }[محمَّد : ٢٠]	٣٧٦
اللفظ الرابع والخمسون بعد المئة : { أَفلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءَانَ أَم عَلى قُلوبٍ أَقْفالُهَا} [محمَّد : ٢٤]	٣٧٨
اللفظ الخامس والخمسون بعد المئة : { أَم حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ ... } [محمَّد : ٢٩]	٣٨١
اللفظ السادس والخمسون بعد المئة : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَة فِي قُلوبِ الْمُؤْمِنِينَ... } [الفتح : ٤]	٣٨٣
اللفظ السابع والخمسون بعد المئة : {...يَقولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَا ليسَ فِي قُلوبِهِم... } [الفتح : ١١]	٣٨٥
اللفظ الثامن والخمسون بعد المئة : {...أَبَدًا وَزُيِنَ ذلِكَ فِي قُلوبِكم... } [الفتح : ١٢]	٣٨٧
اللفظ التاسع والخمسون بعد المئة : {...فعَلِمَ مَا فِي قُلوبِهِم... } [الفتح : ١٨]	٣٨٩
اللفظ الستون بعد المئة : {إِ ذ جَعَلَ الَّذِينَ كَفرُوا فِي قُلوبِهِمُ الْحَمِيَّة... } [الفتح : ٢٦]	٣٩٢
اللفظ الحادي و الستون بعد المئة: {...أُولَئِكَ الَّذِينَ امتحَنَ اللَّهُ قُلوبَهُم... } [الحجرات : ٣]	٣٩٥
اللفظ الثاني والستون بعد المئة : {...وَلكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكم... } [الحجرات : ٧]	٣٩٧
اللفظ الثالث والستون بعد المئة : {...وَلمَّا يَدخلِ الإِيمَانُ فِي قُلوبِكم... } [الحجرات : ١٤]	٣٩٩
اللفظ الرابع والستون بعد المئة : { مَن خشِيَ الرَّحمَنَ بِالْغيبِ وَجَاءَ بِقلْبٍ مُنِيبٍ } [ق : ٣٣]	٤٠١
اللفظ الخامس والستون بعد المئة : { إِنَّ فِي ذلِكَ لذِكرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ... } [ق : ٣٧]	٤٠٤

اللفظ السادس والستون بعد المئة : { مَا كذبَ الفؤَادُ مَا رَأَى } [النجم : ١١]	٤٠٧
اللفظ السابع والستون بعد المئة : {...وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور } [الحديد :٦]	٤١١
اللفظان الثامن والستون و التاسع والستون بعد المئة : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنوا أَن تخْشَعَ قُلوبُهُم لِذِكْرِ اللَّهِ... فطالَ عَليهِمُ الأَمَدُ فَقسَتْ قُلوبُهُم... } [الحديد :١٦]	٤١٣
اللفظ السبعون بعد المئة : {...وجَعَلنَا فِي قُلوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفةً... } [الحديد :٢٧]	٤١٥
اللفظ الحادي والسبعون بعد المئة : {...أُوَلئِكَ كَتبَ فِي قُلوبِهِمُ الإيمَانَ... } [المجادلة :٢٢]	٤١٧
اللفظ الثاني والسبعون بعد المئة : {...وَقذفَ فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ... } [الحشر :٢]	٤١٩
اللفظ الثالث والسبعون بعد المئة : {...وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَة... } [الحشر :٩]	٤٢١
اللفظ الرابع والسبعون بعد المئة : {...وَلاتجعَلْ فِي قُلوبِنا غِلاًّ... } [الحشر :١٠]	٤٢٤
اللفظ الخامس والسبعون بعد المئة : { لأَنْتم أَ شدُّ رَهبَة فِي صُدُورِهِم... } [الحشر :١٣]	٤٢٧
اللفظ السادس والسبعون بعد المئة : {...تحسَبُهُم جَمِيعًا وَقُلوبُهُم شتَّى... } [الحشر :١٤]	٤٢٨
اللفظ السابع والسبعون بعد المئة : {...فلَمَّا زَاغوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلوبَهُم... } [الصف :٥]	٤٣٠
اللفظ الثامن والسبعون بعد المئة : { ذلِكَ بِأَنَّهُم ءَامَنوا ثمَّ كفرُوا فطبِعَ عَلى قُلوبِهِم...} [المنافقون :١]	٤٣٢
اللفظ التاسع والسبعون بعد المئة : {...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور } [التغابن :٤]	٤٣٥
اللفظ الثمانون بعد المئة : {...وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلْبَهُ... } [التغابن :١١]	٤٣٧
اللفظ الحادي والثمانون بعد المئة : { إِن تتوبَا إِلى اللَّهِ فَقد صَغت قُلوبُكُمَا... } [التحريم :٤]	٤٤٠
اللفظ الثاني والثمانون بعد المئة : {...إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور }[الملك :١٣]	٤٤٣
اللفظ الثالث والثمانون بعد المئة : {...وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ... } [الملك :٢٣]	٤٤٦
اللفظ الرابع والثمانون بعد المئة : {...وَلِيقولَ الَّذِينَ فِي قُلوبِهِم مَرَضٌ... } [المدَّثر :٣١]	٤٤٨
اللفظ الخامس والثمانون بعد المئة : { قُلُوبٌ يَومَئِذٍ وَاجِفَة... } [النازعات :٧]	٤٥٠
اللفظ السادس والثمانون بعد المئة : { كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهِم مَا كانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين :١٤]	٤٥٢
اللفظ السابع والثمانون بعد المئة : { أَلَم نشرَح لكَ صَدرَك } [الشرح :١]	٤٥٥
اللفظ الثامن والثمانون بعد المئة : { وَحُصِلَ مَا فِي الصُّدُور }[العاديات :٩]	٤٥٧
اللفظ التاسع والثمانون بعد المئة : { الَّتِي تطَّلِعُ عَلى الأَفْئِدَةِ } [الهمزة :٦]	٤٥٩
اللفظ التسعون بعد المئة : { الَّذِي يُوَسوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } [الناس :٥]	٤٦١
دعاء الختام	٤٦٣
المصادر والمراجع	٤٦٤